كتاب المنة

للإمام

محمد بن أحسين الشمسدي (الإمام المجذوب)

(ت: ١٠٩٨ هـ)

إشكالية

العلاقة بالإمام الحضرمي

الجزء الأول

دراسة وتحقيق :

السني ولد عبداوه

الطبعة الأولى ٢٠٠١

مطبعة الكتاب - انواكشوط

كتاب السنة

للإمام

محمد بن أحسين الشمسدي (الإمام المجذوب)

(ت: ١٠٩٨ هـ)

إشكالية

العلاقة بالإمام الحضرمي

الجزء الأول

دراسة وتحقيق :

السني ولد عبداوه

الطبعة الأولى ٢٠٠١

مطبعة الكتاب - انواكشوط

رقم الإيداع : 670 / 2001
مطبعة الكتاب
هاتف : 08 75 630 (222) 00
ص ب : 732
انواكشوط – موريتانيا
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على نبيه الكريم

تقديم:

أخي المسلم العربي ، أرجوك أن تقرأ "كتاب المنة " للإمام المجذوب محمد بن احسين الشمسدي الذي جمعه أحد أحفاده، هو فضيلة الأستاذ المؤرخ والأديب السني ولد عبداوه الذي أبرز هذا الكتاب وجمع أجزاءه، وبين أبوابه وفصوله، و بين فيه بطريقة سلسة هذا العمل الجليل، وبين أنه امتداد لعمل الإمام الحضرمي وبالتالي – حلقة من معارف الحركة المرابطية. كما بين فيه أن هذه الحركة تمتد وحتى زمن الإمامات السبعة التي ظهرت في الشمال ، وقارن بين ما قام به الإمام المجذوب في آدرار، وبين ما قام به الإمام ناصر الدين في الجنوب، واستعرض ما قام به خصوم هذين الرجلين. واستدل بأن عمق الموضوعات التي تناولها الكتاب وتنوعها يبرهن على عمق معرفة هذا الإمام، كما أن الوثائق التي صدرت عنه تشمل تصرفات لا تظهر إلا في جو سياسي منظم. ونحن إذ نقدم تشكراتنا وامتناننا، وتشكرات تاريخ هذا البلد له، لعمله بإلقاء الضوء على هذه المرحلة الجليلة، لنرجو من الجهات المعنية بثقافة هذا البلد وتاريخه أن تولي هذه الدراسة ما تستحقه، وأن تتابع روح البحث والتحقيق حول هذه المعالم السياسية والدينية لبلدنا، بعيدا عن روح الخوف من كوامن الماضي وحساسياته، وأن توافينا بدراسات وافية عن هذه المنارات بعيدا عن روح التعصب.

والله تبارك وتعالى يرحم هذا السلف الرائد، ويبارك في هذا الخلف التابع، ويوفق أصحاب هذه الدراسات الهادفة حتى يوافونا أكثر فأكثر بمعالم تاريخنا المجيد.

حمدا ولد التاه

الأمين العام لرابطة العلماء الموريتانيين

انواكشوط: 26/يوليو/2001م

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة

والسلام على نبيه الكريم

مقدمة المحقق:

أقدم للمكتبة الموريتانية والمكتبات العربية الأخرى ما تيسر من "كتاب المنة" للإمام محمد بن احمد بن احسين الشمسدي - الإمام المجذوب- هذا الكتاب النفيس والغني بالإبعاد المعرفية المختلفة، والذي تعرضت أجزاء منه للتلف، بسبب الإهمال أو بالإتلاف المتعمد - بعد وفاة مؤلفه وضعف مركز نفوذ أصحابه فيما بعد، وذلك في سياق الصراع الذي ظل محتدما بينه وبين خصومه الذين يعتبرون "كتاب المنة" أشنع مآخذهم على صاحبه من باب دعواه أنه تلقاه في القرن الحادي عشر الهجري بطريقة إملائية من الإمام أبى بكر محمد بن الحسن الحضرمي المتوفى في أواخر القرن الخامس الهجري.

ومهما تكن خلفيات هذه الدعوى، وخلفيات المآخذ المترتبة عليها والتي سنتعرض لها بالتفصيل لاحقا، فان "كتاب المنة" في حد ذاته يكتسي أهمية خاصة، لا لكونه إحدى اقدم واهم الوثائق التاريخية المحلية التي تحدد لنا اليوم مجموعة الأبعاد السياسية، والمعرفية، والاجتماعية، والاقتصادية، التي شكلت هموم واهتمامات إنسان القرن الحادي عشر في آدرار، وفي بلاد شنقيط بصفة عامة، ولا لكونه كذلك قد كون في تلك الفترة قاعدة لتداعيات الفتاوى والفتاوى المضادة التي وردت في شأنه من داخل وخارج البلاد، والتي كان لها الأثر الكبير في تنشيط الحركة الفكرية المحلية في حينها، وبالتالي المساهمة الجوهرية في بلورة المدرستين المتنافرتين الباطنية والظاهرية في فترة لاحقة.

وانما لكون هذا الكتاب، وطبقا لما سنقف عليه، يشكل جزء لا يتجزأ من مادة التراث العلمي الحضرمي، - شئنا أم أبينا - وهو ما من شأنه أيضا إن يضفي عليه قيمة إضافية، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار، ما تثبته المراجع التاريخية من أهمية وتنوع المعارف العلمية للإمام أبى بكر محمد بن الحسن الحضرمي، خاصة في علوم: التوحيد، والتصوف، والفقه، والفلسفة، والسياسة، وهي المعارف التي لم يبق بين أيدينا منها للدلالة عليه سوى كتاب"الإشارة في تدبير الإمارة".([1])

ولإبراز هذه الحقيقة لابد من الرجوع إلى الوراء قليلا لتحديد ملامح الخلفية العلمية والسياسة للإمام الحضرمي، والظروف التي كانت وراء مجيئه إلى آزوكي([2]) ليطلع بمهمة القضاء في عاصمة الشطر الجنوبي لدولة المرابطين، ويبقى فيها بقية حياته.

---

[1]* طبع في الدار البيضاء، دار النجاح سنة 81 بعناية سامي النشار وظهرت منه طبعة بيروتية.

[2]* اسسها البافور سكان آدرار الأوائل، في القرن الثاني قبل الميلاد، ثم احتلها الزناتيون في القرن الثاني الهجري واعمروها واستحلبوا اليها شجر النخيل. واتخذها المرابطون بعد فتحها أول عاصمة للمكم في النصف الاول من القرن الخامس الهجري.

الإمام الحضرمي نشأته و بيئته وثقافته:

هو القاضي أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي المرادي - القروي. هكذا عرفه من أرخوا له بهذه الألقاب مجتمعة تارة، ومنفصلة تارة أخرى.

لا يعرف الكثير عن أسرته ولا عن نشأته. فمن ذهب إلى انه نشأ بمدينة القيروان "تونس" من أسرة قيروانية، كما يتضح ذلك عن نسبة - قروي، وأنه درس فيها على الفقيه أبي عمران الفاسي، ثم أنه انتقل منها إلى المغرب الأقصى([3]).

ومن ذهب إلى انه حضرمي المولد، شريف النسب، ينتهي نسبه إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وانه نشأ وتعلم في "اليمن" ثم انتقل من هناك إلى بلاد الحجاز ومنها إلى المغرب الأقصى ليستقر به المطاف أخيرا في مدينة آزوكي([4]).

وهذا المذهب الأخير تدعمه نسبتا - حضرمي ومرادي اللتان اشتهر بهما اكثر من غيرهما خاصة على المستوى المحلي، واللتان تربطانه بمدينة وقبيلة يمنيتين مشهورتين - حضر موت، بني مراد([5]) مع ملاحظة أن أصحاب المذهب الأول لم يتطرقوا لدلالتي هاتين النسبتين، وانما اعتمدوا النسبة الثالثة(قروي) لربطه بالقيروان وأبي عمران الفاسي الذي كان يعيش فيها يومئذ.

وعلى كل حال ومهما كانت نسبة ونشأة ومصدر دراسة الإمام الحضرمي، فانه قد أجمع من أرخوا له على انه كان «رجلا نبيها وعالما، وإماما في أصول الدين، عارفا باللغة، وله نهوض في علم الاعتقادات والأصول، ومشاركة في الأدب وقرض الشعر، وكان ذا حظ وافر في البلاغة والفصاحة([6]) وكان ذا معرفة واسعة بالفقه([7]).

ومما يؤكد ذلك اختيار الأمير أبي بكر بن عمر له من بين علماء معسكره، ليكون إلى جانبه على قدم الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي([8]) وبالتالي قاضي القضاة في الشطر الجنوبي من دولة المرابطين.

والإمام الحضرمي هو أول من أدخل علم الاعتقادات إلى المغرب الأقصى([9]) وذلك في مدينة أغمات، التي نزل بها وكون حلقته المشهورة التي جمعت حوله لفيفا من الطلاب([10]) ومن بين من أخذوا عنه علم الكلام، تلميذه أبو الحجاج يوسف الكلبي([11]) الذي أخذ عنه علم الكلام، وخلفه في علوم الإعتقادات حين رحل من اغمات إلى آزوكي مع الأمير أبي بكر بن عمر.

---

[3]* سامي النشار : الإشارة في تدبير الامارة ص 20 ، وابن الأبار :المعجم ص 374.

[4]* الإمام المحذوب كتاب المنة ـــ مخطوط

[5]* قبيلة يمنية مشهورة في منطقة الجوف بين نجران ومأرب

[6]* سامي النشار : الاشارة في تدبير الامارة ص 20

[7]* ابن باشكوال : الصلة، جزء 1 ص 547 - 548

[8]* هو عبد الله بن ياسين بن مكوك الجزولي، ولد في قرية قرب مدينة آداغوست الواقعة اليوم ضمن مقاطعة تامشكط في الحوض الغربي(موريتانيا). لاتذكر المصادر شيئا عن بدايات حياته سوى أنه رحل في طلب العلم إلى الاندلس في عهد ملوك الطوائف وأقام بها سبع سنين حصل فيها علما كثيرا. ثم رحل إلى المغرب الأقصى والتقى في دار المرابطين بشيخها الفقيه وجاج بن زلو حيث تتلمذ عليه هناك ومكث معه حتى ارسله مع أمير صنهاجة اللثام، يحيى بن ابراهيم الكدالي إلى صحرائهم ليعلم اهلها، ويؤسس فيما بعد (رباط ـــ التيدره) الذي كان القاعدة الأولى لانطلاق دولة المرابطين. يختلف المؤرخون حول نسبته إلى جزوله القبيلة المشهورة في اقصى المغرب، ويذهب الدكتور حسين محمود إلى نسبة عبد الله بن ياسين إلى قبيلة كدالة الصنهاجية في صحراء الملثمين بدلا من جزوله:(قيام دولة المرابطين ص 114) محمد محمود ولد بيه :الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين ص 57.

[9]* سامي النشار : الاشارة في تدبير الامارة ص 21

[10]* نفس المصدر السابق ص 29

[11]* نفس المصدر السابق ص 21

يقول ابن الزيات، بهذا الصدد في التشوف :<<خلفه أبو الحجاج في علم الإعتقادات، وغلب عليه الزهد في الدنيا و أهلها، وكان لباسه الخشن من الصوف وكان يختلف من آغمات ([12]) إلى مراكش>>.

لم يتفق المؤرخون كذلك، على التاريخ الذي أخذ فيه الأمير أبو بكر بن عمر، الإمام الحضرمي معه إلى صحراء الملثمين(موريتانيا) لتولى القضاء في عاصمة ملكه آزوكي.

وهكذا فلا يعرف بالتحديد هل انتقل الحضرمي مع الأمير أبى بكر بعد أن عهد هذا الأخير بأمور الدولة في الشمال إلى ابن عمه يوسف بن تاشفين سنة 453 هـ وعاد إلى معسكره في آزوكي ليخمد نار الفتنة التي اشتعل فتيلها هناك بين الخصمين التقليديين في قومه ـ لمتونه وكداله، أم انه جاء به بعدما عاد من هذه المهمة إلى الشمال، ليلتقي يوسف بن تاشفين سنة 565هـ ويتنازل له عن ملكه هناك ـ في السابقة المشهورة([13]) ـ ويكر عائدا إلى آزوكي بصفة نهائية في نفس السنة.

ويبدو أنه من الأرجح أن يكون الأمير قد اصطحب معه الحضرمي في عودته الأخيرة من الشمال، ومما يدعم هذا الإحتمال أنه بعد تنازله لابن عمه يوسف بن تاشفين تحت ضغوط نفسية وعسكرية قاسية، كادت تهز كيان الدولة المرابطية الفتية ـ لولا ورع وحكمة الأمير أبى بكر ـ بدا هذا الأخير وكأنه قد عزم على اقتطاع الشطر الجنوبي من الدولة ليتمتع فيه بشيء من الاستقلالية عن الشمال يمكنه من التفرغ لمواصلة الجهاد وتوسيع نطاقه، بعيدا عن مشاغل الشمال وهمومه، وهو ما تجسد فعلا في تقاسم الرجلين للجيش والسلاح، وربما المال ورجال الرأي كذلك، ليبدأ الأمير أبو بكر بعد عودته مباشرة إلى آزوكي في إعادة تنظيم مرابطي الجنوب تحت إمرته، ويدبر شؤون دولتهم محليا.

ولا بد أنه والحالة هذه لم يغب عن بال الأمير أبي بكر عندئذ وهو يقدم على هذه الخطوة، مدى افتقاره إلى رجل محنك ومتعلم، يشد عضده في أمره، ويملأ به الفراغ الروحي الذي أحدثه استشهاد الفقيه عبد الله بن ياسين سنة 451([14]) هـ.

لقد أحس الأمير أبو بكر، وهو يستعرض مع نفسه سلسلة الأحداث المتلاحقة والمؤثرة التي مر بها والتي انطوت على مفاجآت ومفارقات خطيرة، بدأ باستشهاد رفيقه ومعلمه الأول، عبد الله بن ياسين،ومرورا باستشهاد شقيقه وسلفه الأمير يحي بن عمر سنة: 447([15]) هـ، بعد ثورة الكداليين عليه وقتلهم له في ضواحي آزوكي،([16]) وانتهاء باستلاب ملكه في الشمال من طرف ابن عمه، وقائد جيوشه يوسف بن تاشفين الذي كان موضع ثقته هناك، وإرغامه له على تقبل الأمر والواقع... أقول أحس الأمير أبو بكر في مثل هذا الموقف، حاجة متزايدة إلى رجل متفقه في الدين، ذي عقل وتدبير للأمور ـ كالذي وقع عليه اختياره ليصطحبه إلى آزوكي.

---

[12]* أغمات : إسم لمدينتين هما أغمات وريكه وتقع على بعد ثلاثين ميلا شرقي مدينة مراكش، أما الثانية فهي اغمات ايلان(هيلانه) وكانت إلى الشمال الشرقي من الأولى على بعد اميال قليلة، وقد خربت هذه الاخيرة وأصبح إسم أغمات يطلق مجردا ليدل على اغمات وريك، العباس بن ابراهيم: الاعلام ج 1 ص 100

[13]* يؤكد ابن ابي زرع وابن عذاري أن يوسف ابن تاشفين لم يكن راغبا في التمرد على الأمير ابي بكر غير أن زوجته زينب بنت اسحاق النفزاوية، وهي الزوجة السابقة للأمير أبي بكر هي التي أبت عليه أن يتخلى عن مايبده من ملك وأنها حيكت له خطة محكمة ليصل إلى مبتغاه. وتقوم هذه الخطة على إظهار القوة والجفاء والغلظة مع الملاطفة بالهدايا، مما أثار ارتياب الامير الورع في امر يوسف الذي لم يكتفي بهذا المظهر الغليظ بل انه تعمد السلام عليه راكبا و لم تكن من عادته. فقال له : يايوسف ماتصنع بهذه الجيوش كلها؟ قال : استعين بها على من خالفني. وساله كذلك عن الإبل المحملة فقال يوسف.: ايها الامير جئتك بكل مامعي مال وثياب وشيء من الإيدام والطعام لتستعين به على الصحراء: روض القرطاس ص 135 . البيان المغرب ج 4 ص 23.

[14]* ابن ابي زرع روض القرطاس ص 132.

[15]* البيان المغرب ج 4 ص 114. الحلل الموشية ص 12-13

[16]* يعتقد أن ضريح الأمير يحي بن عمر يوجد قرب قرية وكشضه من ضواحي اوجفت.

كان الأمير أبو بكر قد تعرف على الإمام الحضرمي منذ أيامه الأولى بمدينة آغمات، وأعجب برأيه وارتبط به، واعتمد على استشارته في شؤون الدولة هناك([17]). وهو أحوج إليه في هذا الموقف اكثر من أي وقت مضى، ليعتمد عليه في مرحلته اللاحقة، ويتعلم منه دروب السياسة وأسرارها بعدما تجرع كؤوس الإحباط وسوء التقدير مترعة. أضف إلى ذلك أن اشتعال الفتن والنزاعات بين المجموعات والقبائل في الشطر الجنوبي من الدولة بين الحين والحين([18]) قد اظهر للأمير أبى بكر، وهو الذي ما يزال مشغولا بمطاردة فلول الوثنية على المشارف الجنوبية والشرقية لدولته، مدى افتقار تلك القبائل والمجموعات إلى أمام روحي ذي رأي ورشاد، قادر على انتزاع عصى الجاهلية والعصبية من أيديهم، والأخذ بهم إلى سبيل أهل السنة والجماعة، والفصل في نزاعاتهم بالعدل والإنصاف.

وهكذا وكما اسلفنا، لم يكن اختيار الأمير أبى بكر للإمام الحضرمي - الرجل المناسب - ليكون إلى جانبه في مثل هذه الظروف الصعبة، قد جاء من قبيل الصدفة وحسن الطالع فقط، و انما كان أيضا نتيجة لمراس وتعايش وتجربة.

لقد بادر الأمير أبو بكر فور استيلائه على مدينة أغمات سنة 449هـ إلى التعرف على أهل العلم، و أصحاب الرأي فيها.

وكان من أوائل من لقيهم الإمام الحضرمي الذي ارتبط به، واخذ برايه، وقدمه على غيره من علماء اغمات ووجهائها.

عاد الأمير ابو بكر اذن، بالإمام الحضرمي، فنصبه قاضيا في بلاده، وكانت إقامته بمدينة آزوكي التي أعاد المرابطون بناءها بعد فتحها، وشيدوا بها المساجد و اعمروها احسن عمران، واتخذوا منها أول عاصمة لملكهم ومنطلقا لفتحهم.

وقد عرفها الإدريسي في نزهة المشتاق في اختراق الآفاق فقال <<ان مدينة آزوكي من بلاد مسوفه ولمطه، وهي أول مراقي الصحراء، ومنها إلى سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة([19]). وظل الإمام الحضرمي قاضيا بآزوكي بقية حياته فيها.

وتذكر المصادر أن الإمام الحضرمي أسس في هذه المدينة محظرة لتدريس العلم :<< اشرف الأمير أبو بكر بن عمر على تأسيس أول محظرة على يد الإمام الحضرمي الذي توفى بمدينة آزوكي بعد أن ظل فيها معلما وقائدا>>([20]).

ومن مدينة آزوكي قام الإمام الحضرمي برحلة واحدة على الأقل، إلى قرطبة وذلك سنة 485هـ وكانت قرطبة يومئذ تحت حكم المرابطين.

واختلف هناك الإمام الحضرمي إلى ابي مروان بن سراج، وكان إمام الأندلس وحافظها، فسمع الحضرمي منه كتابه التبصرة، ثم عاد إلى آزوكي.([21]) وتذكر المصادر أن الإمام الحضرمي خلف أبنا كان من اكبر علماء الإسلام كذلك في علم الكلام والحديث، هو أبو الحسن على بن محمد بن الحسن الحضرمي، اخذ العلم عن والده ثم رحل من آزوكي إلى قرطبة ومنها إلى

---

[17]* ابن الابار : المعجم ص 374

[18]* ابن ابي زرع : روض القرطاس ص 134. وابن عذاري البيان ج 4 ص 20

[19]* ابن الزيات : التشوف ص 84

[20]* محمد الصوفي ولد محمد الامين : المحاظر في موريتانيا وأثرها التربوي، رسالة ماجستير جامعة الملك سعود الرياض.

[21]* سامي النشار : الإشارة في تدبير الإمارة ص 22

غرناطة حيث استقر هناك، ومن بين من أخذوا عنه فيها: أبو خالد بن رقاعه، وابو قاسم بن سمحون([22]).

ويذكر الإمام المجذوب، أن الإمام الحضرمي خلف ابنا آخر ورث عنه علمه وأنه عاش ومات في آزوكي([23]).

وهنا نذكر بأن عدة قبائل موريتانية - من الشرفاء - تنتسب إلى الإمام الحضرمي. وهذا من شأنه أن يدعم ما ذكره الإمام المجذوب([24]).

اما عن تراث الإمام الحضرمي فيقول سامي النشار: <<فلا شك أن الرجل يعني "الإمام الحضرمي" ترك تراثا كثيرا، وخاصة في علم الكلام.....وله تواليف حسان... له مشاركة في الأدب وقرض الشعر>>([25])

ويقول ابن باشكوال: <<كان رجلا نبيها وعالما بالفقه، وإماما في أصول الدين، وله في ذلك تواليف حسان>>([26])

ويقول ابن بسام:<<وكان أبو بكر هذا، فقيها فطنا، وشاعرا لسنا، فمن جمع براعة الفقهاء، وفصاحة الشعراء النبهاء، وتصرف تصرف المطبوعين، وتكلم بالسنة المحدثين >>([27]).

وهكذا وأمام هذه الشهادات، فلا بد أن الإمام الحضرمي قد ترك آثارا باهرة توازي مكانته العلمية التي أسهبت المصادر في تعديدها والإشادة بتنوعها.

والحاصل أن كل ما هو معروف حتى الآن من هذا التراث الكبير وللأسف، إذا ما استثنينا، كتاب الإشارة في تدبير الإمارة([28]) لا يتجاوز أربعة مصنفات صغيرة هي:

- أرجوزة الكبرى في الأصول والاعتقاد
- أرجوزة الصغرى في الاعتقاد
- كتاب التحبير في الأصول([29])
- رسالة في السياسة و أدب الإمارة([30]).

وأمام هذا الحجم الصغير من الأراجيز والرسائل الذي لا يسمو رغم أهميته، إلى درجة الزخم العلمي والمعرفي للإمام الحضرمي الذي تجمع المصادر على أهمية تراثه العلمي،لابد أن نستأنس بكتابه في السياسة ''الإشارة في تدبير الإمارة'' الذي هو دليل قوي على صاحبه. فقد ظهر فيه ظهور الفيلسوف الحكيم، والسياسي المحنك الذي يقرر للأمير أبى بكر بن عمر والجماعة، وجمهور المرابطين، بأسلوب جميل ومحكم، علاقة الحاكم بالمحكوم، وعلاقة المحكوم بالحاكم، وعلاقتهم جميعا بغيرهم، في السراء والضراء. ويأخذ بأيديهم إلى صرح الفضيلة والسمو الروحي والأخلاقي من خلال جملة من الآداب السامية، والنظم الفردية والجماعية، التي تروض النفوس وتهذب الأخلاق.

---

[22]* ابن فرحون : الديباج المذهب ص 45

[23]* الإمام المجذوب : كتاب المنة (مخطوط)

[24]* المختار ولد حامد: موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي ص 37 مخطوط.

[25]* سامي النشار : الإشارة في تدبير الإمارة ص 23

[26]* ابن بشكوال : كتاب الصلة، المسلسل 1326 ج 2 ص 572.

[27]* سامي النشار : الإشارة في تدبير الإمارة ص 166

[28]* طبع في الدار البيضاء، دار النجاح سنة 81 بعناية الدكتور سامي النشار، وظهرت منه طبعة بيروتية ثانية.

[29]* توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة القرويين بفاس تحت إسم اختصار تنبيه الانام. المرجع السابق

[30]* توجد منها نسخة مخطوطة بمكتبة المعهد الموريتاني للبحث العلمي بانواكشوط

وهذا ما يجعلنا نلتفت مرة أخرى إلى الوراء، لنتفحص فترة هامة من حياة الإمام الحضرمي، حتى نستوعب الأسباب التي جعلت منه ساعدا ايمن، ومستشارا أوحد، يشد عضد الأمير أبى بكر بن عمر، ويرسم له الخطوط العريضة لدستور الدولة المرابطية من خلال كتاب الإشارة في تدبير الإمارة، اعتمادا على ممارسة فعلية وتجربة غنية كان قد عاشها قبل هذه الفترة.

فقد ورد في كتاب "الذخيرة" لابن بسام ما نصه:<<وقلت دولة من ملوك الطوائف بالأندلس، إلا وقد ابتغى اليها وسيلة - يعني الإمام الحضرمي- وأعمل في الهجوم عليها حالا وحيلة، فتنزوي عن مكانه انزواء الخائف من الرصد، وتغص بإحسانه غصص العين بالرمد.

ثم كر إلى أمراء المرابطية بالمغرب، فانخرط في أسلا كهم، وعرض نفسه على أملاكهم، ووقع آخرا منهم إلى محمد بن يحي بن عمر، فاقتعد صهوة منبره، وولي قضاء معسكره، وأخذ ينجد ويغير، وطفق يدبر ويدير، وإنما أراد ان يسلك في حمل دولة المرابطين مسلك عبد الله بن ياسين>>([31]).

وهنا لابد أن نتساءل عن الدور الحقيقي الذي أطلع به قاضي المرابطين في آزوكي، بعد وفاة الأمير أبى بكر بن عمر طيلة العشرين سنة ([32]) أو اكثر، التي قضاها بعده في آزوكي...؟

لقد مر بنا أن الإمام الحضرمي تولى القضاء في مدينة آزوكي منذ أن جاء به الأمير أبو بكر من الشمال وظل قاضيا فيها إلى أن توفى سنة 489هـ.

ونص آخر:<<أشرف أبو بكر بن عمر على تدشين أول محظرة على يد الإمام الحضرمي الذي توفى بمدينة آزوكي بعد أن ظل فيها - معلما وقائدا>>.

ونص آخر : <<ووقع آخرا منهم إلى محمد بن يحي بن عمر، فاقتعد صهوة منبره، وولي قضاء معسكره، وأخذ - ينجد ويغير وطفق يدبر ويدير>>.

فهل يفهم من هذه النصوص أن قاضي آزوكي قد مارس بالإضافة إلى مهمتي القضاء والتعليم، مهمة - القيادة- وأخذ ينجد ويغير، وطفق يدبر ويدير...؟

واذا ما آخذنا بهذا كله مآخذ الجد، فهل كان ذلك في حياة الأمير أبي بكر؟ بمعنى أن هذا الأخير كان يستخلفه على شؤون الدولة إبان حملاته الجهادية في الجنوب والشرق، والتي ظل يقودها بنفسه إلى أن استشهد([33]) سنة 468هـ أم انه خلفه في القيادة بعد وفاته فقط ؟

إننا مدعوون إلى اعتقاد كلا الاحتمالين معا، بحكم المركز الروحي للإمام الحضرمي في أيامه:<<وانما أراد أن يسلك في حمل دولة المرابطين مسلك عبد الله بن ياسين>> فضلا عن أن مرابطي الجنوب قد يجدون أنفسهم مضطرين إلى مبايعة قاضي دولتهم ومعلمها، وواضع دستورها، وموضع ثقة أميرها الراحل، ليكون لهم عزاء فيه، ويملاءون به ولو بصفة مؤقتة، الفراغ النفسي والسياسي الذي أحدثه استشهاده المفاجئ.

لكننا مع هذا التلمس للتعلق بأسباب ما، من شأنها أن تؤكد قوة الاحتمالين، أو أحدهما على الأقل، ندرك أيضا صعوبة الوقوف على ما يزيل الشك في هذا الأمر.

إن كل ما هو متوفر حتى الآن عن هذه الفترة من معلومات هو عبارة عن شذرات متناثرة بين المصادر، ومتنافرة فيما بينها.

---

[31]* سامي النشار : الإشارة في تدبير الإمارة ص 166.

[32]* ابن عذاري : البيان المغرب ج 4 ص 26.

[33]* كان سبب استشهاد الامير ابي بكر بن عمر ان احد زعماء قبائل الموسى الوثنية ارسل بعض اتباعه إلى منطقة تكانت ومعه السحرة والادلاء لاغتيال زعيم المرابطين الذي "التى بعقيدة تسخر من السحر والطيمة التي كانوا يعبدونها" وقد تمكن أحد هؤلاء من اصابة الامير ابي بكر بسهم مسموم رماه به وهو قائم يصلي فقتله وقد دفن الأمير بموضع استشهاده وهو الموضع الذي يسمى به اليوم في تكانت "مكسم بن عامر" محمد احمد الغربي: موريتانيا ومشاغل المغرب الإفريقية ص 92 . j.kizerbo: op.cit.P1182

وتنقسم هذه المصادر إلى قسمين:
1) مصادر تاريخية
2) مصادر محلية - وثائق ومرويات شفوية
أما المصادر التاريخية، ونعني بها المراجع التي أرخت لدولة المرابطين، فلم تهتم كثيرا بالمنطقة، على الرغم من أنها هي - المهد والمنطلق والمصدر الروحي والعسكري الأول لهذه الدولة التي كانت الشغل الشاغل لهذه المصادر، وإن قدر لها ان تحدثت عنها فبالنزر اليسير جدا، ومن زوايا ضيقة، ومن منظار أبهة وزهو ملك الشمال وزخرفه. الشيء الذي جعل صورة الشطر الجنوبي لهذه الدولة - الصحراء- صورة باهتة وغير مشوقة في نظرهم، وهو ما أدى وفي وقت مبكر، إلى صرف النظر نهائيا عنها، كما لو كانت قد خلت من جميع مظاهر الحياة بعد وفاة الأمير أبى بكر بن عمر، مباشرة.
وكل ما يذكره المؤرخون عن الفترة – ما بعد الأمير أبى بكر، هو ما ترمز إليه هذه الجملة الخجولة:<<وعرفت زعامة المرابطين فتورا وشبه انحلال بعد أبى بكر بن عمر، مما هيأ الجو لدخول بني حسان>>.
ومعلوم أن استشهاد الأمير أبى بكر بن عمر كان سنة 468هـ، وبداية دخول بني حسان إلى المنطقة كانت في نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجريين([34]) وعليه فان فترة – الفتور والتحلل في الزعامة المرابطية بعد الأمير أبى بكر- تكون قد امتدت زهاء قرنين من الزمن. ولابد أن الفتور والتحلل- إن سلمنا بهذا الرأي- قد حدثا بصورة تدريجية بحكم قيمة هذه الفترة الزمنية في منطق تاريخ الدول والنظم.
2)المصادر المحلية:
وهي عبارة عن وثائق ومرويات يشكل بعضها ظلا للبعض الآخر، وتشترك في مميزات أهمها:
أ)غموض المصادر التي اشتقت منها معلوماتها
ب)الطابع الأسطوري الذي يطبع سرد الأحداث فيها
ج)المنحنى الروحي الذي يطغي على توظيفها
د)طول الفترة الزمنية التي تفصل بين الحيز الزمني لهذه المصادر، والحقب التاريخية التي تتحدث عنها.
لكننا وأمام غياب البديل الشافي للغليل، لابد لنا من تلمس وتفحص كل ما يقع في طريق بحثنا عن حقائق مجريات الأمور في تلك الفترة المظلمة من تاريخ آزوكي.
أولا: أرجوزة اللمتوني([35])
يذكر محمد مبارك اللمتوني أن دولة لمتونة"مرابطي الجنوب" قد امتد حكمها حوالي قرن ونصف من الزمن بعد ابي بكر بن عمر.
ويقرر اللمتوني في أرجوزته أن بداية الفترة ما بعد الأمير أبى بكر، قد امتازت بالإستقرار السياسي، بدليل أن عددا من أمرائها حكموا الدولة لفترات تتراوح بين ثلاثين وستين سنة بينما تميز آخر هذه الفترة بالضعف والتشرذم([36]).
والأمراء الذين حكموا حسب الأرجوزة هم على التوالي:

34* البيان المغرب في اختصار اخبار الاندلس والمغرب ـــ القسم 3 تاريخ الموحدين ص 466
35* ارجوزة تتكون من مائة واثني عشر بيتا توجد نسخة منها في قسم المخطوطات بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي بانواكشوط.
36* اعتمد المختار ولد حامد هذا الرأي في الموسوعة مع إضافات بسيطة.

محمد بن ابي بكر بن عمر، والخضير بن يوسف الذي حكم مدة اربعين سنة، وعتبة بن الخضير الذي خلفه ودام حكمه ستين سنة، والبشارة بن عتبة الذي دام حكمه ثلاثين سنة.
ثم حكم من بعد هؤلاء كل من الأميرين بادي بن البشارة، ومحمد الممبري اللمتوني.
وبعد هؤلاء الأمراء الستة، يقول اللمتوني: انقسمت دولة لمتونة إلى أربع دويلات حكمها أربعة أمراء هم: بيلك، احمد بن محمد، اعمر الأشفغي، الهاشمي اشفغه([37]).

ثانيا: موسوعة حياة موريتانيا:([38])

لا يختلف كثيرا ما أورده المختار ولد حامد في الموسوعة عما ذكره اللمتوني عن هذه الفترة. بل ان ولد حامد قد اعتمد ما أورده اللمتوني، وزاد عليه نصا نقله عن كتاب عجائب المخلوقات:<<وبقيت افريقية في يد الملثمين إلى ان استردها منهم محمد "الناصر" بن يعقوب الموحدي سنة595هـ وطردهم إلى البر([39])

ثالثا: كتاب المنة([40])

يعتبر كتاب المنة أول وأهم مصدر محلي يهتم بالإمام الحضرمي، حيث ان مؤلفه الإمام المجذوب، هو الذي قام باكتشاف ضريحه الذي ظل مجهولا لدى أهل المنطقة قبله. وقام بالبناء عليه، وأحاطه بهالة من التقديس والتكريم، كانت وراء شيوع ذكره من جديد في عرض البلاد وطولها، وسببا كذلك في جر الناس إلى زيارته والتبرك بجواره. لكن كتاب المنة، ينحو للتاريخ له منحى يغلب عليه الطابع المعرفي والروحي اكثر من غيره:<<الحمد لله الذي جعل الحضرمي سبب نجاة من نجا من اهل المغرب...أتاه من أقصى اليمن .... إسلام المغرب على يده...ثم مات في موضع إفشاء سره>>..إلى غير ذلك من الإشارات والإماءات التي لا تفصح عن حقائق سياسية تذكر. وهكذا فلا نجد في كتاب المنة شيئا واضحا ومحددا عن الجانب السياسي من حياة الإمام الحضرمي باستثناء ما اورده على لسانه من افكار وآراء تندرج في إطار تنظير سياسي موجه، لكنه يدل وبصورة واضحة على ثقافة سياسية واسعة كما سنرى لاحقا.

رابعا: الرواية الشفوية:

أما الرواية الشفوية فتجعل من-الشيخ الإمام الحضرمي-قائدا اسطوريا، ووليا زاهدا في آن واحد، مع ملاحظة طريفة وهي أنها أي الرواية الشفهية، تحذو حذو كتاب المنة في تركيزها على الإمام الحضرمي دون غيره من زعامات زمانه مثلما تجاهل اللمتوني الدور السياسي للإمام الحضرمي ولم يذكره لا في العير ولا في النفير. تقول الرواية الشفوية عن الإمام الحضرمي:<<كان يعيش مع النعام متزهدا، في منطقة آمساكه([41]) وذات يوم رءاه صياد من البافور([42]) فتبعه ليقتله. إلا أن الشيخ الصالح استطاع أن يفر بأسرع من النعام حتى جاء إلى جيش أبى بكر بن عمر، فركن إليهم ونعت لهم قرية عظيمة هي " مدينة كلاب"([43]) التي يسكنها كفار.

---

[37]* يذكر المختار ولد حامد في الموسوعة أن أسماء هؤلاء الاربعة موجودة في اسلاف قبائل المتونه الحالية : انظر مخطوط الموسوعة بالمعهد الموريتانية للبحث العلمي بانواكشوط

[38]* المختار ولد حامد : مخطوطه بقسم المخطوطات بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي بانواكشوط.

[39]* انظر المصدر السابق الجزء السياسي

[40]* الإمام المجذوب كتاب المنة مخطوط

[41]* سهل واطئ يقع إلى الغرب من جبل آدرار مما يلي آزوكي.

[42]* يطلق اسم البافور على المجموعات البشرية التي كانت تسكن جبل آدرار قديما وهي شعوب تمتهن الصيد البري والزراعة والصناعات المنزلية ويتحدث البعض عن أصولها الإسبانية ويرجع إليهم الفضل في بناء مدينة آزوكي. والبافور هم أول من بنى القرى من الحجارة في صحراء الملثمين(موريتانيا) وظل جبل آدرار يعرف باسمهم حتى القرن الخامس عشر الميلادي: الصحراء الكبرى ص 97.

[43]* يطلب إسم مدينة كلاب على مدينة آزوكي في الرواية الشعبية، دون أن يكون له اصل في المراجع التاريخية. وربما اشتقت التسمية من أن البافور كانوا يصطادون بالكلاب.

وبعد ذلك توجه الجيش إلى آزوكي -و الشيخ على رأسه- وعند وصوله وسط القرية وجه البافور إليه كلابهم، وهي رهيبة. فقام الشيخ الإمام الحضرمي يأمرها قائلا: ارجعي إلى أربابك فطاعت له الكلاب، إلا أنه ضمن الجيش البافوري شيخ أعمى مسلح بقوس. فقال لابنته التي تقوده: انظري اين يوجد القائد، وصوبي إليه سهمي، فاستطاعت البنت معرفة الشيخ الإمام الحضرمي الذي أصيب بين العينين فقتل>>([44]).

وهكذا فان الرواية الشفوية تجعل من الإمام الحضرمي الرمز الأوحد لدولة المرابطين في الجنوب وتجمع له بين الإمامة والحرابة.

الإمام المجذوب([45]). نشأته وثقافته وخلفية اكتشافه لقبر لإمام الحضرمي.

هو الإمام المجذوب، محمد بن احمد بن احسين بن أبي اسحاق بن احمد بن شمس الدين-الأصغر- بن محمد فاضل بن شمس الدين([46]) الأكبر.

يشكل جيل الإمام المجذوب الطبقة الثامنة بعد شمس الدين بن يحي الجد.

ولد في آطار في أواخر القرن العاشر أو أوائل القرن الحادي عشر الهجريين([47]) في وسط علمي يعج بالخير والبركة.

كان الإمام المجذوب عالما أصوليا، وفيلسوفا متصوفا، ذا دراية واسعة بعلم الكلام وميول واضح إلى التأويل العقلي ذي النزعة المتصوفة للعقائد، وله إلمام بعلوم الاجتماع والسياسة، وعلوم القرآن والأدب.

يكتنف الغموض بداية حياته الثقافية والعلمية، حيث تجمع المصادر على أنه قد نشأ أميا - دون أن تحدد الموانع التي حالت دون تعلمه رغم أهمية بيئته الثقافية التي نشأ وترعرع فيها.

وقد ورد في كتابه، كتاب المنة، ما يدل على ذلك، وذلك في سياق تزكية دعوى كرامته التي تمثلت في اتصاله - الروحي - بالإمام الحضرمي وأخذه العلوم عنه:<<فلما زرنا القبر مرارا وتكرارا، ولازمناه ليلا ونهارا صرنا نكتب ما سمعتموه جبرا من الله لنا>>.<<وأما أمر من قبل الله على يد جاهلة بالكتابة، علمتم أنه لأمر عظيم وخير جسيم>>.<<هاهو - يعني العلم - أخرجه الله من الأرض، من ميت على حي جاهل>>. إلى غير ذلك من النصوص التي وردت في كتاب المنة، والتي تنحو هذا المنحى.

والحاصل أنه بعد أن جاوز صاحبنا سن الطفولة، بدأت تظهر عليه دلائل التصوف والزهد، فآثر الخلوة والركون إلى العبادة. مما لفت الأنظار إليه في وقت مبكر من حياته، وخلق له مكانة احترام وتقدير في قلوب الناس، فكانوا يترددون إليه بالهدايا، ويتبركون بدعائه، ويأخذونه معهم للإستسقاء في زمن القحط. وفي هذه الأثناء تقول الرواية:<<طلب منه أخ في الله([48]) زيارة

LERICK ALBERT:PETITE NOTE POUR SERVIRE L'histoire D'ATAR MAURITANIE, IAF 952 المرجع *44

*45 أطلق هذا اللقب عليه وهو ما يزال في صيونه بعد ما ظهرت عليه أمائر الصلاح و النسوك وحب حياة الخلاء. وهو اصطلاح صوفي يرمز إلى درجة من المعرفة الالهية و الزهد .

*46 هو الشريف شمس الدين بن يحي القلقمي ينتهي نسبه إلى فاطمة الزهراء. كان أول إمام لأهل شنقيط وبقي كذلك إلى أن توفي في أواخر القرن الثامن الهجري ودفن هناك وقبره مشهور بمقبرة شنقيط القديمة: احمد ابن الأمين ، الوسيط في تراجم ادباء شنقيط ص 459و شنقالي ولد احمد محمود : لمحات من تاريخ شنقيط. مخطوط. وهذه النسبة بهذا الترتيب وجدتها بخط باتم بن احمد على مقلوب الصفحة الأخيرة من المصنفين الأول والثاني.

*47 انظر الصفحة الأولى من مخطوط اهل اعبيدنا و الصفحة الأولى من ترجمة باتم بن احمد.

*48 هو عبد الفتاح(اعبيدنا) بن الطيب احد علماء آطار المشهورين في زمانه.

رجل صالح مدفون في تيارت([49]) مجهول المحل فانشرح صدره وسار معه حتى وجد موضع فيه اثني عشر حجرا وفيه شجرة. فوقع في نفسيهما ان ذلك هو محل قبر ذلك الصالح فذبحا عند شاة ـ قالوا ـ فارتفع دمها إلى السماء واهتزت الشجرة فركنت نفساهما لذلك.

ثم أن الإمام المجذوب، نام فرأى في نومه صاحب القبر وهو ينفث في صدره ريحا باردة، فصار من ذلك الوقت تأخذه الحمى وترم يده حتى تكتب ما يمليه عليه صاحب القبر، إلى أن اجتمع من ذلك ستة أجزاء متوسطة تمسك بها بعض و أنكرها بعض آخر.

وكان من بين من أنكرها عالم شنقيط الطالب محمد بن المختار بن الأعمش وكتب في ذلك نظما ونثرا.

ثم أن الإمام المجذوب حج سنة 1081هـ ومعه ابنه عبد الرحمن واحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن وعبد الله بن احمد بن شمس الدين وآخرون. فعرضوا الكتاب على علماء جامع الأزهر فكتب في تسليمه : ابو اسحاق الشهراني([50]) وعبد الباقي الزرقاني([51]) وعلى الأجهوري([52]) ومحمد الخرشي([53]). وكتب في تسليمه برهان الدين([54]) :<< وقد اطلع الفقير إلى ربه على مواضيع من ذلك الكتاب، فوجدها موافقة لكلام اهل السنة والجماعة. ولا يتوقف حصول العلم على تعليم حي، بل يكون من ميت كما وقع لذلك الرجل الصالح، وقد يكون بالإلهام من الله تعالى كما وقع للإمام البخاري.

وكما في بعض الأحاديث : ما تخذ الله من ولي جاهل، وإذا اتخذه علمه، إلى غير ذلك من الأدلة. فلا ينبغي لمعترض، إن يتعرض لشيء من ذلك الكتاب، فان لم يفهم المعترض معناه فغيره يفهم>>([55]) بينما نقل الفقيه عبد الودود ولد احمد مولود.([56]) عن الرواية المشفوية مانصه : ان صاحب الإمام المجذوب الذي رافقه إلى قبر الرجل الصالح ـ المجهول المحل ـ كان قد رأى في المنام قبل ذلك صاحب القبر المذكور، فطلب منه أن يأخذ معه لإمام المجذوب لينقل عنه هذا الأخير ـ بعض العلوم التي توفي عنها قبل أن ينشرها.

وللاستدلال على موضع قبره، أمرهما أن يأخذا معهما كبشا أبيض اللون، ويذبحانه على هضبة(انطرزي)([57]) ويتركانه يترنح، وحيثما أستقر ميتا فذلك هو موضع القبر المطلوب.

أما القاضي بانم([58]) بن احمد فقد أورد في مقدمته لكتاب المنة ما نصه:<<وكان من أمره انه يأتيه- يعنى الحضرمي- في المنام بكيفية يتلقى منه بها العلم، فيفيض عليه من العلوم أسرارا ربانية وعجائب لدنية فتنتفخ يده ويأمرها الله بالكتابة حتى جمع من ذلك كتبا>>.

---

[49]* واد كثير النخل تقع مدينة آزوكي في اسفله بينه وبين مدينة اطار حوالي 6 كلم.

[50]* ابو اسحاق الشهراني لم نجد له ذكرا في المراجع التي بين ايدينا.

[51]* هو ابو محمد عبد الباقي بن يوسف، من كبار الفقهاء، له شرح على مختصر خليل. ت 1099هـ

[52]* هو علي بن زين العابدين الأجهوري شيخ المالكية بمصر في عهده. له شروح على مختصر خليل ت 1106هـ

[53]* هو ابو عبد الله محمد: له شرحان كبير وصغير على مختصر خليل. ت 1101هـ.

[54]* هو برهان الدين بن ابراهيم بن مرعي الشبرخيتي، له شرح على مختصر خليل. ت 1106هـ.

[55]* المختار ولد حامد: موسوعة حياة موريتانيا ج السياسي مخطوطة المعهد الموريتاني للبحث العلمي. ومقدمة بانم بن احمد مخطوطة بحوزة المحقق.

[56]* هو الفقيه عبد الودود ولد احمد مولود ولد انتهاه ولد في اطار سنة 1267هـ. كان من اكابر علماء زمانه و كان إماما مسجد اطار العتيق الف في الفقه والتاريخ والتصوف ومن اشهر كتبه في التاريخ تحفة الاخيار في الغامض من الحروب والاخبار ت 1372هـ.

[57]* هضبة تطل على مدينة آزوكي من جهة الشرق

[58]* هو القاضي عبد الله بن احمد الملقب (بانم) كان من اكابر علماء زمانه، وهو اشهر من اهتم بجمع تراث الإمام المجذوب حيث أعاد تدوين اجزاء منه في بداية القرن الثالث عشر الهجري ت 1242هـ له تواليف حسان في فقه العتازات من اهمها الاملاك والدلاك، مخطوط في مكتبة اهل انتهاه.

وهكذا فان الطابع العام لهذه الروايات يميل بوضوح إلى الخرافة في توظيفه، وهو ما جعل من الإمام المجذوب في الذاكرة الشعبية - شخصية أسطورية - تكاد تكون من نسيج الخيال فحسب، الشيء الذي حال دون التقييم السليم والموضوعي لشخصيته الثقافية ذات البعد العلمي الكبير من جهة، وصرف النظر نهائيا عن مزايا حركته الإصلاحية التي يرجع إليها الفضل في كل ما شهدته المنطقة من نشر للمعارف، و توطيد للسلم الاجتماعي، والإستقرار فيها في تلك الفترة.

وهنا نذكر بأن الطابع الأسطوري لتوظيف الأحداث الذي طبعت به الرواية بداية علاقة الإمام المجذوب بالإمام الحضرمي، هو جزء من سياق عام عرفته مناطق عديدة من البلاد في تلك الفترة، تميز بنزعته الصوفية الباطنية القوية، وبالميول المطلق إلى الخوارق والكرامات، و التشبث بالغيبيات، فشكل في سياق الرواية الشفوية نمطا من أنماط التنافس"الملحمي"تحتفظ كل منطقة لنفسها بشيء منه.

ففي مدينة شنقيط تروي الرواية قصة - الشاب الشاطر-([59]) الذي «وصل إلى شنقيط في القرن الحادي عشر (الهجري) وهو من العجائب.. قالوا: ذكر أحد خدام النخل، انه رأى شخصا، دخل في عين من عيون النخل، وهي جب ليس بالطويل، يغتسل ليلا، وأنه كلما دخل تضيء بنور كالسراج - وكان ذلك في شدة البرد، ومدينة شنقيط باردة جدا، فاخبر أحد العلماء فأمره بالقبض عليه إذا راءاه مرة أخرى، وان يأتيه به إذا قبضه. فاتاه به فأراد أن يستنطقه فلم يفه بكلمة واحدة.

وكان ذلك العالم : فهم انه من أولياء الله، فوضع العالم اصبعه بين شفتيه فعلم انه يشير له إلى: من كتم علماعلمه ألجمه الله بلجام من النار، فقال : دعني وذلك اللجام، ثم انهم وجدوه بحرا لا ساحل له، فانتخب أربعة منهم يعلمهم، ثلاثة من العلويين والرابع بكري.

ولما أراد السفر عنهم قال لهم : تركت فيكم المحمدين والعبدلين وابن المختار، يعني الطالب محمد، قالوا: أقام فيهم سنة وانتفعوا منه كثرا. ثم انه اخذ أحد تلاميذه المذكورين وابلغه المحيط الاطلنطيقي فوضع - آيليويشه، أي فراشه الذي يجلس عليه ، على ثبج البحر، و توارى عنه تتعاطاه الأمواج على جهة قصده([60]).

وفي مدينة أوجفت تحكي الرواية حادثة، اختفاء العلامة المتصوف أحمد سيفر بن محمد([61]) أمير قوافل المدينة في تلك الفترة، والذي كان عائدا بقافلته محملة بالبضائع والمؤن من منطقة حوض نهر السينغال.

«فقالوا أوشك رجال احمد سيفر أن يهلكوا من العطش في منطقة "أجبيتن"([62]) وذهب بهم الهلع إلى أن عقروا أكثرية جمال القافلة بحثا عما تختزنه بطونها من المياه. وكان آخر واحد فقروا بطنه من الإبل هو جمل أحمد سيفر، وقد فقروا بطنه حيا من شدة الهلع.

وكان من عادة احمد سيفر هذا، وهو رجل ناسك ذو خصوصية وبركة و كرامات مشهودة، أن ينزوي بعد أن تحط القافلة أمتعتها، يعبد الله ولا يخالطهم إلا في أوقات الصلاة.

وعندما عاد إليهم هذه المرة ليتهيئوا للصلاة، وكان الوقت وقت العصر، وجدهم منهمكين في اقتسام ما تمكنوا من استخلاصه من المياه من أمعاء الجمل الذي لا يزال يلفظ أنفاسه الأخيرة وكان عزيزا عليه، ففوجئ به وقد فقرت بطنه وقطعت أمعاؤه.

---

[59]* عرفه صاحب فتح الشكور بإسم الشريف الشاب.

[60]* احمد بن الامين: الوسيط في تراجم ادباء شنقيط ص 578 - الطبعة الثانية

[61]* عالم متصوف، كان يلقب في زمانه بـ "رجل الدين والدنيا" ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري وكانت له علاقات واتباع في منطقة حوض نهر السينغال: محمد محمود ولد الحسن ولد امغر ، الخبر اليقين من تاريخ ابناء شمس الدين، مخطوط بحوزة المحقق.

[62]* مناطق صحراوية تتخللها هضاب جبلية لا توجد بها نقاط مياه تقع على الطريق بين اوجفت وابي تلميت.

فاستعظم الأمر الذي وقع دون استشارته، فطار من بينهم تحمله أجنحة براقة كأجنحة الطائر وتعلقت به - زحافته -([63]) الربية، وحلق الاثنان في سماء المنطقة وقتا ليختفيا عن الأنظار إلى الأبد.

وعندما تأمل أصحاب احمد سيفر موطئ قدميه، وجدوا به ماء بفور فشربوا منه وبنوا حوله معلم يهدي إليه.>>([64]).

وفي منطقة القبلة كان ناصر الدين([65])، بكراماته وخوارقه، حيث كان يدعي انه يلتقي بالخضر عليه السلام، فيأمره بأشياء، وينهاه عن اخرى، ويقول : إن فلانا عمره كذا، وموته بمحل كذا بسبب كذا، وانه شقي أو سعيد، وانه يسلم من هول الصراط، ويقع في هول الميزان، وانه يأخذ كتابه بيمينه أو بشماله. ويقال بمسمع منه إنه هو - المهدي المنتظر - ولا ينكر، بل ربما أشار إلى انه هو([66]).

وقد برزت هذه الظواهر في خضم الأزمة المتنامية التي ميزت تلك الفترة من القرن الحادي عشر الهجري، والتي ساد فيها الخوف الأوساط الدينية في بلاد شنقيط، وعم الإعتقاد بان حالة الانهيار والتمزق التي عمت بها البلوى، ما هي إلا مؤشر على نهاية الدنيا واقتراب الساعة.

وأن ما يجري من ظلم وقهر وفساد، هو من قبيل أشرطها، طبقا لما ورد من وصف لعلاماتها.

فانصب الإهتمام العام حول الظواهر التي تدخل في سياق الكرامات و الخوارق تلمسا - للمهدي المنتظر - الذي يعتقد أنه يظهر في ظروف كهذه، فيسعى إلى القضاء على الفساد، ويرجع الأمور إلى نصابها، فتسود به الرحمة، ويسود به الرخاء والعدل.

وهكذا انتشرت بسرعة، وعلى نطاق واسع في هذا الجو، ظواهر الدعاوي المتمهدية وركب الميول إلى تصنيف وتفسير ما يظهر من كرامات وخوارق. واحتلت مثل هذه الأمور مركز الصدارة في تفكير عامه الناس مما سهل شيوعها والأخذ بها مأخذ الجد.

ومن جانبهم تعمد من تنسب إليهم مثل هذه الدعاوي، الإحجام عن نفيها أو إثباتها، بغية تركيز خلفية دعائية وسياسية غايتها استقطاب المتذمرين والمستضعفين، وكذا رجال الدين المتحمسين لصحبة ذلك - المهدي المنتظر، وحفز هؤلاء وأولئك على حمل مشعل التغيير المنشود.

وهنا نلاحظ على الخصوص اوجه الشبه الكثيرة بين الإمامين المجذوب وناصر الدين.

فعلاوة على نزعتهما الصوفية التي تتجلى بشكل واضح في تفسير القرآن والحديث بالطرق العقلية، يشتركان كذلك في قوة التشبث بالعلوم الشرعية الظاهرة من جهة، والنزعة الصوفية الباطنية، والميل الواضح إلى الخوارق والكرامات والتنبؤ بالغيبيات من جهة أخرى.

وهو ما جعلنا نجزم بوجود تطابق كبير في الأهداف الإصلاحية التي سعي الرجلان لتحقيقها في آدرار والقبلة، تحت هذه المظلة الروحية، و في فترة زمنية واحدة، علاوة على تشابه العاملين السياسي والاجتماعي اللذين طبعا تلك الفترة في كلا المنطقتين.

وبغض النظر عن دعوى العلاقة الروحية للإمامين المجذوب وناصر الدين بالحضرمي والخضر، وما يزعمان من انهما يتلقيانه منهما من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر. وحث على التعلم والجهاد، و منطق الوعظ الذي انتهجاه أسلوبا تعبويا للرأي العام حولهما، فان فلسفة التغيير لدى الرجلين لا يمكن فصلها عن التيار الإصلاحي العام الذي ساد شبه المنطقة.

---

[63]* هي الربية بنت احمد سيفر، امرأة مقعدة مشهورة بالصلاح وملازمة والدها حيث كانت لاتفارقه في الحل ولا في الترحال.

[64]* حفرت بئر بهذا الموقع بعد جفاف النبع ولازالت آثارها موجودة في مكانها وتسمى "ازكيمير".

[65]* هو اوبك بن ابحم الشمشاوي، تلقب بالقاب منها : سيدنا، إمامنا، ومقيم الدين ومشيع الدين ثم ناصر الدين: امر الولي ناصر الدين محمد سعيد البدالي. مخطوط بحوزة المحقق.

[66]* انظر فتوى ابن الهاشم القلاوي التي ادانت الرجلين.

وكما ذكرنا سلفا، فقد بدء الإمامان المجذوب وناصر الدين دعوتهما الإصلاحية في فترة اتسمت بالعنف والفوضى، وتذبذب الحالتين السياسية والاقتصادية فضلا عن العامل الاجتماعي الذي تهيأ بعد دخول بني حسان إلى المنطقة، وبروز معادلة: - بني حسان - الزوايا في المجتمع الجديد، وكذا التأثيرات الخارجية للصراعات التي عرفتها بعض مناطق آزواد، والمغرب الأقصى المجاورة، والتي أدت إلى قلب موازين القوى فيها، وغيرت ملامحها السياسية، و أبرزت العامل الديني من جديد كعامل تغيير فعال فيها.

ففي الجنوب الشرقي سقطت مملكة (سنغاي) تحت وطأة حملة الباشا جودر سنة 999هـ بعد احتلاله لمدينتي كاوا و تمبكتو([67]) وصاحب تلك الحملة اضطهاد وتنكيل بعلماء المنطقة تمثل في قتل بعضهم، وأسر البعض الآخر وترحيله إلى مراكش([68])، الشيء الذي احسته الأوساط العلمية في عموم المنطقة بمرارة، وحدا بالكثيرين من علماء (آزواد)([69]) إلى النزوح نحو الشمال ليستقروا بمدن تشيت، ولاته، شنقيط، ودان.

وفي الشمال أتاحت فرصة ضعف الدولة السعدية وعجزها عن صد الغزو الأوروبي، وأزمة الصراع على السلطة فيها، بعد وفاة ملكها القوي احمد المنصور الذهبي سنة :1012هـ وتصدى (الزوايا الدينية) هناك بنجاح لذلك الغزو الأوروبي، أتاحت كل هذه التطورات للزوايا أن تتبوأ مركزا مرموقا بين صفوف المغاربة الذين اتجهوا إليها بثقة كبيرة كسلطة بديلة، بعد أن تداعت أركان الدولة السعدية([70]) الشيء الذي ساعد الزاوية الدلائية على السيطرة في غرب المغرب على مدن مكناس وفاس وسلا، بعد هزيمة ساحقة للسلطان السعدني محمد الشيخ الصغير سنة 1048هـ([71]) وكانت زاوية أبي محلي قد احتلت سيجلماسة ودرعة وتاردانت، واستولت على العاصمة السعدية مراكش وطردت السلطان: زيدان بن المنصور سنة 1022هـ وتمكن زعيمها من الحصول على بيعة سكان تمبكتو([72]).

وقام أبو حسون مؤسس الزاوية السملالية بتأسيس مدينة ايلغ التي أصبحت في وقت مبكر عاصمة ذات شأن وذلك سنة 1021هـ والتي امتدت يد سلطانها إلى الصمراء - موريتانيا - حيث سيطرت على طرق الذهب ومنجم الملح في تغازة([73]).

ومن المؤكد أنه كان لانتشار صيت هذه الزوايا وانتصاراتها على الأوروبيين والمغافرة([74]) تأثيره الكبير في الأوساط الدينية في بلاد شنقيط، التي تعيش من جهتها حالة متنامية من التأزم والتشرذم تحت وطأة التناقضات الداخلية من جهة، والتواجد الأوروبي المتزايد على شواطئ المحيط الأطلسي والنهر([75]) وآدرار([76]) من جهة أخرى.

---

[67]* الشيخ عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان ص 139

[68]* نفس المصدر السابق ص 168

[69]* يطلق اسم ازواد على المناطق التي تشتمل على تيمبكتو وكاوا واخويت راس الماء ومناطق أخرى

[70]* ايلغ قديما وحديثا ص 34

[71]* الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي — محمد حجي : ص 154

[72]* الغ قديما وحديثا ص 15

[73]* نفس المصدر السابق ص 98

[74]* يذكر محمد حجي أن المغافرة اشتركوا في معارك مع بعض الزوايا في المغرب : الزاوية السملالية الزاوية الدلائية ص 140.

[75]* احتل البرتغاليون منطقة آركين سنة 1441م وأنشئوا بها مركزا سنة 1445. واستولى عليه الهولنديون سنة ثم طردهم الإنكليز :سنة 1665م وخلوا محلهم فيه، ثم انتزعه منهم الفرنسيون سنة 1666؛ واستولوا على بورت راندبك (اجريده الحالية) من الهولنديين سنة 1721م.

[76]* وصل البرتغاليون إلى ودان وشيدوا بها معملا سنة 1487م. وتتحدث الروايات عن وصولهم إلى آزوكي وتتحدث عن إطلال محطة لهم هناك.

وهكذا ساعدت هذه العوامل وغيرها في بروز محاولات إصلاحية مشبعة بروح التمرد والثورة على الواقع المتردي، متخذة من - البحث عن الحق والدفاع عن المظلومين والمضطهدين وإشاعة العلم والمعرفة والفضيلة والتمسك بالسنة النبوية والدفاع عنها مبادئ أساسية لدعوتها([77]) فوجد المضطهدون من المجتمعات الدينية وغيرهم في مثل هذه المبادئ التي تدعوا إليها هذه الحركات الإصلاحية، أملا داعب شعورهم بإمكانية تغيير واقعهم. وهكذا كون تجمع (تشمشه)([78]) في بدايات القرن الحادي عشر الهجري، النواة الأولى في منطقة "القبلة" التي تشكلت على أساسها الحركة الإصلاحية التي أسسها فيما بعد الإمام ناصر الدين، والتي كونت مركز استقطاب رئيسي في المنطقة، أمه طلاب العلم، والمستضعفون من الناس، وكذا الساعون إلى التغيير، فتكون نتيجة لذلك التواجد البشري الكبير، ما يمكن أن نسميه - زاوية دينية - بمفهومها الشائع يومئذ في المغرب الأقصى.

ومن بين ما ترمي إليه الزاوية الشمشاوية، خلق مجتمع جديد مغاير لمجتمع الظلم والفساد القائم، يتخذ من روح القرآن والسنة النبوية قاعدة أساسية.

وكان لهذا المجتمع النموذجي، تأثيره القوي في الأوساط الزاوية في المناطق الأخرى، مما تمثل في محاكاة وتشبه بعض قبائل الزوايا بهذه المثل([79]).

وشيئا فشيئا، اصبح الإتجاه الإصلاحي أحد المظاهر البارزة في عموم البلاد. وتبلورت أهدافه لتخرج من طور النضال السلمي والاعتماد على الخوارق و الكرامات كوسيلة ترهيب وردع، في "القبلة" إلى جهاد مسلح يتجاوز تلك الأساليب التي لم تعد كافية لصنع آلية التغيير.

وقد ساعد على قيام تلك الحركة وتنشيطها مدى تقبل العديد من القبائل الزاوية في المناطق الأخرى لأهدافها الإصلاحية الشيء الذي برز جليا في حجم المشاركة الواسعة لهذه القبائل في دعم الحركة قبل وأثناء "حرب شر ببه"([80]).

الحركة الإصلاحية المجذوبية في آدرار، و بنيتها الاجتماعية والسياسية:

أن أهداف الحركة الإصلاحية التي أسسها الإمام المجذوب في مطلع القرن الحادي عشر هـ في آدرار، لا يمكن فصلها عن التيار العالم للحركات الإصلاحية التي ذكرناها آنفا، إلا أن الحديث عن هذه الحركة يستوجب رجوعا إلى الوراء، لتوضيح بعض المسائل ذات العلاقة بها، مثل: المحيط الاجتماعي الذي نشأت فيه، والظرفية الاقتصادية والسياسية المحلية التي أحاطت بنشأتها، فضلا عن خلفية الإشكالية التي سببتها "العلاقة بالإمام الحضرمي"، وانعكاسات ذلك على مصداقيتها داخل وخارج منطقة آدرار.

لقد عرفت منطقة آدرار بحكم موقعها الجغرافي و الإستراتيجي على الطريق التجارية بين الشمال والجنوب نوعا من الإستقرار في القرنين السابع والثامن الهجريين مما تمثل في جنوح سكان

---

[77]* محمد سعيد البدالي: شيم الزوايا مخطوط ص 25

[78]* تعني هذه التسمية حسب المختار ولد حامد الاخوة الخمسة الذين شكلوا حلف تشمشه.

[79]* محمد سعيد البدالي : شيم الزوايا مخطوط ص 27

[80]* شاركت في دعم مجهود ناصر الدين في حربه قبائل : احيجبه، تندغه، إدوعلي، بارتيل، إيدابلحسن، ادغريب، تاكنيت، اولاد ابيبرى، اولاد سيد الحاج. وشاركت قبيلة الشماسدة بـ 60 رحلا مسلحا: البدالي : امر الولي ناصر الدين، مخطوط ص 4. والكونل مودا : COLONEL MODAT :ARABES. PORTUGAIS... IN B.C.E.H.S DEL'A.O.F. ENTRE 1918/ 1938 P561.

المنطقة إلى التوسع في عملية التقري، والتمدن، وانتشار النشاطات الزراعية والتجارية في المنطقة.

وفي هذه الأثناء أسست قبيلة تجكانت مدينة تنيكي([81]) وشيدت قبيلة "ادولحاج" مدينة وادان([82]) وأسست قبائل : "ادوعلي" و"الاقلال" و"الشماسدة" مدينة "شنقيط"([83])، وقد لعبت هذه المدن أدوارا اقتصادية وثقافية بارزة في تلك الحقب وعرفت إقبالا وازدهارا كبيرين حيث كونت فيما بينها منطقة استقطاب رئيسية في عموم المنطقة، فأمها العلماء، وطلاب العلم، والتجار، والرحالة، من شتى المناطق المجاورة، وانتشرت فيها المساجد، ودور العلم، والبساتين الغناء والأسواق العامرة، وكانت لها قوافلها الكبيرة والمنتظمة([84]).

وقد صاحب هذا الازدهار نمو ديمغرافي كبير، كان وراء الكثير من الحساسيات والهجرات الجماعية، مما تسبب في هجرة بعض سكان هذه المدن إلى مناطق اخرى.

ومن بين تلك الهجرات، كانت هجرة أبناء شمس الدين"الشماسدة مجتمع الإمام المجذوب" الذين نزحوا إلى الباطن والجانب الغربي من ظهر آدرار([85]) في أوائل القرن الثامن الهجري([86]).

فمن هم الشماسدة هؤلاء؟ وما هي الأسباب التي دفعتهم إلى ترك مدينة شنقيط التي كانوا من بين المؤسسين لها ليستقروا فيما بعد بهاتين المنطقتين باطن و ظهر آدرار، ويؤسسوا لأنفسهم مدينتين خاصتين بهم آطار([87]) و أوجفت؟

أن انعدام مصادر مكتوبة مستقلة، وقريبة من الفترة الزمنية، تتحدث بموضوعية عن مجريات الأمور في تلك الفترة من جهة، وتضارب الروايات الشفوية التي ترويها الطبقات مع بعضها البعض من جهة أخرى، كلها عوائق تحول دون معرفة الأسباب الحقيقية لتلك الهجرة المبكرة.

ومن هنا فإن الباحث عن حقيقة تلك الأسباب، لابد له من الإصغاء جيدا إلى هذه الروايات التي تدور حولها - على عللها - وتتبع بعض الشذرات القليلة التي تقرها بعض المصادر المكتوبة، وبالتالي القيام بعملية مقارنة حذرة بين شتى الروايات، مع الأخذ بعين الإعتبار طابع الحساسية الذي طبعها هنا وهناك، والذي يندرج في إطار تنافس ثقافي كان وليد فترات لاحقة بعيدة عن هذه الفترة.

ان جد الشماسدة هو: الشريف شمس الدين بن يحي الكبير القلقمي([88]).

كان رجلا من أهل الصلاح والعلم، نشأ في مدينة السوما - تافلالت بالمغرب في النصف الأول من القرن السابع الهجري.

---

[81]* تأسست في القرن 6 هـ ، وصفها صاحب الوسيط بأنها من أهم مدن آدرار في مامضى: احمد بن الامين الوسيط ص 430.

[82]* تأسست سنة 536 هـ .

[83]* تأسست سنة 660 هـ على انقاض مدينة آبير.

[84]* وصف الشيخ سيد عبد الله ولد الحاج إبراهيم العلوي مدينة شنقيط في تلك الفترة بالقول : كان في شنقيط أحد عشر مسجدا بالمسجد العتيق العامر اليوم، وكان الركب يمشي من شنقيط إلى مكة كل عام ويلتحق بهم كل من أراد الحج من سائر الآفاق، حتى أن أهل هذه البلاد من الساقية الحمراء إلى السودان صاروا لا يعرفون عند أهل المشرق إلا بالشناقطة: المختار بن حامد موسوعة حياة موريتانيا مخطوط ص 48.

[85]* تطلق كلمة الباطن على السهل الذي تقع مدينة أطار الحالية في اسفله، أما الظهر فهو المرتفعات الجبلية التي تقع فيها مدن، اوحفت، شنقيط، وودان.

[86]* تؤكد تواريخ التأبينات والنقوش الحجرية على المقابر وصول الشماسدة إلى منطقة ظهر آدرار (اوحفت) في هذه الفترة فقد أرخ لوفاة الإمام محمد بن محمد فاضل بن شمس الدين في ضواحي اوحفت بتاريخ: 821هـ .

[87]* تعني كلمة أطار في اللغة الصنهاجية: الطريق (أطاري) الوسيط في تراجم ادباء شنقيط ص 434 .

[88]* قال فيه العلامة سيد المتنقى الوادانى : (كان ابن عمنا شمس الدين القلقمي الإدريسي الحسني ذا كرامات زكية وكانت أول كرامة ظهر بها في شنقيط أنه يختم القرآن ثلاث مرات في الليلة الواحدة): مخطوط بحوزة الدكتور سيدات ولد سيد المصطف.

وبعد أن اكتسب معارفه العلمية هناك، رحل مع جماعة من علماء المنطقة في اتجاه ـ الصحراء ـ بلاد شنقيط، سعيا وراء نشر العلم فيها. فوصل مدنية ولاته، وأقام بها مدة يدرس العلم، ثم انتقل منها إلى ـ آبير ـ شنقيط الأولى بناء على دعوة من أهلها([89]).

وعندما حل بمدينة آبير لقي من أهلها ترحيبا وتبجيلا كبيرين وأم الناس فيها، وظل فيها يؤم الناس وينشر العلوم إلى أن ظهرت مدينة شنقيط على أنقاض آبير فانتقل بإمامته وتلاميذه إلى المدينة الجديدة، وظل كذلك أمام أهل شنقيط إلى أن توفي ودفن فيها([90]).

وتذكر رواية أخرى أن الشريف شمس الدين جاء إلى آبير كغيره من تجار أهل تافلالت وكان معه أخوه من الأم يحيى الكرامى "جد ادوعلي" وانتقل الاثنان معا إلى شنقيط([91]) ثم التحق بهم محمد قلي "جد الأقلال" فكون الثلاثة حلفا ثلاثيا تولى فيه شمس الدين وظيفة الإمامة والتعليم، و أسندت مهمة القضاء إلى محمد قلي، بينما تولى يحي الكرامي الشؤون السياسية والاقتصادية "شؤون القوافل" وأن الثلاثة استقرت دولتهم على هذا النحو إلى أن توفى شمس الدين([92]) فانتقلت الإمامة إلى تاج الدين بن محمد قلي. وهنا نصل إلى مفترق طرق الروايات، فبينما تتحدث الرواية السابقة عن هذا الحلف الثلاثي الذي دام لبعض الوقت قبل أن يتصدع وتتحول الإمامة بموجب ذلك من أبناء شمس الدين إلى أبناء محمد قلي في شخص ـ تاج الدين بن القاضي محمد قلي ([93]) تذهب رواية أخرى إلى أن ذلك الخلاف قد شب بينهم عندما كانوا في مدينة آبير([94])<<كانوا ـ يعني أبناء شمس الدين- أئمة الناس بآبير حتى نازعهم في ذلك ـ ادوعلي حين ذاك أصبح المسجد تصلى فيه الصلاة بإمامين، إمام لابناء شمس الدين يصلي بهم، وإمام للمدينة يصلي بأهلها. وإذا المكان ضيق لا يسع أحدا من أهل الهمم العالية، فلما نازعوه هو وأبناؤه في الإمامة رجعوا قاصدين منزلهم المؤسسين له قبل. وحلوا به وجعل تلامذته حوله ونزل بينهم>>([95])

وما تذكره هذه الرواية عن وجود طائفة من أبناء شمس الدين حينذاك في شنقيط لها إمامها الذي يصلي بها، يشبه ما تذكره بعض المصادر الأخرى:<< كانت مدينة شنقيط يسكنها ثلاث قبائل ادوعلي ولهم الرئاسة المطلقة، و الأقلال و الشماسدة، فأعطى ادوعلي الإمامة في الصلا للشماسدة، ثم نزعوها منهم و أعطوها للأقلال وبقيت فيهم.

ولما نزعت الإمامة من الشماسدة، خرجوا وبنو مدينتي آطار وأوجفت([96])، وكان الشماسد صمموا على أن يوقعوا بادوعلي، إلا انهم يعلمون انهم اضعف منهم.

فترقبوا خروج القافلة لعلمهم أن معظم رجالهم يخرج فيها، وبلغ ادوعلي ما هم عازمون عليه فخرجوا و كمنوا لهم قريبا من المدينة، وبثوا عيونهم، فلما أخبروهم بخروجهم للغدر بمن بقي منهم، تلقوهم وهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، ولم يحدث بينهم غير ذلك([97]).

---

[89]* رواية سلف الشماسدة : السالك ولد باها

[90]* محمد محمود ولد الحسن ولد امغر : الخبر اليقين من تاريخ أبناء شمس الدين، مخطوط بحوزة المحقق.

[91]* شيغالي ولد احمد محمود : لمحات من تاريخ شنقيط، مخطوط بحوزة المحقق.

[92]* د/ سيدات ولد سيد المصطفى مصنف في التاريخ.

[93]* شيغالي ولد احمد محمود لمحات من تاريخ شنقيط. المخطوط السالف الذكر

[94]* عبد الودود ولد احمد مولود : تحفة الأحبار على الغامض من الحروب والأحبار، مخطوط

[95]* نفس المصدر السابق

[96]* أسس الشماسدة مدينتي أطار واوجفت في أواخر القرن الثامن الهجري(انظر تواريخ الوفيات في نقوش مقبرتي اولاد ميجه في اطار والمقبرة اللمتونية في اوجفت).

[97]* احمد بن الامين: الوسيط في تراجم ادباء شنقيط. ص 495.

وهكذا فان الطابع العام للروايتين الأخيرتين اللتين تتحدثان عن تلك الفترة - وكما هو واضح - يدل على تأثرهما بجو التنافس الثقافي والتجاري الذي ترتب عليه شيء من الجفاء والفتور في علاقة المدينتين في فترة لاحقة بعيدة عن هذه الفترة.

وعلى كل حال فان الحديث عن طائفة من أبناء شمس الدين في آبير وفي شنقيط في تلك الفترة لها إمامها وقوتها العسكرية، غير مقبول إطلاقا، إذا ما أخذنا بعين الإعتبار أن - احمد ومحمد فاضل - ابني شمس الدين من صلبه، وجدي الشماسدة، هما اللذان خرجا من شنقيط إلى منطقتي الباطن والظهر، وأسسا مدينتي اطار واوجفت واستقرا بهما إلى أن توفيا هناك([98]) وتركا فيهما أحفادهما الذين عرفوا فيما بعد - بالشماسدة - نسبة إلى شمس الدين الجد.

وإذن فلا يمكن تصور وجود طائفة من أبنائهما في تلك الفترة تشكل القوة الروحية والعسكرية التي تحدثت عنهما الروايتان.

فهل نفترض طبقا لما يستشف من الروايتين أن الطائفة التى تحدثتا عنها هي عبارة عن"تحالف" جديد دخل فيه الرجلان احمد ومحمد فاضل، مع آخرين في شنقيط، بعدما عارض الطرف الآخر - ارثهما للإمامة التي كانت نصيب أبيهما من السطلة الثلاثية في شنقيط، مما جعل أهل شنقيط ينقسمون على أنفسهم إلى حلفين كل واحد منهما له مسجده وجماعته وإمامه، وأن هذا الحلف انسحب في النهاية من شنقيط ليستقر في المنطقة الأخرى، ويؤسس مركزين جديدين خاصين به، وأنه بعد أن تقوى طبقا للرواية الثانية، - عاد ليصفي حساباته مع الحلف الآخر في شنقيط-... إن عدم الوقوف على الأسباب الكامنة وراء التوتر المبكر بين احمد ومحمد فاضل ابني شمس الدين من جهة، و أبناء عمومتهما العلويين يجعل من الصعب فهم الأمور في سياق مقبول، طبقا لمجريات الأحداث في مثل هذا النوع من التحالفات.

إلا أن هاتين الروايتين، وان كانتا تمثلان كما اسلفا الإشارة إلى ذلك، نموذجين منفصلين لحرب كلامية كانت لها اسبابها، فانهما تحتويان على عنصر مهم، وهو: اتفاقهما على وجود طائفة من - أبناء شمس الدين - في تلك الفترة المبكرة جدا، مما يجعلنا نعتقد بأنه قد حصل تواجد بشري يحسب له حسابه إلى جانب احمد ومحمد فاضل ابني شمس الدين.

ولمعرفة طبيعة هذا الوجود البشري لابد من الرجوع إلى الرواية علها تزودنا بمعلومات عنه :<<فلما نازعوه هو وأبناؤه في الإمامة رجعوا قاصدين منزلهم المؤسسين له قبل وجعل حوله تلامذته ونزل بينهم>>([99])

أننا بغض النظر عن تحفظنا الشديد، على ما ورد في وسط الجملة : رجعوا قاصدين منزلهم المؤسسين له قبل... والذي يعني أن أحمد ومحمد فاضل سبق وأن استقرا بهذه المنطقة "الظهر والباطن" قبل خروجهما هذا من شنقيط، وهو ما يعني أسبقيتهما في المنطقة على المجتمع المضيف"اديشلي" فإننا نجد مع ذلك في آخر الجملة :<<وجعل تلامذته حوله ونزل بينهم>>، مما يدل على أن التحالف المشار اليه كان مع مجتمع اديشلي، بدليل عبارة – تلميذ- التي توازيها في الطرف الآخر عبارة - مرابط- وهما العبارتان اللتان ظلتا تميزان العلاقة بين الطرفين منذ القدم وحتى اليوم، هذا فضلا عن أن مجتمع اديشلي هو القوة التي كانت تسيطر على المنطقة في تلك الفترة، وهكذا فسواء تمت هذه العلاقة - الحلف- في مدينة شنقيط بحكم ارتباط المنطقة بها آنئذ، أو تم بعد خروج الرجلين منها بعد تصدع الحلف الأول، ونزولهما بين تلامذتهما اديشلي،

---

[98]* يوجد قبر الإمام احمد بن شمس الدين في الموضع الذي سمي به (ايكين احمد) على بعد سبعة كيلومترات إلى الشمال من اوجفت بينما يوجد قبر محمد فاضل في بلدة اتوجكجه إلى الشرق من اوجفت كذلك على بعد 14كلم.

[99]* عبد الودود ولد احمد مولود: تحفة الأحيار مخطوط

فإن الثوابت تؤكد قيام مثل ذلك الحلف الذي كان يعرف بحلف "لحباره"([100]) والذي لاشك أنه قد احدث نهضة اقتصادية وعمرانية معتبرة، تمثلت في إحياء الطريق التجارية - محور آزوكي- وتشييد مدينتي آطار واوجفت، وتوسيع منابت النخيل حولهما. ولابد أن كل ذلك قد تم تحت مظلة سياسية ما، قد لا نتمكن من تحديد طبيعتها بصفة دقيقة. ولو أن آلياتها البشرية والاقتصادية متوفرة، فضلا عن القيمة الإستراتيجية والتجارية المتنامية للمنطقة، الشيء الذي يستوجب الإعتقاد بضرورة وجود مثل تلك القوة السياسية والعسكرية القادرة على حمايتها من الأطماع المحدقة([101]) من جهة، وتنميتها في وجه المنافسة التجارية والاقتصادية القوية لمحوري – شنقيط، وادان- من جهة أخرى.

لكننا وبالنظر إلى البنية الإجتماعية لذلك "الحلف" وطبقا لهذا الإتجاه، فانه بإمكاننا تحديد دور الطرفين - قيادة روحية - أبناء شمس الدين، قيادة عسكرية - اديشلي= نظام سياسي. وهذا النموذج السياسي معروف بعراقته وعلاقته التاريخية بالمنطقة.

فهل معنى ذلك أن اديشلي، وهم سكان المنطقة الأصليون كانوا وراء خروج ابني شمس الدين - احمد ومحمد فاضل- من شنقيط، بغية استكمال شروط نظام سياسي قائم، أومن اجل انشاء نظام سياسي جديد في المنطقة؟.

إن السرعة التي تم بها توزيع الرجلين بين منطقتي - الظهر والباطن - المتباعدتين([102]) وتأسيس مدينتي آطار واوجفت فيهما على قارعة الطريق التجارية، في آن واحد، والبعد الأمني والعسكري لمواقع تواجد مجموعات إديشلي في المناطق والثغور، المحاذية لتلك الطريق بدء من آزوكي في الشمال وحتى قرية "كدي" شرقا، والذي لا يزال حتى اليوم على ما كان عليه، كل ذلك يعطي أدلة قوية ترجح مثل ذلك الاعتقاد.

الإمامات السبعة:

تتحدث الروايات الشفوية المتواترة حتى اليوم عن "الإمامات السبعة" التي تعاقبت على المنطقة منذ تلك الحقب، وحتى ظهور إمارة أبناء يحي بن عثمان في القرن الثاني عشر هـ.

وتذكر أن الأئمة السبعة كلهم من الشماسدة ثلاثة منهم من اوجفت، و أربعة من آطار أو العكس. و لا يزال هؤلاء الأئمة مثار تنافس بين أهل المدينتين حيث تدعي كل واحدة منهما أكثريتهم لنفسها، وتحتفظ لكل إمام منهم بكراماته وخوارقه التي اشتهر بها.

و الأئمة السبعة حسب الروايات المأثورة هم على التوالي:

الإمام احمد بوتاج([103]) الإمام محمد بن محمد فاضل([104]) الإمام احمد بن محمد بن الطيب([105])

---

[100]* تذكره بعض الوثائق في المنطقة بإسم (حلف لحباره) وهي اسم للميسم الذي كان خاصا باديشلي والذي أخذه عنهم الشماسدة بعد ذلك فاصبح مشتركا بين الطرفين : محمد محمود ولد الحسن ولد امغر، الخبر اليقين من تاريخ أبناء شمس الدين ، مخطوط

[101]* تحدث الكونونيل مودا عن عدة حروب خاضها اديشلي في تلك الحقب، حول المنطقة كانت آخرها حربهم مع البراكنة والتي اضرم فيها البراكنة امام اديشلي في موضع (بوصيدح) إلى الجنوب الغربي من منطقة ظهر آدرار. وذكر في هذا السياق أن الشماسدة ساهموا في مجهود هذه الحرب بالمون والبارود: مودا .COLONEL MODAT :ARABES. PORTUGAIS... IN B.C.E.H.S DE L' A.O.F. ENTRE 1918/ 1938 P561.

[102]* تبعد اطار عن اوجفت 85 كلم

[103]* لم نقف على تاريخ وفاته، لكنه كان حيا في النصف الاول من القرن التاسع الهجري وقبره مشهور بالمقبرة القديمة في اطار.

[104]* توفي سنة 1821هـ ، وهذا التاريخ منقوش على قبره القريب من اوجفت و لم نجد عنه خبرا غير هذا.

[105]* كان حيا خلال اواخر القرن التاسع وكان رحلا قويا له مأثورات وحكايات تدل على ذلك و كان ذا كرامات

الإمام الصغير محمد احمد بن شمس الدين بن أبى إسحاق([106]) الإمام احمد الفقيه بن عبد الرحمن([107]) الإمام المجذوب([108]) الإمام الطالب سيدي بن الفقيه محمد ([109]).

تتحدث هذه الروايات بإسهاب ومبالغة كبيرة، عن الكرامات والخوارق التي ظهرت على أيدي هؤلاء الائمة، والتي ظلت تنسب إليهم حتى بعد أن توفوا فأصبحت قبورهم مركز اهتمام أصحاب الحاجات والعاهات من الزوار، في الوقت الذي تلتزم فيه الصمت عن الدور السياسي الذي من المعتقد انهم لعبوه في حياتهم الإمامية.

غير أننا وبالرجوع إلى بعض الوثائق العقارية ([110]) التي تنتمي لفترة متأخرة من عهد الإمامات السبعة، وبالرجوع كذلك إلى كتاب المنة الذي يندرج في اطار تراث هذه الإمامات، فانه بإمكاننا أن نستنتج بعض العناصر المهمة في تسليط الأضواء على الدور السياسي للإمام خلال تلك الفترة.

تقول وثيقة مؤرخة بتاريخ 19 جمادى الأول سنة 1153 هـ <<بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وبعد ليعلم الواقف على فحواه أن الإمام محمد بن الطالب سيدي بن الفقيه محمد والجماعة أذنوا لمحمد ولد الحمد بإحياء بلدة اكصنجيل وبعثوا معه قاضيا وشاهدين عدلين فقوموها بعشرين مثقالا ذهبا دفعها محمد المذكور لبيت مال المسلمين وبرئت منها ذمته>>([111])

وهكذا تحتوي هذه الوثيقة على عدة عناصر تشكل فيما بينها نموذجا لسلطة سياسية وتشريعية ونظام اقتصادي ومالي: ''الإمام و الجماعة'' إذن بإحياء ارض ''ميتة'' و''قاضي وشهود'' و''تقويم''، ''عشرين مثقال من الذهب''، ''بيت مال المسلمين''.

أما الإمام المجذوب فيذهب إلى ابعد من ذلك في كتاب المنة : <<ويجعلون عشر أموالهم من الزرع والتمر، فيجعلونه خراجا للظلمة يصلح به أمر دنياهم، فيعدلون فيه، اذ هو قوام البلد، فكل من له شيء في البلد فعليه ذلك الخراج. ويجعلون خراجا لبناء مسجدهم، و مؤذنهم و إمامهم، وقاضيهم. فالمؤذن والإمام والقاضي من مصالح البلد، إذ هؤلاء حاملوا أمر أهل البلد، إذ الصلاة هي قوام الدين ومن أقامها أقام الدين. وان من قام لأمرهم فيتبعونه.. فان المسلمين لابد لهم من قائم يقوم بأمرهم، فلا بد لهم من سلطان يكون عليهم يصلح أمرهم، ويكون للمسلمين بيت مال، إذ ما شرع إلا لإصلاحهم، و''إمام'' يجعلونه في أمر دنياهم.

فإذا أفقر ''الإمام'' ولم يكن عنده شيء فله على قومه شيء يرونه مصلحة لهم، إذ هو القائم لهم في أمر دنياهم، وان الذي يخدم مداراتهم مثل ذلك>>.

ومن ناحية أخرى يعطى الإمام المجذوب سلطات واسعة لـ ''الإمام'' <<فان الإمام خليفة الله في أرضه... الإمام والجماعة هؤلاء خليفة الله ورسوله>>.

إذن فكل أهل البلد مسؤولون أمام الإمام والجماعة<<فالعدو المؤمن لا يخلو من أن ينقاد للعدل فيدفع إليه ما نهب، أوان يكون ظالما معتديا فكل ظالم معتد فأمره إلى الإمام>>.

---

[106] لم نعثر على تحديد فترة حياته ولا غير ذلك من سيرته غير أن قبره قريب من اوحفت ويحظى بتقديس كبير من طرف اهل المنطقة.

[107] عاصر الإمام المجذوب وكان إماما قبله إلى ان ازاحه الإمام المجذوب عن الإمامة وحل محله في الحادثة المشهورة و لم نعثر على تاريخ وفاته إلا ان قبره ضمن عظماء اولاد ميحه.

[108] ولد في بدايات القرن الحادي عشر وتوفي سنة 1098 هـ في اطار وقبره ضمن مقبرة اولاد ميحه.

[109] كان عالما جليلا لم نعثر على شيء من تراثه العلمي سوى الوثيقة العقارية التي ذكرناها سلفا والمؤرخة بتاريخ 1153هـ توفي 1225هـ وهذا التاريخ منقوش على قبره في مقبرة اوحفت.

[110] وجد نص الوثيقة بحوزة السيد محمد محمود ولد داهي ولد الحمد في اوحفت.

[111] مجلة الوسيط العدد : 4 ص 89. ود/ الناني ولد الحسين : الندوة الدولية حول المرابطين ص 152

بداية الحركة المجذوبية وفلسفتها الإصلاحية:

لقد مر بنا أن الإمام المجذوب - الطفل الأمي - الذي بدت عليه علامات التصوف والصلاح من نعومة أظافره، وآثار الخلوة والنسوك على الحياة المعتادة في وسطه، قد دفعته - أسباب ما... إلى أن يكتشف موضع ضريح الإمام الحضرمي، ويعتكف عنده، ويشيد بجانبه مسجدا وداضيافة"بيت زيارة" وبالتالي يتخذ منه مصدرا " مصداقية" لمعارفه الوهبية الواسعة، ونموذسياسيا وفكريا يدعوا إلى تقمصه واستيعاب منهجه وإحياء ذكره من خلال دعوته الإصلاحيوهو ما جعله يحظى باهتمام أهل اطار الذين كانوا يكنون له الاحترام ويخصونه بالرعاية منطفولته، ويرون فيه نموذجا للرجل الصالح - المهيأ بالفطرة - لنيل الكرامات والخوارق، بل واكثمن ذلك، فقد تجسد اهتمامهم به وتزكيتهم له في بيعتهم له على الإمامة نيابة عن شيخه الإمالحضرمي، في وقت كان سلفه الإمام احمد الفقيه([112]) - على قدره - لا يزال قائما على اشده.

وهكذا وفي جو كهذا لا يمكن تحديد بداية لهذه الحركة، وان كنا نعتقد أن البداية الفعلية، وتبلوالحركة كانت بعد اكتشافه لضريح الإمام الحضرمي وتلقيه العلوم عنه.

فمتى تمت عملية الإكتشاف حتى نعرف بداية الكتابة"تلقي العلم"؟

إن تاريخ اكتشاف الإمام المجذوب لقبر شيخه الإمام الحضرمي وتحديد الفترة التي بدء فيها تاليفكتابه يشكلان جزء من الإشكالية المطروحة أمامنا، لأننا نجزم بأن عملية اكتشاف القبر كانت قسبقت عملية الكتابة بفترة طويلة طبقا لما ذكره الإمام المجذوب نفسه:<<فلما زرنا القبر مرار وتكرارا ولازمناه ليلا ونهارا، صرنا نكتب ما سمعتموه جبرا من الله لنا>>.

وقد حدد القاضي بانم بن احمد وهو الذي أعاد تدوين أجزاء من كتاب المنة، في بداية القرالثالث عشر الهجري، الفترة التي تفصل بين كتابة الإمام المجذوب لكتاب المنة وموت الإماالحضرمي بخمسمائة سنة <<بين كتبها وموته - يعني الحضرمي- خمسة قرون>>([113])

وهذا التاريخي هو الآخر يطرح إشكالية جديدة تنبني على احتمالين الأول: أن يكون القاضي بانقد قصد بالخمسة قرون تلك، البداية الفعلية للتأليف فيكون بذلك الإمام المجذوب قد بدء التأليفسنة 989هـ أي بعد وفاة الحضرمي : 489 + 500 = 989 سنة وهو ما يترتب عليه أمران:

1- أن اكتشاف القبر قد تم قبل التاريخ 989هـ

2- أن المجذوب الذي توفي كما هو معروف سنة 1098هـ لابد أن يكون قد بلغ سن الرشد علىالأقل قبل سنة 989هـ فيكون بذلك قد عاش اكثر من مائة وثلاثين سنة وهو أمر مستبعد، إذا مأخذنا بعين الإعتبار أن الدلائل تثبت أن حركته التي تبلورت بعد اكتشاف القبر لم تعرف إلا فيأواسط القرن الحادي عشر الهجري من جهة، ومن جهة أخرى فان الإمام المجذوب وحسبالقاضي بانم نفسه، قد قام برحلة حج إلى الديار المقدسة سنة 1081([114]) عرض خلالها الجزالأول من كتاب المنة (العلم الأول) على علماء جامع الأزهر فكتبوا في تسليمه، ثم عاد بعد تزكيكتابه إلى اطار ليبدء توطيد نفوذه عليها، ويقوم بتوسيع مسجدها سنة 1085هـ على أساس أربعأحجار جلبها معه من الحرمين الشريفين لذلك الغرض([115]).

---

[112]* هو الإمام احمد الفقيه بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد أبي عبد الله بن أحمد بن شمس الدين.

[113]* انظر مقدمة بانمو، وهامش الصفحة 1 من مخطوط أهل اعبيدنا.

[114]* ترجمة بانم بن احمد و مخطوط اهل اعبيدنا، ومخطوط اهل احليل.

[115]* نفس المصادر السابقة.

الاحتمال الثاني : أن يكون القاضي بانم يعني بفترة القرون الخمسة الحيز الزمني الذي يفصل بين القرنين الخامس والحادي عشر الهجريين اللذين عاش كل من الرجلين معظم قرنه منهما. وهذا الإحتمال الأخير اقرب إلى الإمكان من سابقه.

وتتضح لنا الصورة اكثر عندما نعرف أن الإمام المجذوب المتوفى سنة 1098هـ قد دون أجزاء كتابه كتاب المنة على مراحل لكل مرحلة منها طابعها الخاص بها، والذي يميز غايتها وهموم زمانها عن غيرها<<أن العلم الأول - يعني المصنف الأول من كتاب المنة- له زمن وهذا زمن... العلم الأول مأمور بإفشائه وتحريض الناس عليه، والعلم الثاني مأمور بإفشائه في هذا البلد فقط... لم يقولوا فينا- الآن- إلا ما قد قالوا من قبل ... و أما كتاب الطالب محم([116]) لأخيه بإطفاء نور بان، لا يجد فيها إلا ما وجد شيوخه([117]) فيها قبله.

و أما سؤال الحبيب عن استعارتنا قبل، هل هي في منكري الزمان الأول، قل له: قولنا عام في الأولى والثانية... و أما كلام الإعرابي الذي سمعتم، تكلم بكلام غيره كما كذبنا في الأولى وكما ظهرت الفتنة بينهم وبين الطلبة([118]) الأولى>>.

وهكذا يتضح من خلال هذه النصوص وبصورة لا تدع مجالا للشك، تصنيفا واضحا لمرحلتين منفصلتين، بل وتفصل بينهما فترة معتبرة، لكل واحدة منهما خصوصياتها.

ولكي نستطيع التأريخ للمرحلة الأولى من الكتابة "العلم الأول" ولو بصفة تقريبية، نعود إلى بعض النصوص التي تحدد تاريخ المرحلة الثانية"العلم الثاني" <<و أما قول الإعرابي الذي سمعتم، نكلم بكلام غيره كما كذبنا في الأولى، وكما ظهرت الفتنة بينهم وبين الطلبة الأولى>> وهي إشارات واضحة إلى الخصم المنتصر في "حرب شر ببه" التي دارت رحاها بين الزوايا "الطلبة" وبين بني حسان "المغافرة" بعد منتصف القرن الحادي عشر الهجري والتي وضعت أوزارها سنة 1085هـ في منطقة القبله.

هذا بالإضافة إلى بعض الإماءات التي وردت في هذا النص والتي ترمز إلى التحول الذي عرفته الحالة السياسية بعد هزيمة الزوايا في تلك الحرب، وانتصار الخصم الآخر فيها والذي يبدو واضحا من خلال النص، أن يده امتدت كذلك لكسر شوكة الحركة المجذوبية في آدرار، الشيء الذي جعل الإمام المجذوب يطمئن الطرف المنتصر بأنه لا يسعى إلى الفتنة – الحرب- <<ونحن لا فتنة تخشى منا>> بل انه وعكسا لما سعى إليه من إفشاء وتحريض الناس على مذهبه من قبل خارج بلده، سيحصر دعوته هذه المرة داخل بلده فقط.

وهكذا فان الإمام المجذوب قد دون المرحلة الثانية من كتابه كتاب المنة "العلم الثاني" بعد انتهاء هذه الحرب أي بعد 1085هـ.

أضف إلى ذلك اختلاف الهواجس والدوافع والغايات التي تطبع كلا المرحلتين "العلميتين" الأولى والثانية، ففي الوقت الذي نجد فيه اهتمام الإمام المجذوب في علمه الثاني - المصنف الثاني، ينحصر في تزكية كرامته وترسيخ الإعتقاد بمهدوية علم شيخه الإمام الحضرمي، بعدما بدا وكأن الساحة قد خلت له من المنافس<< الحمد لله الذي جعل الحضرمي سبب نجاة من نجا من أهل المغرب، وجعل مريده منجى وسببا لنجاة عقائدهم من الشبهات>> <<و علمنا نحن اخبر صاحبه أن واسطته ميت، وانه هو المهدي الموعود به، وان المريد من قبيلته وذريته.>> نجده يطلق العنان لدعوة التغيير خارج إقليمه في علمه الأول، ويقارع الدعوات المتمهدية <<إياكم والآمال

---

[116]* يعني العلامة الطالب محمد بن المختار ابن الاعمش .

[117]* يعني الفقيه عبد الله ولد بوالمختار البوحسني، الذي كان من اشهر المعارضين لدعوته.

[118]* اصطلاح يطلق على بيوت العلم في المجتمع الموريتاني.

الفاسدة، والأخبار الكاذبة، ما زاغ من الزائغين إلا باتباع الدعاوى الكاذبة>> وما نبهتكم على هذا إلا أن تتورعوا ولا تقولوا في علمي هذا شيئا فتحكموا انه هو المهدي، وأنا أقول لا يعلمه إلا الله فليس لي إلا التسليم بما قال الشارع ، ومنها تكذيبهم بدعوى المهدي، وهم يعلمون انهم مكثوا ما شاء الله يدعون أن صاحبهم الأول هو المهدي، ونحن نقول لهم لا تعينوه لأنه أمر غيب، وإذا طلبوا منا أن ننفيه، لا ننفيه عني ولا عنه "يعني ناصر الدين". وقد كذبتم علما موافقا لهما - يعني الكتاب والسنة- بعد أن كنتم اكثر من ثلاثين سنة تنسبونه لأنفسكم>>. وما ورد في هذه النصوص يؤكد بوضوح أن المرحلة الأولى من الكتابة "العلم الأول" قد واكبت الإرهاصات الأولى للحركة الناصرية - ما قبل الحرب - وبذلك تكون الحركة المجذوبية في آدرار قد نشأت في نفس الفترة.

الإيديولوجية الإصلاحية للحركة المجذوبية وعلاقتها بالفكر الحضرمي:

إن قراءة متأنية لكتاب المنة الذي واكبت فيه تعاليم الإمام المجذوب مجموعة من التحولات الإجتماعية والصراعات السياسية والعسكرية المؤثرة، التي شهدها معظم القرن الحادي عشر الهجري تجعلنا نقدر بإكبار، الجهود المضنية التي بذلها الرجل من خلال دعوته الإصلاحية في سبيل تجنيب بلده - اطار واوجفت- ويلات الحروب والفتن التي عبثت بكيانات مشابهة في أماكن أخرى.

وسواء اكتست هذه الدعوة الإصلاحية طابع الكرامة - بالفطرة - أو كانت ناتجة عن علاقة من نوع ما، بالشيخ الإمام الحضرمي وتراثه العلمي، فأنها كانت دعوة إلى التغيير والإصلاح على أسس علمية مدروسة، وذات أبعاد سياسية وفكرية وحضارية عميقة، تتجاوز طموح الخطوة بالبيعة على الإمامة، كما أنها خطوة جريئة لم تأت صدفة، وليست محصورة في نطاق تصوفي محض، ولا ناتجة عن زوبعة المتنبئين التي اجتاحت غرب الصحراء في القرن السابع عشر، والتي غذتها الدورة الجهنمية للجفاف والمجاعة والوباء كما تصور البعض([119]) ولا لها علاقة في البداية على الأقل بالتنافس الثقافي المزمن بين مدينتي شنقيط وآطار، وليست امتداد كذلك لمظاهر الجفوة بين المدينتين([120]) بل كانت دعوة إصلاحية واعية صدرت عن عقل وتفكير ودراية وتدبير، غايتها الأساسية احتواء جملة من المضاعفات التي بدأت تؤثر في تفكير وحياة مجتمع الإمام المجذوب بحكم تأثره بالجو العام السائد في عموم المنطقة والمفعم بشتى مظاهر العنف والتمزق وضعف الوازع الديني والأخلاقي والتهالك على مصادر الرزق وسط ضائقة جفاف مستمر، الشيء الذي أثار مخاوف الإمام المجذوب من انتقال العدوى إلى مجتمعه.

---

[119] Abdel wedoud o/ Chekh ,N.I.P.P.S.M. P : 854

[120] الخليل النحوي ، المنارة والرباط ص 74

ولا شك أن الدعم العسكري والمعنوي الذي تجلى في إرسال اوجفت- المدينة الثانية لمجتمع الإمام المجذوب- لستين رجلا مسلحا([121]) لبيعة ونصرة الإمام ناصر الدين "المهدي المنتظر" في حربه ضد بني حسان في منطقة القبلة، والسرعة التي تمت بها الاستجابة لطلب ناصر الدين، كل ذلك كان من بين أهم الدوافع التي جعلت الإمام المجذوب يبادر في أول خطوة إصلاحية داخل مجتمعه إلى - خلق عامل استقطاب روحي محلي تركن إليه النفوس .

ولقد استطاع الإمام المجذوب من خلال لفت الأنظار إلى قبر الشيخ الإمام الحضرمي، العالم المرابطي الأصولي المدفون في آزوكي، قتل عصفورين بحجر واحد.

أولا : صرف أنظار قومه عن تأثيرات الأزمة المحيطة، وصدهم عن الدعاوى المتمهدية([122]) المنتشرة من حولهم([123]) وربطهم من خلال كرامة خارقة للعادة، نابعة وراسخة في أرضهم و تستمد مصداقيتها من الشواهد التاريخية عندهم، لتطمئن نفوسهم إليها ويمتلئ بها الفراغ الروحي المتعطش لديهم إلى التعلق بأسباب من ذلك القبيل، وبالتالي جمعهم بسهولة حول منهج إصلاحي واحد أساسه السلم والصفاء والمحبة والتآزر والتسامح وحسن الجوار والبذل والصبر وشيوع العلم والمعرفة والعدل والرجوع إلى الله في كل شيء<<أحبائي كونوا عقلاء لمنافعكم، وناصحون لإخوانكم، واحسنوا جوار من جاوركم، واتقوا فتنة لا تصيبكم في دينكم، ولا تلتفتوا إلى فتنة تغيركم فان هذا سبيل الصالحين قبلكم . أحبائي كونوا مع الصالحين ... كونوا على طاعة الله إخوانا، وكونوا على يد واحدة واصبروا لإساءة جواركم. إياكم لا تختلفوا مع جماعة الصالحين، فان الصالحين يدور معهم الخير. إذا نزل القحط ونزلت الفتن بين الناس، العاقل يكون ملجؤه إلى الله، اصبروا يا أحبائي على طاعة الله، واصبروا للخلق، واصبروا لإساءة جواركم، واصبروا زلات الجهال، ولا تغفلوا عما لله عليكم من الإبرار، وما للناس عليكم من الحياء والوقار. أحبائي عليكم بدينكم فاجعلوه رأس مالكم، واجعلوا الدنيا مداراة للآخرة، وعليكم بالعدل في القول والفعل، وتشاوروا بينكم واتبعوا أهل العلم والفضل. إياكم والآمال الفاسدة، والأخبار الكاذبة، ما زاغ من الزائغين إلا باتباع الدعاوى الكاذبة. أما سؤالكم عن المهدي فانه جهل منكم، فان المهدي إذا ظهر، ظهر على الناس جميعا. نسأل الله النجاة مع الدين في هذا الزمان الذي بان فساده وكثر فسقه وقطعت أرحامه وكثر إسفاك دمائه>>.

ثانيا : بعث الصورة المنهجية والفكرية لحركة المرابطين من جديد في ذاكرة المجتمع، وحثه على التحلي بروح القيم والمبادئ التي وضعوها من على هذا الموقع، وذلك عن طريق تنشيط حركة فكرية وعلمية واجتماعية، تدعو إلي التعلم وتحارب مظاهر الجهل والفساد والتمزق، في شكل نضال سلمي يأخذ من التهذيب النفسي والعقلي والحث على اقتناء الفضيلة، واجتناب الرذيلة، والزهد في الدنيا، وإيثار الآخرة،

---

[121] الولونيل مودا ، محمد سعيد البدالي مصادر سبق ذكرها

[122] ظهرت دعوات وحركات مهدوية كثيرة في أواخر عهد الدولة السعدية كانت من أشهرها حركة أبي محلي سنة 1019 هـ كما ظهرت حركة متمهدية في أزواد و فضلا عن الدعوى التي أنيطت بالحركة الناصرية في القبلة وكانت لهذه الحركات أصداؤها المعتبرة في أطار – الأستاذ ددود ولد عبد الله : الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين 11 و 12 هـ صفحة 97-98

[123] أعلنت بعض الحركات المهدوية المحيطة بالمجال الترابي الشنقيطي الجهاد في كل من مناطق آزواد والقبلة وفي المغرب ، المصدر السابق

والرجوع إلى الكتاب والسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبادئه الأساسية ... <<الحمد لله الذي جعل الحضرمي سبب نجاة من نجا من أهل المغرب، وجعل مريده فنجا وسببا لنجاة عقائدهم من الشبهات>> وكأن الإمام المجذوب وهو يرسم بعناية الأبعاد الإصلاحية لحركته انطلاقا من مدينة آزوكي "المهد الأول لفكر المرابطين" يبادر إلى شد انتباه مجتمعه إلى أن مصدر هذا الفكر، وواضع أيديولوجيته، هو أول من ادخل العقيدة الأشعرية إلى بلادهم([124])، أول من ادخل علم الكلام إلى المغرب الأقصى([125]) أول من أسس حلقة عقائدية على مذهب الأشعرية في المغرب، وأن هذا العالم العقلاني - المنقذ الأول - وإن كان قد مات منذ خمسة قرون خلت، فان تعاليمه لم تمت وهي اليوم في يد المنقذ الثاني- المريد.

ويذهب الإمام المجذوب إلى ابعد من ذلك، فيقول على لسان شيخه:<<وكل من أتى إليك يريد تعليم الوحدانية، قل له عندي طريقان: طريق الإمام الاشعري ومن معه، وطريق الإمام الحضرمي ومن معه>>.

ولا شك أن الإمام المجذوب يعني بطريق الإمام الحضرمي هنا منهجه الفكري المتميز، وإضافاته الفلسفية التي أضافها إلى المذهب الأشعري بالمغرب، وكأنه أيضا يلفت انتباه طلاب علم التوحيد في اطار إلى أهمية هذه الإضافات.

ولتوطيد هذه العلاقة اعتمد الإمام المجذوب في منهجه الإصلاحي مسحة فكرية حضرمية واضحة.

فمثلا نراه يقرر في الباب الأول من كتاب المنة نظرية المعرفة عند الحضرمي:

<<إن العقل هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى المعرفة وعلو المقام في الدنيا والآخرة، فبه يعرف الله، و به تعرف المنافع من المضار، وهو الذي يدرك قيمة الحياة.

أول ما خلق الله العقل، العقل الكسبي هو الذي يفرق بين الإنسان والبهيمة، والعقل الوهبي هو الذي يظهر محاسن العبد، فالكسبي هو الذي طبع عليه الإنسان، العقل اصله النور، العقل يريك المعاني والأمور الغائبة قبل وصولك إليها.

العقل هو أصل الإنسان، و هو أساس ابن آدم في منافعه ومضاره، فان العقل هو اصل الخير، فان الله لم يجعل الدليل عليه إلا من جهة العقل.

العقل كملك في دار حصينة، يعلمه معلمه في ذلك الحصن، وما علمه معلمه، يظهر لمملكته. العقل هو السلطان الأكبر، واللسان هو البطانة، وهو الباب، والعقل هو الحاكم.

فمن لا عقل له لا دين له، ولا دنيا تنسب إليه، ولا تنسب له آخرة، وهو في المثل كالبهيمة. فمن نقص عقله نقص كله، فمنافع أبناء آدم في عقولهم فهم الذين تمكنوا في الأشياء بهم. الإنسان قوته في غريزة عقله، فان المرء يأتي بغريزة عقل أقوى من ألف قبيلة، فان جثة البعير اعظم من جثة الإنسان ومع ذلك يعلو عليه الإنسان بقوة غريزة العقل، لا بقوة ذاته، فان حققتم بهذا فاعرفوا ربكم بعقولكم، فان العقل هو الأصل منكم، ومن لم يكن عاقلا لم يطلع مقامات العلا>>.

وكأنا بالإمام الحضرمي يخاطب جمهور المرابطين في آزوكي:

---

[124] د. سامي النشار : الإشارة في تدبير الإمارة ص 27

[125] نفس المصدر السابق ص 21

<< إن الأحياء الناطقين، والحكماء المتقدمين، فرقوا بين الجماد، والحيوان بالحياة، وفرقوا بين البهيمة والإنسان بالعقل، وفرقوا بين الشريف والخسيس بالعلم، فالعقل الطبيعي أصل للعقل الكسبي الذي يستفاد بالتعلم، ويعلم بالدرس والتأمل، وهو فائدة الحياة وروح العيش، وبه يفرق بين اليقظة والنوم، وبه تظهر الحقائق والطرق وبه تبصر الأشياء كما ينصر بالسرج، وبه تعرف المنافع من المضار، وبه يفرق بين الإنسان والحمار، وهو الذي يمسك أعنة النفوس عن الأهواء، وبه تقتات الأجسام كما تقتات بالغذاء، وهو الحاكم على القوة، والمصرف لها بحسب المنفعة، ومن لا علم له ضعيف وان كان قويا، فقير وان كان غنيا، ونفسه زاهقة بأدنى حيلة، وماله ذاهب بأقل حادثة([126]).

فقد بان بذلك أن العلم أصل، وأن القوة فرع، وأن العلم روح، وأن القوة جسم، وأن البعير العظيم الجثة يسخره الشيخ الضعيف المنة>>([127]).

وفي نفس السياق يقول الإمام المجذوب:<< عليكم بالعلم فان الله يمنحه السعداء ويمنعه الأشقياء، فان العلم في الأرض كالغيث الذي ينزل بأرزاق الخلق، والعلم يكون به دين الخلق، فالعلم هو قوت الروح، والجهل قحط، وقحط القلوب هو القحط الضار. فإذا تخلف الغيث عن الأرض توصف بالموت، كذلك العلم إذا تخلف عن القلوب تموت. فمن تعلم من زمان يعلم الزمان الذي بعده.

فليعلم العالم منكم الجاهل، ويعلم الكبير الصغير. العلم غيضة في زمان أهل الخير، العلم هو الذي تصلح به كل ما يدور بك، ومن لا علم عنده لا خير فيه، ولولا ما صاغ نعيم لصاحبه، ولا خرج ثمر من شجره، ولا حب من سنبله، واستعماله نجاح والتفكير فيه فلاح، ومن فاته، فاته خير الدنيا، ومن فاته لا يرجى خيره، والعقل الذي يحويه إسمه الكيس>> ويقسم الإمام المجذوب العلم إلى ثلاثة أقسام: <<علم يعرف بالله، وعلم تعرف به الدنيا، وعلم تعرف به الآخر - ومن عدم علم ربه ودنياه وآخرته فهو جاهل منافعه ، فمن جهل ربه جفا جفاء لا يسعد معه، ومن جهل دنياه آلته إلى مسكنة كمسكنة الكلب، فالكلب يطوف على الناس إذا جاع، والكلب إذا جاء لغير أهله إنما يعطونه مالا حاجة لهم به، وهو إن أعطوه، فهو متردد بين ضرب الناس، وبين ما هو دنيء مما كان في أيديهم. والمعني أن من ليس معه شيء من الدنيا، تعرض لما في أيدي الناس، ولا يعطيه الناس ما عندهم على عز.

كذلك من جهل الدنيا يؤول جهله بها إلى مقامه عند من عرف الدنيا كمقام الكلب. الدنيا لا يحمد جاهلها، وذلك أن من جهل الدنيا لحقته بأهوالها وكدرها. ولا يدفع بأس الدنيا إلا من علمها، ومن علمها قام من الأسباب. ومن لم تكن له جنة بينه وبين الناس ضربت سهامهم، ومن جهل الأخرى فقد سعى في خسرانه، فلا هو بقي مع الدنيا ولا له حظ في الآخرة>>.

ومن جانبه يقول الإمام الحضرمي بذات الصدد:

<<اعلم أن من العلوم علوما للمنافع، وعلوما لتزكية العقول ونشاطها، ولكل علم منها وقته من الزمان، ومكانه من الخواطر والأذهان.

---

126 نفس المصدر السابق ص 57

127 المصدر السابق ص 57

واعلم انه لا يكون الشبع والأخوان والأهل والأعوان والحشم إلا مع المال، ولا تظهر المروءة إلا به وقد وجدنا من لا مال له اذا أراد أن يتناول أمرا قعد به العدم عنه... وجدنا من لا مال له فلا أهل له، ومن لا أهل له فلا ولد له، ومن لا ولد له فلا ذكر له، ومن لا مال له فلا عقل له ولا دنيا ولا أخرى.

فيجب على العاقل إذا أراد الجود أن ينظر في التنمية. وأنت أخو العز ما التحقت بالقناعة، وأنت أخو الدوام، ما وقفت دون الغاية>>([128]).

وبمنطق السياسة الحضرمية يخاطب الإمام المجذوب أو لي الأمر وجمهور أهل اطار فيحثهم على المطاوعة والعدل والوحدة: << أحبائي اتقوا ربكم، وتطاوعوا ولا تدابروا، وكونوا على طاعة الله إخوانا، فقد أمر الله بطاعة أولى الأمر، وأمر أولى الأمر بالعدل وحسن النية، إياكم أحبائي، لاتغيروا أميركم بعدم المطاوعة فقد قال تعالى: أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولوا الأمر منكم، فان البركة مع العدل والمطاوعة. وقال تعالى: أطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين، فلا خير في أمير لم يطع الله ورسوله، ولا خير في قوم لم يطيعوا أميرهم، فإن أمير القوم هو خليفة الله في قومه، الإمارة خليفة الله في أرضه، ولا يضع الله أمانته إلا في موضع آمن، فليتق الله منكم من أودعه ودائعه وأمانة عبيده.

ما عقد أمير قط العدل لمملكته إلا وانزل الله البركة في أرضه، ولا خان أمير قط إلا ونزع الله البركة من أرضه.

النفس تجر للرياسة، والرياسة تجر إلى حب الدنيا، وحب الدنيا يجر إلى عدم العدل، فان لم يكن العدل، كان الظلم، فإن كان الظلم فان الله لا يحب الظالمين.

و الورع، يجر إلى العدل، والعدل يجر إلى الاستقامة، والاستقامة هي سبيل النجاة. ما خاب من استشار ولا ندم من استخار، فالأخ الناصح هو الذي بربك مساوئك، وينبهك على مصالحك، ويكتم عنك محاسنك لئلا يغرك، فإياك والغرور فإن الناس يمدحون العبد في ظاهره، ولو عدلوا وعرفوا لكان الأمر على الباطن.

انظر إلى ما علم الله فيك، ولا تنظر إلى ما علم الناس فيك. إياك والحقد ومخالفة الشريعة، أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة. فإذن، كن رحيما حليما صبورا وداري عن الدين بالدنيا، ولا تداري بالدين. إن هفوا فعلمهم وعظهم، وقل لهم قولا معروفا يذكرهم، ولا تكن فظا غليظا غيوظا، والحاصل لا تغضب إلا لله>>.

هذا الخطاب هو نفس الخطاب الذي خاطب به الإمام الحضرمي أولي الأمر وجمهور المرابطين في آزوكي: << إذا نطق لسان العدل في دار الإمارة فليبشر ساكنها بالعز والعمارة، العدل يزيد السلطان في علوه، وينصره على عدوه، والعدل أنصار من الرجال، ودرة عمر رضي الله عنه كانت أهيب من سيف الحجاج.

وتحفظ من سكر الشباب، وسكر المال، وسكر المنزلة، وسكر العلم وسكر السلطان، فان هذه الأمور تولد في النفس عزة، خارجة عن الإعتدال، وربما تجري اليد واللسان على غير الصواب، فاحترس من سورة الغضب، وسورة الحمية وسورة الشباب، واعد لكل شيء من ذلك عدة تجاهده بها من الحلم والتفكر، والرؤية وذكر العاقبة وإيثار الفضيلة. وليس للسلطان أن يكون

حسودا، فان الحسد من خلق اللئام، وآلات السفال، وهو التحكم على الله عز وجل في فتحه وفضله، والاعتراض عليه في إمضاء حكمه([129]).

وفي الحرب والمسالمة يقول الإمام المجذوب:

<< و أما خبر الأعداء، فإذا قدموا عليكم، فواجب عليكم دفعهم، أما الدفع فتارة يكون بالمال، وتارة بالمكائد، فإن الحرب خير ما تدفع به المكائد. إظهار الصداقة، والهدية بالمال حتى يندفعوا، فان لم يظهر دفعهم، ولم يبق إلا القتال، فادفعوهم بعد تذكيرهم بالله، فان لم يبق إلا السيف فامتثلوا قول الله تعالى في الصبر، إن الله مع الصابرين. الحاصل إذا كان الأعداء يندفعون بالمال فواجب عليكم دفع مالكم، فان دفع المال فيه إنقاذ نفوسكم، وإنقاذ نفوس أعدائكم المؤمنين، فان المؤمن أخو المؤمن ولو كان عدوه، ادفعوا أموالكم مداراة لدينكم ودنياكم، فان الدين يجب حفظه والنفوس يجب حفظها، وكل عدو يقبل منكم دفع المال فيجب دفعه عليكم ولو كان ظلما عليكم >>.

وفي هذا المنحنى يقول الإمام الحضرمي:

<< للملك أن يبدأ عدوه بالبذل، وطلب المواصلة والسكون، فان لم يفعل، وكان في الحال ما يقتضي ذلك، رجع معه إلى الكيد والحيلة. ولا يصل معه إلى الحرب حتى تعوزه الحيل كلها، فان الحكماء قد قالوا: اكيس القوم من لم يلتمس الأمر بالقتال ما وجد إلى غيره سبيلا، ولأن الحرب ينفق فيها من الأعمار وغيرها ينفق فيه من الأموال. فقد قالت الحكماء:

إن العدو مثل الخراج الذي يبدأ في علاجه بالترطيب والتحليل والتسكين، فان لم ينضج بذلك، رجع فيه إلى الكي وهو آخر العلاج، والحرب آخر ما يجب استعماله>>([130]).

وفي الخلطاء والأصحاب بقول الإمام المجذوب:

<< الخير والشر كل له طريقه، فمن أراد طريق الخير فليطلب أهل الخير، فيدلوه على الخير، ومن أراد طريق الشر كذلك.

لا تصحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله، المرء مع من عرف، المرء مع من احب، فان الطبائع تسرقهم الصحبة.

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه([131])

لا تصحب صاحب السوء فانه يعلمك طبائعه وخلقه، المرء إذا كان يطلب المقام في البلد، فأول ما يطلب الجار الصالح، ويتجنب جار السوء، فإذا كان العبد عاقلا فلا يكون إلا مع الأفاضل.

فإذا كنت مع من هم افضل منك، تزداد منهم خيرا، فصاروا عونا لك بينك وبين الشيطان والنفس، وإذا كنت مع من هم دونك فيغرونك فيكونوا هم والشيطان عليك.

ليس من شأن العاقل أن ينزل بعد رفعه، ويبخل بعد جوده، ويكون جاهلا بعد علمه، ويكون جبنا بعد شجاعته، ويطلب أصحاب السوء بعد أن صحب الأخيار>>.

ويتطابق هذا الطرح أيضا مع طرح الحضرمي في هذا المقام:

---

[129] نفس المصدر السابق ص 69 -107- 130

[130] نفس المصدر السابق ص 149

[131] ورد في كتاب المنة الشطر الأول من هذا البيت ، بينما ورد في كتاب الإشارة كاملا

<<إن الصاحب السوء من الأشغال الشاغلة، والآفات النازلة، والأدواء القاتلة، وانه يستحب من تخير الأصحاب، ما يستحب من تخير الطعام والشراب، وإن الصاحب السوء يغذيك من دناءة طبعه، فتتغير به طباعك، ومن لكنة لفظه، فيفسد بها كلامك ومن فساد آدابه، فيلين بها رأيك، ويدربك على سوء الأدب، ويذيع لك مكتوم السر، ويدل بنقصه على نقصك، ونقص دينه على قلة دينك، فإن الحكماء قد تقرر بينهم : أن دين المرء على دين خليله، وأن الشكل منجذب إلى شكله.

ومن الحكم في ذلك قول الشاعر([132]):

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن مقتد

ثم أنك إذا أردته للنصرة، خذ لك، وان أردته للرأي، غرك، وان أطلعته على عورتك كشفك. والصاحب الفاضل إن كان عالما أفادك من علمه، وزينك بوقاره، و أرشدك برأيه، وحسن ذكرك بحسن ذكره، وهو حقيق بسد ثلمتك، وستر عورتك، وجمال مغيبك وحضرتك>>([133]).

ويضع الإمام المجذوب جملة من الحكم والآداب العامة، تتجلى فيها اكثر أبعاد المدرسة العقلية والمنطقية الحضرمية:

<< التقوى كنز والحق نور، والتواضع رفع، وطول الأمل غرور، والدعوى بغير دليل فسوق، وطلب العلا من غير سبب هبوط، والوعظ من غير إخلاص دخان، والحدة صفة شيطان، والتمني على الله من غير عمل زور وبهتان.

من حسنت أخلاقه أمنت بوائقه، ومن أمنت بوائقه رسخ إيمانه، ومن رسخ إيمانه انقاد لشريعته.

الأعمى من عميت بصيرته، وفسدت أخلاقه. البصيرة إذا طمست عميت وإذا عميت قعدت عن حوائجها. الناس كالبذر، والخارج من البذر على أصوله. من غفل عن رعيته، الأعداء حالوا بينه وبين الأحباء، ومن توانى عن السلطان لحقته محنة، ومن غفل عما عليه من الدين استغرقته سيئة المملكة، ومن توانى عن الخير لحقته الندامة، ومن حقر الأواني والأوعية لحقته قلة الزاد، ومن تهاون ببواب الملك ابتلي بعدم الدخول على الملك، ومن أمن الدهر لحقته محنة، ومن جاور الماء أمن من العطش، ومن لم يدخل السوق كل يوم فاته ربح الأيام، ومن لم يتهم نفسه كلما اصبح و أمسى غرته، ومن أمن عدوه فلا يلومن إلا نفسه، ومن خالط الناس بما احب، نال من الناس ما يكره، ومن لم تكن له جنة بينه وبين الناس ضربته سهامهم، ومن لم يتوكل على الله ابتلي بكثرة الهموم، ومن أراد الراحة فليلزم باب الملك، ومن غفل عن عداوة عدوه يسعى في تمكنه منه، ومن لم يعرف حقائق الأشياء حجب عن الفوائد، ومن طلب ما لم يخلق، تكلف ولم يرزق، ومن يزرع خيرا يحصد خيرا، ومن يزرع شرا يحصد شرا>>.

وهكذا فلسنا بحاجة، بعد هذه النصوص إلى المزيد من الأدلة على وجود علاقة فكرية ومذهبية وطيدة بين الإمامين المجذوب والحضرمي.

وكتاب المنة، بعد، مليء بالأحكام الفردية والجماعية التي تؤكد مثل تلك العلاقة فضلا عن أن مادته الأساسية هي مزيج من علوم التوحيد والأصول وعلم الكلام والفلسفة

---

[132] نفس المصدر السابق ص 77-78

[133] الشاعر هو عدي بن زيد العبادي التميمي من شعراء الجاهلية ، ودهاة العرب ، قتله النعمان بن المنذر في سجنه بالحيرة .وللبيت قراءة أخرى:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فإن القرين بالمقارن يقتدي

والفقه والتصوف والسياسة وهي المعارف التي تؤكد المصادر أنها كانت ديدن الإمام أبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي.

ومن المعلوم أن الإمام الحضرمي لم يترك أثرا معروفا في أي من هذه الميادين التي تناولها كتاب المنة، سوى ما تدل عليه الرسائل والأراجيز الصغيرة التي أشرنا إليها آنفا، والتي لا تقوى قوة وسعة معارف الرجل في مجال التوحيد، وكتاب الإشارة في تدبير الإمارة الذي هو سياسي في مادته وغرضه، ولو أنه يحمل بين دفتيه عبيرا فكريا ومسحة كلامية تدل على صاحبه.

ومعلوم كذلك أن مباحث العقيدة لم تنتشر في بلاد شنقيط إلا بعد منتصف القرن الحادي عشر الهجري ، أي بعد ظهور المصنف الأول من كتاب المنة.

وكان درس علم الكلام قبل هذه المباحث يقتصر على المقدمة العقدية في رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ت 550هـ) و التي كانت أيضا معتمدة في الفقه([134]).

ولعل ظهور المصنف الأول من كتاب المنة، كان من بين الخلفيات الأساسية التي حفزت ـ الخصم اللدود ـ لدعوة الإمام المجذوب، الفقيه عبد الله ولد بو المختار البوحسني ([135])على أخذ إضاءة الدجنة للمقري، معه في عودته من الحج سنة 1066هـ وإرسال نسخة منها إلى إمام شنقيط الطالب محمد بن الأعمش الذي وضع عليها شرحا بطلب منه([136]).

لكن إشكالية طبيعة العلاقة بين الإمام المجذوب ـ الفتى الأمي الذي عاش في القرن الحادي عشر الهجري، و بين الإمام الحضرمي العالم الأصولي الذي عاش في القرن الخامس الهجري تبقى مسألة محيرة، وتزداد تعقيدا كلما تعززت الأدلة على وجودها، وهي العلاقة التي ظلت مثار جدل عنيف بين الإمام المجذوب وخصومه داخل وخارج منطقة آدرار، بل وتجاوزت، أصداء الأخذ والرد بشأنها لتصل إلى محافل علمية أخرى خارج المجال الترابي الشنقيطي.

فكيف نفسر والحالة هذه ـ طبيعة تلك العلاقة التي قامت الأدلة الملموسة على وجودها...؟

هل نفترض أن الإمام المجذوب لم يكن في حقيقة الأمر أميا، فأطلع في اطار على بعض كتب الإمام الحضرمي التي قد تكون ظلت محفوظة في المنطقة، فتبناها لنفسه، ومن ثم قام باكتشاف القبر، لتبرير كرامة – وهمية ـ لتعبئة الناس حول مذهبه...؟

أم أن الأمر يتعلق ببساطة بصحة الاحتمال الثاني، وهو دعوى اتصاله الروحي بالإمام الحضرمي "المكاشفة" على النسق الذي مر بنا، والذي يدخل في باب الخصوصيات الروحية والمعنوية للصلحاء من البشر، بحكم المصوغات الدينية والتاريخية في ثقافتنا الإسلامية، وهو ما من شأنه أن يزيل جميع العوائق المحتملة من جهل "أمية" وعجز عقلي وبدني وغير ذلك.

أما بخصوص الافتراض الأول فان الاعتراض عليه يعتمد على الثوابت التالية:

---

[134] الأستاذ ددود ولد عبد الله : الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين 11 و 12 هـ صفحة 126

[135] شارك الفقيه عبد الله ولد بو المختار تلميذه ابن الأعمش في كتابة الرسالة الموجهة على علماء مصر لرد تقريظاتهم لكتاب المنة . نفس المصدر السابق ص 125

[136] نفس المصدر ص 127

أ) أن وجود تراث مكتوب للإمام الحضرمي معروف في المنطقة، شيء مستبعد، إذ لو كان موجودا ومعروفا ، لكان حجة دامغة في يد خصومه في أطار نفسها وفي خارجها كذلك، ولما اتهمه هؤلاء وأولئك بأخذ العلوم من مصادر غيبية.

ب) أنه لو افترضنا أن التراث العلمي الحضرمي كان معروفا في المنطقة، وكان في متناول الإمام المجذوب، فان مانع الأمية التي يدعيها لنفسه، وهي أهم مرتكزات كرامته، والتي لم يقم دليل حينئذ على نفيها، كانت ستحول دون اطلاعه على ذلك التراث.

ج) أن الإمام الحضرمي نفسه لم يكن قبره معروفا، وربما لم يكن هو نفسه معروفا بصفة دقيقة في المنطقة قبل الإمام المجذوب، بدليل ما ورد في تداعيات رواية اكتشاف قبره: << زيارة صالح مدفون في تيارت>> وكذا ما ورد في فتوى ابن الهاشم القلاوي:<<وصاحب آطار الذي يقول بأن العلوم تقع في قلبه من غير تعلم ولا احتاج إلى مراجعة كتب، لأنه زعم أن صاحب قبر هناك يجري يده بالعلوم>>.

د) أن المباحث العلمية التي ترتبت على ظهور كتاب المنة، من مساجلات بين الإمام المجذوب وبين خصومه، والفتاوى و النوازل التي وردت عليه، والتي ترتبط بالظروف السياسية والاجتماعية القائمة اكثر من مادة الكتاب، تدل على خلفية معرفية واسعة ومتنوعة أيضا، مقابلة مع أميته التي قررها خصومه بحكم تسليمهم لها، مما يزكي ادعاءه لها .

لقد انصب اهتمام الإمام المجذوب في بداية أمره كما أسلفنا ذكره، على استقطاب قومه وحصر اهتمامهم حول كرامة نابعة وراسخة في أرضهم، ومحاربة الدعوات المهدوية الخارجية، وصرف أنظارهم عن الأزمة المحيطة، والحيلولة دون انجراف أهل آطار في صراعاتها << أحبائي كونوا عقلاء لمنافعكم، و ناصحون لإخوانكم، واحسنوا حوار من جاوركم، واتقوا فتنة لا تصيبكم في دينكم، ولا تلتفتوا إلي فتنة تغيركم، فان هذا سبيل الصالحين قبلكم. نسأل الله النجاة مع الدين في هذا الزمان الذي بان فساده، وكثر فسقه وقطعت أرحامه، وكثر اسفاك دمائه... كونوا على طاعة الله إخوانا وكونوا على يد واحدة، واصبروا لإساءة جواركم>>.

ولم يكن ليتأتى ذلك السلم الاجتماعي و تلك الوحدة القوية التي طبعت مجتمع الإمام المجذوب في بداية أمره على الأقل، وجنبته عدوى الفتن والصراعات التي اجتاحت المجتمعات المجاورة له، لولا الرابطة الروحية المتينة التي رعاها، والمبادئ السلمية التي رسخها و أحاطها بهالة من القدسية لتستجيب للهموم والتطلعات السائدة في عصره، وفق منهج تربوي تدرجي يأخذ من ضريح الإمام الحضرمي وإيحاءاته المعرفية سلمه الأول ومصداقيته الروحية، لكنه يتدرج رويدا، رويدا في سلم التهذيب العقلي والنفسي وصولا إلى المعرفة الإلهية.

وهكذا أخذ الإمام المجذوب في أولوياته الإصلاحية من خلال منهجه التربوي بعد أن نجح في إقناع قومه بالخيار الحضرمي، تهذيب المفاهيم السائدة في أطار عن ظهور "المهدي المنتظر" والذي يشغل حيزا كبيرا من الاهتمام العام << و أما سؤالهم عن المهدي فإنه جهل منهم، فان المهدي إذا ظهر، ظهر على الناس جميعا.

فان قالوا: إن شيخك يعلم خروج المهدي ولكنه كتمه عنا، ونحن نريد أن يشرح لنا خبره، قل لهم : إن علم المهدي عند الله ، فإن قالوا إنا نطمع في إدراك زمانه، قل لهم: من أدرك زمان الشيء الواقع فلينتظر وقوعه. فإن قالوا هذا الشيء العجيب الذي يخرج

من الموتى فلا يكون إلا خبر المهدي، قل لهم: أكثر عجائب الله في خلقه مما يعيه أهل العقول. أما أصل المهدي فهو علم أدخره الله ، فهو معرفة الله تعالى. والفتى الذي يخرج على يده هو من ولد فاطمة . فمن سألك عن المهدي فليسأل عنه بخبر الشارع. وما نبهتكم على هذا إلا أن تتورعوا ولا تقولوا في علمي شيئا، فتحكموا له أنه هو المهدي وغير ذلك>>.

ويتضح النهج التربوي التدرجي الذي اعتمده الإمام المجذوب في إستراتيجيته لإصلاح مذهب قومه والسمو بأفكارهم في سلم المعرفة الإلهية في تفسيره للآية الكريمة:- وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين([137])

فقال: هذا ربي، أي هذا الكوكب من فعل ربي. وأضمر الفعل- دفعا للحجة- فصار عليه السلام يريد رحيل النظر إلى مقام عال، ثم، ثم، إلى رؤية الله تعالى. وتلك من سياسة العالم إذا أراد تعليم الجاهل، لأن الأصنام في الأرض درجة والكوكب الذي في السماء درجة. ([138])

كذلك كان من سياسة عالم أطار الذي يتهم قومه بالجهل صراحة - وأما سؤالهم عن المهدي، فإنه جهل منهم - أن يتدرج وفقا لذات المنهج في تربية قومه حتى يستطيع ترحيل نظرهم من درجة التعلق بالكرامات والدعاوى المهدوية الخارجية، إلى كرامة محلية، يكون في متناوله تهذيب مفهومها وتحجيمها ثم، ثم، إلى رؤية الله تعالى(معرفته).

ولا مانع أن يكون الإمام المجذوب هو الآخر قد- أضمر الفعل- دفعا للحجة.

وفي هذا السياق عمد الإمام المجذوب كما أشرنا سابقا، إلى ترميم المسجد الحضرمي الذي يوجد قرب ضريحه، وأقام بناء ''بيت'' على الضريح تعليما وتكريما له. وألزم أتباعه"أحباءه" بدراسة وتدريس علومه هناك، وأقر جملة من المسلكيات والآداب: << وإذا أتيتم البيت ومسجده تذكروا ما قلنا لكم قبل..من لم يكن من أهله، وكذلك العاقل من أهله لا يتخذه متكأ ولا مجلسا، إلا إذا كان العلم يتلى، أو يكتب. و التتحفظ نساؤكم من رجالكم، واستعملوا ما عندكم من العلم، وتمسكوا بقول شيخكم: فليعلم العالم منكم الجاهل، والكبير الصغير. العلم واسطة الخير والعلم هو الدال على الخير.>> وهكذا طرح الإمام المجذوب البديل الكفيل بالرقي بأفكار قومه وسلوكهم ومستواهم المعرفي، وألزمهم بالتفكير واستعمال العقل كوسيلة للوصول إلى المعرفة الإلهية، فكانت أول عبارة خاطبهم بها في كتاب المنة:<< أول ما خلق الله العقل، فالعقل هو الأصل منكم، فإن الله خاطب أهل العقول الساعدين، ولا يعقل كلام الله إلا العقل السعيد، فإن حققتم بهذا فاعرفوا الله بعقولكم فإن الله لم يجعل الدليل عليه إلا من جهة العقل>> ويبدوا أن التشبث بهذه التعاليم كان كبيرا والتعلق بالشيخ الإمام الحضرمي كان مطلقا، حيث بدا وفي وقت مبكر وكأنه قد أصبح المرجعية الوحيدة لحل جميع الإشكالات المطروحة على المجتمع:<< وأما ما قالوا أن كان فاسقا قطع طريقهم واستولى عليهم بالظلم.. و أما خبر الأعداء فإذا قدموا عليكم فواجب عليكم دفعهم، أما الدفع فتارة يكون بالمال، وتارة بالمكائد، فان الحرب خير ما تدفع به المكائد.. وأما سؤال الغريب المحب في الله والصابر على زيارة شيخه من بعيد، قل له يتقبل الله منا ومنه كل عمل صالح، و أما سؤاله عن العقيدة، أول العقائد "أن يعلم أن الله واحد لا شريك له، والله كناية عن الوجود... فان قالوا ما حقيقة الإيمان وشروطه؟ قل لهم: تصديق القلب بما قاله اللسان، أما السؤال

---

[137] وردت هذه الآية غير كاملة في كتاب المنة

[138] يتكرر هذا المذهب في تفسير الإمام المجذوب لبعض الآيات الكريمة في كتاب المنة

عن القياس هل هو عن شيء معلوم أم لا؟ قل لهم : هو شطر من عقول الكيسين، وهو أقوى شطورها، وله شهود زاكية وهم قلوب العارفين بالفقه دون المعرفة.

أما السؤال عن كيفية دليل العقل على الخالق فنقول: الحمد لله الذي سطع نور الحق في قلوب أوليائه فاستدلوا عليه بالنظر، منهم من سلك بنظره بالخلائق على الخالق، ومنهم من استدل بنظره بالخالق على الخلائق.

فالسالكون استدلوا بقوله : أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض([139]) وقوله: قل انظروا ماذا في السماوات والأرض([140]) فسبقوا نظرهم إلى الخلائق.

والمجذوبون، استدلوا بالخالق، لان الفعل لا يعقل فعلا إلا بعد معرفة فاعله>>.

ومن هنا بدأت الحركة الإصلاحية المجذوبية في اطار تأخذ بعدها العلمي والفكري واتجهت الأنظار إلى مدينة الإمام الحضرمي التي أنبثق إشعاعها العلمي والفكري من جديد، بعد خمسة قرون من الجمود والسكينة، و انعقد الرأي العام للبلد حول الإمام المجذوب تحت المظلة الحضرمية ذات الأبعاد المتعددة، وكأن التاريخ المرابطي يعيد نفسه مرة ثانية، بعدما ساد الجهل، وتفككت البنية، وكثر الظلم والفساد، فيتخذ من آزوكي – جزيرة رباط ثانية، ومن الإمام المجذوب - عبد الله بن ياسين الثاني، ومن أهل أطار- جمهور الصلحاء الساعين خلفه إلى كسب العلم والمعرفة الربانية، وتحقيق السلم الاجتماعي.

ولابد أن الإمام المجذوب وهو يرسم هذا الطريق بحكمة، كان على بينة ووعي بمراحل تطور البنية السياسية لنشأة المرابطين، وهو ما يتأكد من خلال خلفية اختياره لأزوكي العاصمة الأولى للمرابطين لتأسيس بنية مجتمعه الجديد"أحبائه" وكذا اختيار المفكر المرابطي الإمام الحضرمي، وتعاليمه ذات الخصوصيات السياسية والفكرية المرابطية.

وبمرور الوقت تتهيأ الظروف، فيجد الإمام المجذوب نفسه في معسكر قوي ومتعلم يأتمر بأمر شيخه الإمام الحضرمي وينتهي بنهيه.

وتخلو الساحة السياسية من المنافسة بعد انهيار حلف الإمام ناصر الدين منافسه الوحيد في المنطقة، فيفسر الإمام المجذوب ذلك على انه تحول لصالح دعوته، فيبدء على الفور في تهيئة ساحته السياسية للحدث المرتقب بعدما اقتنع اتباعه بمهدوية علم شيخه<< أما اصل المهدي فهو علم أدخره الله عنده، فهو علم معرفة الله. وحقيقته مجهولة لأنه بين حي وميت والفتى الذي يخرج على يده، من ولد فاطمة . هذا الحق ابن الحق الأول وخليفته في الأرض، وجسم الكاتب والمكتوب عنه من رسول الله، والحق من القرآن والحديث.>>

ويأتي الأمر الحاسم على لسان الحضرمي بعد حين: << وان من قام لأمرهم فيتبعونه، فان المسلمين لابد لهم من قائم يقوم بأمرهم، فلا بد لهم من سلطان يكون عليهم، يصلح أمرهم، ويكون للمسلمين بيت مال إذ ما شرع إلا لإصلاحهم، أو إمام يجعلونه في أمر دنياهم، فان أفقر الإمام ولم يكن عنده شيء، فله على قومه شيء يرونه مصلحة لهم، إذ هو القائم لهم في أمر دنياهم، وأن الذي يخدم مداراتهم مثل ذلك.

---

[139] وردت هذه الآية غير كاملة في كتاب المنة

[140] وردت هذه الآية غير كاملة في كتاب المنة

ويجعلون عشر أموالهم من الزرع والتمر، فيجعلونه خراجا للظلمة، يصلح به أمر دنياهم، فيعدلون فيه، إذ هو قوام البلد، فكل من له شيء في البلد فعليه ذلك الخراج.

ويجعلون خراجا لبناء مسجدهم، و مؤذنهم وإمامهم وقاضيهم، فالمؤذن والإمام والقاضي من مصالح البلد، إذ هؤلاء حاملو أمر أهل البلد...>>

وفي هذا السياق تجري على لسان الإمام الحضرمي جملة من الضوابط والنظم التي تحدد مسؤولية الحاكم والمحكوم في إقامة العدل << فإن الإمام خليفة الله في أرضه، الإمام والجماعة هؤلاء خليفة الله ورسوله، فان أمير القوم خليفة الله في أرضه. فالعدو المؤمن لا يخلو من أن ينقاد للعدل، فيدفع إليه ما نهب، أو أن يكون معتديا، فكل ظالم معتد فأمره إلى الإمام.

أحبائي لا تغيروا أميركم بعدم المطاوعة، فان البركة مع العدل والمطاوعة، فلا خير في أمير لم يطع الله ورسوله، ولا خير في قوم لم يطيعوا أميرهم.

فقد أمر الله بطاعة أولى الأمر، وأمر أولى الأمر بالعدل وحسن النية >>.

ولا شك أن – الإمام، السلطان، الأمير - الذي يعنيه هذا الخطاب هو الإمام المجذوب نفسه، الذي بايعه أهل اطار على الإمامة العظمى عند ضريح الإمام الحضرمي نيابة عنه، بعد عودته من حجته سنة 1081هـ والذي أخذ يومها لقب الإمام المجذوب بعد أن كان قبل ذلك يلقب بالمريد محمد المجذوب، كما أطلق لقب الإمام على شيخه الذي كان قبل ذلك يلقب بالشيخ الحضرمي فقط.

مع أننا لم نجد تفسيرا للأسباب التي حالت دون ظهور لقب الإمام بالنسبة للرجلين في كتاب المنة، حيث ظل لقبا المريد والشيخ ثابتين لهما باستثناء مرة واحدة ورد فيها لقب الإمام مقرونا باسم الحضرمي.

ومن الأدعية التي وردت على لسان الإمام الحضرمي بعد هذه البيعة والتي تظهر مدى التغيير الجذري الذي طرأ على استراتيجية الحركة المجذوبية وطموحها السياسي :<< اللهم وافيه "يعني الإمام المجذوب " بما وافيت به ابن داوود سليمان، و أخلصه كما أخلصته، ودبر له كما دبرت له، واكفه شرك وشر الفريقين، الجن والإنس، ومن دار بهما من الجن والشياطين والهوام، اللهم زده بكرامة ذي القرنين، واجعله صفيا فيها، كما اصطفيت ذي القرنين، وزده برعب ينبيه ، و ينصره في جميع الأمر، وزده بشجاعة جده علي.

اللهم بين حال مريدنا عندك، ربنا و أمنه بما أمنت به ابن داوود وذا القرنين على نبينا وعليهما السلام، و أمنه بحضور جده صلى الله عليه وسلم، مع جماعته وشيخه، ومن معهم من أوليائك>>.

وفي هذه الأثناء كان حصن(القصبة)[141] الذي أقامه الإمام المجذوب على مدينة أطار مباشرة بعد البيعة، قد استكمل بناؤه، وكذا توسعة المسجد التي قامت على أساس الأحجار الأربعة[142] التي جاء بها الإمام المجذوب قبل ذلك من الحرم المكي في عودته من حجته سنة 1081هـ.

---

[141] حصن أقامه المجذوب لحماية أطار من الغزو بعد أن كانت عرضة له من طرف العروسيين القادمين من الشمال

[142] المختار ولد حامد : الموسوعة ، وتحفة الأخيار لعبد الودود ولد أحمد مولود ، مخطوطتان

ومن الإجراءات العاجلة التي قام بها الإمام المجذوب بعد دخوله مدينة اطار مباشرة إنشاء بيت مال للمسلمين وفرض الخراج ([143]) وعزل سلفه الإمام احمد الفقيه بن عبد الرحمن وعزل قاضي([144]) اطار الذي كان على شاكلة الإمام احمد الفقيه في تشكيكه في شرعية تلك البيعة.

وتعيين قاض جديد مكانه هو القاضي الشهير يوسف بن جار الله التركزي، وهو من أكابر فقهاء اطار المدافعين عن قضية الإمام المجذوب منذ بداية أمره، وهو صاحب الفتوى التي تحدى فيها فتوى ابن الهاشم القلاوي بشأن الإمام المجذوب قبل ذلك.
كما كان له دور كبير كذلك أثناء البيعة وبعدها في تصويغ مشروعيتها والحث عليها، والأخذ بآراء الإمام المجذوب في تبريرها في قوله بان<< صاحب آخر الزمان ظهوره بعث وخروجه علم، وحقيقته مجهولة لأنه بين حي وميت، والحي معلوم، والميت مجهول من باب عدم رؤيته>> وقد ترتب على هذه الفتوى موقف صارم من طرف أولئك الفقهاء تمثل في إصدارهم فتوى جديدة بعزله عن القضاء في اطار واتهامه بالجهل كما سنرى لاحقا.

محاور الخلاف بين الإمام المجذوب وخصومه من الفقهاء:

سبق وأن أشرنا إلى بعض العناصر السياسية والإقتصادية والإجتماعية والطبيعية التي شكلت آلية الأزمة الإقليمية والمحلية التي ميزت معظم فترة القرن الحادي عشر الهجري، والتي أدت إلى ظهور الحركات الإمامية الداعية إلى التغيير. فعلى المستوى الإقليمي، مثلا، بلغ العنف ذروته في المغرب بعد وفاة احمد المنصور الذهبي سنة 1012 ، وشهدت معظم المناطق هناك أحداثا دامية وتقلبات سياسية وفكرية أدت إلى بروز الزوايا الدينية كإطار سياسي وفكري بديل عن نظام الدولة السعدية التي تداعت أركانها تباعا، خلال أزمتها المزمنة. وقد لقيت تلك الزوايا ترحيبا وتجاوبا مع مبادئها وأهدافها في أوساط الرأي العام في المغرب، خاصة بعد أن أوقفت المد الأوربي على الشواطئ المغربية.

وفي هذه الأثناء ظهرت دعوات وحركات مهدوية كثيرة أخرى كانت من بينها على سبيل المثال حركة ابن أبي محلي سنة 1019 هـ و هي الحركة التي اكتسحت جنوب المغرب - تافلالت، درعة، مراكش.

والى الجانب الشرقي من بلاد شنقيط أعلن الإمام ''حدا حدا'' نفسه إماما أوحد في منطقة "اكدز"، ودعا الناس إلى مبايعته، و أعلن الجهاد ضد سلطان ''اكدز'' محمد التافريتي سنة 1033 - وآزرته في كل ذلك قبيلة - اكل - الأقلال - بقيادة قاضيها الفقيه حامدتو، وهي قبيلة من زوايا الطوارق تنتسب إلى الفقيه محمد قلي جد الأقلال.

---

[143] توجد وثيقة بحوزة السيد ابراهيم ولد العتيق مورخة بتاريخ 17 محرم عام 1086 هـ كتب فيها ما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم ، أشهد بما علمت أن أهل الطيب اعطوا تاكوريت بيت مال المسلمين في اطار وهي 93 صاعا من التمر الجاف ومثله من الشعير والقمح والسلت وعديله من الملح . الموكل ابو عبد الله بن القاضي .

[144] لم أقف على اسم هذا القاضي في وثيقة جيلي ولد انتهاه التي دونت هذه الأحداث

ولا شك أن تأثير هذه الحركات الإمامية المحيطة بالمجال الترابي الشنقيطي كان له مصوغاته المحلية، بحكم التشابه الكبير بين طبيعة المجتمعات الدينية، "الزوايا" التي حملت لواء هذه الدعوات، وكذا الظروف التي اكتنفت نشأتها هنا وهناك.

وفي مواجهة هذه الثورات الباطنية العارمة، كان أيضا معسكر الفقهاء التقليديين ذوي النزعة الفروعية الذين امبروا بدورهم لمواجهة هذا المد الروحي السياسي الذي اعتبروه من قبيل - الزندقة والخروج على النظام المعتاد - بل وذهب بعضهم إلى حد تكفير زعمائه، وتكفير من ناصرهم في أهدافهم، كما هو الحال مثلا في رأي فقهاء منطقة "أكدز" في مواجهة ثورة الإمام "حدا حدا" على سلطانها محمد التافريتي، ودعوته الناس في" آزواد" إلى مبايعته على الإمامة العظمى هناك، حيث انتشرت التآليف والفتاوى المناهضة له، ومن ذلك منظومة الفقيه محمد بن حامد تغن التي منها:

الحمد لله الذي قد أمرا ... بالطوع وانقيادنا للأمرا
وبعد فالرد بذا عمت ... على حدا حدا كذا حمدتو
قد كفرا جماعة الإسلام ... ثم تهورا على الإمام
وابطلا بيعته بزعمهم ... و أوجبا إعادة لنفسهم

وفي منطقتي القبلة وآدرار، واجهت حركتا ناصر الدين والمجذوب، الإماميتان معارضة قوية من طرف بعض فقهاء البلد حيث اعتبرتا كذلك خطرا على الوضع القائم في البلد، من المناحي السياسية والفكرية والاجتماعية.

ومن بين مآخذ الفقهاء الشناقطة على هذين الإمامين: دعوى المهدوية، وأخذ البيعة، والكشف، واستلهام العلوم والأحكام الشرعية من مصادر غيبية، ومحاولة تغيير المنكر بقوة السلاح. كما يتضح ذلك من فتوى ابن الهاشم القلاوي التي اشتملت على موقف شيخه إمام شنقيط الطالب محمد بن الأعمش من هذين الإمامين: <<إن من لم تكن له شوكة ظاهرة، وقوة قاهرة، أراد تغيير المنكر بالسلاح، وأن يكف هذا الفساد المنتشر في البلاد، فقد تعرض لما لا يطيق، وأهلك نفسه، وكان ذلك زيادة على الفساد، بل وكذلك لو كانت له قوة فإنه لا يحل له ذلك، إذ لا يتمكن مما أراد إلا بفساد تربو مفاسده على مصلحته، وأنت تشاهد ذلك فيمن قام بالبيعة من هؤلاء المتفقهين الذين رأوا أنفسهم في مكان لم يرهم الناس فيه، وتعرف مآل أمرهم(..) إلى فساد الإسلام واختلال النظام وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وما ذلك إلا لعدم الوقوف على الأوامر، والصبر على الشريعة...ويقال بمسمع منه إنه المهدي المنتظر ولا ينكر- يعني ناصر الدين - بل ربما أشار إلى انه هو ... أنكر عليهم ذلك - يعني ابن الأعمش- حتى قال يكفر من شايعه على ذلك، ولعمري انه لخليق بان ينكر عليه. وصاحب أهل اطار الذي يقول بأن العلوم تقع في قلبه من غير تعلم، ولا احتاج إلى مراجعة كتب، فإنه من هذا القبيل، لأنه زعم أن صاحب قبر هناك يخبره بالعلوم، وزعم انه يوقع العلوم تارة بقول في قلبه، وتارة يجري بها يده بالكتابة. يقول ابن الأبي([145]): ذهب بعض زنادقة الباطنية إلى أن هذه الأحكام الشرعية، إنما

---

[145] هو ابو عبد الله محمد بن خلف الوشتاتي ، من الآخذين عن ابن عرفة ، من أهم مؤلفاته إكمال الإكمال وهو شرح على صحيح مسلم . ت 828 هـ الأستاذ ددود ولد عبد الله : الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين 11و12هـ ص 98

يحكم بها على أهل العامة والأغبياء، و أما الأولياء و أهل الخصوص فلصفاء عقولهم من الأكدار، تظهر لهم العلوم الربانية، فيقعون على أسرار الكائنات، ويعلمون أحكام الجزئيات فيستغنون بها عن أحكام الشرع، كما كان للخضر عليه السلام، فانه اكتفى بما ظهر له، عما عند موسى عليه السلام، وهذه زندقة كفر، لا يستتاب قائلها، فإنها إنكار لما علم من الشرائع(....) وعلى الجملة فقد حصل القطع و إجماع السلف على انه لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى الراجحة إلى أمره ونهيه، إلا من جهة الرسل، فمن قال إن هناك طريقا آخر يعرف منها أمره تعالى ونهيه، فهو كافر يقتل، ولا يستتاب لأنه قائل بإثبات نبي بعده صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه من قال إنه يأخذ عن قلبه، وان الذي فيه حكم الله ، ولا يحتاج إلى سنة وكتاب فقد اثبت لنفسه النبوءة، وهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم: إن روح القدس نفث في روحي ومثل هذا كثير>>.

ويضيف ابن الهاشم إلى ما سبق من رأي شيخه، استنكاره لتعيين الإمام المجذوب مكان قبر الإمام الحضرمي مستطردا - أن ابن عبد السلام([146]) أبلغ أن بعض الفقهاء يعرف موضع قبور الصحابة بتونس فقال: لو عرفناهم لسجناهم، لأنهم اخبروا بأمر غير معلوم يوقع تشويشا، و ما اخلقه اعني صاحب أهل اطار بما هم به ابن عبد السلام، فلقد أوقع فيما خاف منه ابن عبد السلام).

وهكذا يتضح من خلال هذه الفتوى التي اشتملت على إدانة الإمامين بالزندقة والكفر وإشاعة الفساد والخروج على النظام العام، انهما يشتركان في التهمة المتعلقة بدعوى الكشف، واستلهام العلوم الشرعية من مصادر غيبية - الحضر عليه السلام - الإمام الحضرمي رحمة الله، بينما يختص الإمام ناصر الدين في الفتوى بتهم المهدوية والبيعة وتغيير المنكر بقوة السلاح.

ولعل دعوى المهدوية، وأخذ الإمام المجذوب البيعة في آزوكي نيابة عن شيخه الإمام الحضرمي، وما تبع ذلك من إجراءات سياسية و تنظيمية سبقت الإشارة إليها، قد جاء متأخرا عن هذه الفتوى، أو أن ضجيج أزمة القبلة التي أعلن إمامها الجهاد مبكرا قد حال، دون الإهتمام بتتبع مراحل تطور الحركة المجذوبية ذات الطابع السلمي.

وسنرى لاحقا مدى أهمية الحيز الزمني والفكري الذي شغلته بعد ذلك في اهتمامات الفقهاء المعارضين لها.

لكن دعوى الكشف واستلهام العلوم الشرعية من مصادر غيبية تبقى الجوهر الأساس في الخلاف بين الإمامين ناصر الدين والمجذوب و معارضيهم، وهذا الخلاف كما رأينا من خلال فتوى ابن الهاشم، هو امتداد طبيعي للخلاف المزمن حول نظرية المعرفة الذي تمتد جذور تياريه المتنافرين في صميم الثقافة الإسلامية " أهل الظاهر، أهل الباطن" حيث يرى أهل الظاهر "أن العلم حدثنا واخبرنا" وما سوى ذلك وسواس الشيطان([147]) بينما يرى أهل الباطن أن "الأولياء و أهل الخصوص، لصفاء عقولهم من الأكدار تظهر لهم العلوم الربانية، فيقعون على أسرار الكائنات ويعلمون أحكام الجزئيات فيستغنون بها عن أحكام الشرع كما كان للخضر عليه السلام، فإنه اكتفى بما ظهر له عما عند موسى عليه السلام".

---

[146] هو محمد بن عبد السلام الهواري التونسي شيخ التدريس والفتيا والقضاء بتونس حتى وفاته سنة 749 هـ نفس المصدر السابق

[147] القول للقاضي ابي بكر بن العربي المعافري الإشبيلي عالم متبحر من مولفاته : أحكام القرآن ، والإنصاف في مسائل الخلاف .

وإضافة إلى ما سبق ذكره من أوجه الإختلاف بين الطرفين، فإننا نلاحظ من لال إيحاءات الجملة التي وردت في سياق فتوى ابن الهاشم - هؤلاء المتفقهين الذين را أنفسهم في مكان لم يرهم الناس فيه - نظرة دونية، وتصغيرا لشأن الإمامين من ل أصحاب الفتوى، الشيء الذي يدل على وجود خلفيات أخرى غير التي وردت في توى.

ولاشك أن الفقهاء وهم - قادة المجتمع - قد أحسوا بمدى حجم التحديات وعمق تحولات التي بدأت تعصف بالثوابت الإجتماعية والفكرية التي كانوا بحكم مكانتهم يادية المتميزة قيمين عليها في مجتمعاتهم، حيث استطاع هذان الإمامان بين عشية ضحاها، رغم توسط ثقافة أحدهما، وأمية الآخر، أن يعبئا حولهما حشودا كبيرة من ناس المؤمنين بأهدافهما في التغيير، والمستعدين لبذل أرواحهم في سبيل تلك الأهداف ل وأكثر من ذلك، أصبح الكثيرون منهم يرون في صحبتهما ومؤازرتهما واجبا دينيا ره الآثار، بحكم الإعتقاد بمهدوية كل منهما في زمانه ووسطه.

و إذا كان الإمام المجذوب قد اشترك مع الإمام ناصر الدين، طبقا لفتوى ابن هاشم في تهمتي الكشف، وأخذ العلوم الشرعية من مصادر غيبية، فان دعواه المهدوية لم لشيخه الإمام الحضرمي، واخذ البيعة له نيابة عنه، فضلا عن نهجه العقلي في أويل الآيات والأحاديث، و نزعته الكلامية ذات المسحة الفلسفية "النابية" في العقائد، لها محاور خلاف تنضاف إلى ما سبقها من المآخذ لتشكل أرضية خصبة لحرب جالية حامية، استخدم فيها الطرفان مختلف الأساليب، بدأ بالفتاوى والفتاوى المضادة، المناظرات، واستدعاء التزكية من خارج البلاد، وانتهاء بالتهديد والإستهجان التجريح والتكفير و غير ذلك من الإهانات التي ميزت الصراع بين الطرفين.

وقبل أن نتعرض بشيء من التفصيل لهذا الموضوع نلاحظ بأن نجاح خصوم الإمامين مجذوب وناصر الدين في القضاء على حركة هذا الأخير، قد دفعهم إلى تصعيد هجومهم ضد - صحاب القبر - آخر معقل للاتجاه ''الباطني'' في البلاد، ذلك ما نجد له صدى بارزا في كتاب منة<< و أما كلام الأعرابي الذي سمعتم تكلم بكلام غيره، و أما هو فليس عنده من الرأي ما سأل به عن هذا الأمر، إلا الإستهزاء، وتيقنه أننا كاذبون، كما كذبنا في الأولى، وكما ظهرت فتنة بينهم وبين ''الطلبة'' الأولى. و أما تباحثهم مع مثلهم في الإنكار والفسق، لا يهولك، لأن مرهم مفروغ منه، فإذا سمعتم منهم ومن ''العرب'' الذين معهم، قولوا لهم ليس لنا ولا لكم من لأمر شيء، فاصبروا على ما تعدوننا به، ونصبر نحن على ما نحن عليه، حتى يأتيكم ما عدكم>>.

وقد برزت المهدوية أيضا كمحور خلاف بين الطرفين:<<فلما ظهر ما كان نسب لكم في غيركم، صرتم على ما أنتم عيه، بعد أن كنتم أكثر من ثلاثين سنة تسبونه لأنفسكم، ومستعملينه ومتبعين صاحبكم، فلما خالف الله الأمر أنكرتم. ومنها تكذيبهم بدعوى المهدي وهم يعلمون انهم مكثوا ما شاء الله يدعون أن صاحبهم الأول هو المهدي ونحن نقول لهم لا تعينوه لأنه أمر غيب.. واليوم يقضون برأيهم ورأي أهل الإنكار قبلهم >>.

وهكذا فأنه يفهم من خلال هذه النصوص أن معارضة الحركة المجذوبية - أصحاب القبر - لم تعد مقتصرة - ما بعد ''شربيه '' على الخصوم التقليديين لها، بل يبدو

أنها جاءت هذه المرة من قبل من كانوا بالأمس "يناصرون الحركة الناصرية في "القبلة"-<< واليوم يقضون برأيهم ورأي أهل الإنكار قبلهم>>.

كما أنه يشتم من إيماءات الأعرابي الذي تكلم بكلام غيره - فإذا سمعتم منهم ومن العرب الذين معهم - وكما ظهرت الفتنة بينهم وبين الطلبة الأولى - رائحة تأليب أولئك الفقهاء "للمغافرة" وحفزهم على الضغط أيضا على الحركة المجذوبية في أطار وهو ما سنجد له نتائجه فيما بعد.

وفي هذا السياق تندرج أيضا رسالة الفقيهين الطالب محمد ابن الأعمش وعبد الله ولد بو المختار إلى علماء الأزهر لرد تقريظاتهم لكتاب المنة([148]) وكذلك الفتوى التي أصدراها بعزل القاضي يوسف بن جار الله التركزي، قاضي الإمام المجذوب واتهامه بجهل الأحكام، و هو الذي كان قد أصدر فتوى مضادة تحدى بها فتوى ابن الهاشم آنفة الذكر، ضمنها الكثير من الحجج والبراهين الواردة في الأثر، والتي تزكي كرامة إمامه، بل وتوجب شرعا - كما قال - نصرته ومبايعته، بوصفه نائبا عن الإمام الأعظم، وقال فيها بما قال به الإمام المجذوب - من أن صاحب آخر الزمان ظهوره بعث، وخروجه علم، وحقيقته مجهولة لأنه بين حي وميت>>.

وقد تركت هذه الفتوى التي اتهم فيها الفقيهان مجددا كذلك الإمام المجذوب بالبدعة والضلال، صدى مدويا في كتاب المنة من خلال الردود اللاذعة التي رد بها الإمام المجذوب نفسه على فتواهم وطالبهم فيها بالمناظرة لحسم الخلاف :<<و أما فتواكم بعزل عالم البلد عن قضيته، ليس عندكم نص تأتون به، صحيح، إنما هو حسد وتغطية الحق، وفتواه في بلده ليست عن جهل ولا هوى. و أما يمينك أن الإمام يقوم ويوسف كاذب في دعواه...وأما قولك أن الإمام يقوم ويصير يأمر وينهي كقول أصحابك أن يوسف ليس من أهل الحكم، وما ذلك منك إلا التجري، والمتجرئ من يتكلم فيما ليس له به علم، ويحكم من تلقاء نفسه على فضل الله في خلقه.

أما كتاب الطالب محم- يعني الطالب محمد ابن الأعمش- لأخيه، يعني الأمام أحمد الفقيه بن عبد الرحمن - بإطفاء نور بان: لا يجد فيها إلا ما وجد شيوخه فيها قبله- يعني ولد بو المختار- قالوا فينا أكثر مما قال، ورجع عليهم بتخسير الدنيا، والآخرة أمامنا. و أما فتواه ببدعتنا، وفتوى أخيه قبله، فما هي إلا من تلقاء أنفسهم، ليست عن علم مكتسب من كتاب ولا من عقول صافية من الشبهات. وجوابها عندنا جواب مستقيم وهو: أن الله خلق الحق والباطل، وضادهما، فكلما ثبت واحد منهما في محل زال الآخر، وانتم قلتم إنكم قضاة الحق، والحق لا يخفى صاحبه، وصاحبه صاحب دين، ليس له غرض في أحد إلا الله وحده، ونحن قلنا إنا كذلك.

وما الحكم بيننا إلا أن يرسل الناس بعضنا إلى بعض، والمتكلم منا واحد، فإذا فرغ كلامه، يقول لمن حوله هل سمعتم كلامي، وسمعتم كلام هذا المتكلم، حتى تشهدوا علينا يا جماعتنا بما نحن عليه، فإذا أكمل هذا المجلس بيننا، ونحن كلمة، بكلمة، فلا بد أن يوجد من الجماعة من يؤدي الشهادة على المبتدع منا>>.

---

148 ورد ذلك في مقدمة وضعها أحد أحفاد ابن الأعمش لكتاب روض الأزهار في علم الليل والنهار لابن الاعمش (مخطوط) واشار عبد الله بن محمد الصغير بن توجه الى ذلك في منظومته التي منها : وهو ابن الاعمش الذي اقرا بعلمه الخرشي الرضى بمصرا
كغيره وصححوا ما نقله في كتب المجذوب مما أبطله
نفس المصدر السابق ص 125

ويبدو أن هذه المناظرات قد تمت بالفعل، وكان لها تأثير كبير ينضاف إلى تأثير الضغوط الخارجية، على الأوساط العلمية في أطار.

وكان أيضا لعزل الإمام المجذوب لسلفه وابن عمه، الإمام احمد الفقيه بن عبد الرحمن، وهو من أبرز علماء أطار، وأكثرهم معارضة للمجذوب منذ بداية أمره، كان لعزله كذلك، تأثيره الخاص هو الآخر على الأوساط العلمية والإجتماعية في أطار، مما جعل الكثيرين يعتقدون بأن فتوى الفقهاء التي تضمنت عزل القاضي يوسف بن جار الله كانت قد جاءت ردا حاسما على عزل الإمام المجذوب لصاحبهم وقاضيه.

وقد كرس هذا الإعتقاد مع غيره من العوامل الأخرى هوة خلاف ظلت تتسع باستمرار إلى أن أدت في النهاية إلى انقسام الرأي العام في اطار، بين مؤيد لجماعة الفقهاء، ومؤيد للإمام المجذوب << قل لمن قال إنا فحمنا، المفحوم غيرنا، والفضيحة للجماعة المتعصبة على إذايتنا، و خسران الدنيا والآخرة، لمن حاربنا، ولا سيما من فعل ذلك من قبيلتنا لأجل ما رؤا من علمنا الأول، ثم انحرفوا عنه. و أما قولنا في ردتكم عن المهدي هي وعد بيننا وبينكم. يا من ترى انحراف أهل اطار عن أمرك، حرفنا عن حرفتهم، وأعنا عليهم بما تعين به مظلوما على من ظلمه. و أما قول أهل أطار، قالوا فينا موفور الكلام، وقلنا انهم هالكون لأجل تعصبهم على تكذيبنا، وانحرافهم عن علمنا بعد أن كانوا مصدقين به، وصاروا يقضون برأيهم ورأي أهل الإنكار قبلهم >>.

وقد تميزت هذه المرحلة كذلك بظهور العديد من المناظرات، والفتاوى، والفتاوى المضادة، التي تبادلها الإمام المجذوب واتباعه مع فقهاء كثرين لم تظهر أسماؤهم ولا آراؤهم خلال المرحلة الأولى من الصراع "مرحلة ثنائية ناصر الدين - المجذوب".

فبالإضافة إلى الخصوم التقليديين، ابن الأعمش، وابن بو المختار، وابن الهاشم ظهرت كذلك أسماء فقهاء وقضاة آخرين كانوا على شاكلتهم في تشديد النكير على الحركة المجذوبية من بينهم: المبرك بن الإمام الصغير قاضي اوجفت وابن عم الإمام المجذوب، وابن الحاج إبراهيم،([149]) والتنواجيوي([150]) وآخرون.

وعلى الرغم من أننا لم نعثر على أكثرية نصوص هذه الفتاوى والمراسلات التعجيزية التي صدرت عن هؤلاء الفقهاء أفرادا وجماعات، فانه يستدل على مدى تعقيدها و قساوة التهم التي تضمنتها من خلال صرامة ردود الإمام المجذوب عليها:<<وأما قول ظهيرنا قبل، وارتد عنا بعد، قل له نكرانه في خلواته لا يرد ما أتى الله من فضله...

و أما قول الجماعة الضالة وهي ترغم أنها المهدية...

و أما قول القائل لأي شيء تأتون المسجد، وقول مجيبنا لاتهن العلم، قل له المهين من أهان الحق...

---

[149] لم نقف على تعريف لهذا الرجل في الوثائق التي تحدثت عن الامام المجذوب وخصومه

[150] هو سيدي عبد الله بن ابي بكر التنواجيوي ، وصفه صاحب فتح الشكور بانه عالم بالقراءات والفقه والنحو ، رحل الى سيد احمد لحبيب اللمطي السحلماسي فاخذ عنه القراءات وجاء بالجيم الشديدة فاخذ به الكثير من اهل بلاد شنقيط في قراءة القرءان . ت 1145هـ فتح الشكور ص 208-209

- قل لأصحاب الفتوى في خبر مبايعة الشيخ، لم يكفر من بايعه، بل يكفر من باعده، أما سؤالهم هل تتم البيعة من حي لمعدوم، وهل تصح دون مباشرة باليد واللسان وما هو أصلها في الشرع وما هي شروطها...؟>>.

ويبدوا أن هذا الجدل الساخن بين الطرفين لم يتوقف طيلة حياة الإمام المجذوب، ولم يفض إلى نتيجة حاسمة، بل ظل محتدما، وظلت شقة الخلاف بينهما تتسع باستمرار، ويزداد كل طرف منهما تشبثا بمذهبه، وابتعادا عن مذهب الآخر، بل إن مظاهر الجفوة والقطيعة قد بزرت بقوة خلال هذا الصراع في مجتمع أطار حيث نرى الإمام المجذوب يأمر اتباعه صراحة بمقاطعة خصومه :<< كفوا عنهم قولا وفعلا وحالا، ولا تنظروا في ثيابهم فأحرى غير ذلك، لأنهم جعلوكم مجانين وشياطين، وجعلوا الحق كذبا، وجعلوا أولياء الله حميرا>>.

ويعطينا كتاب المنة صورة واضحة عن ردة فعل الطرف الآخر:<< أما، ما قالوا(يعني أنصاره)من أن جيرانهم قد ارتحلوا عنهم، قلنا :فان كانت فيهم منفعة لهم ،فتلك المنفعة من الله وعلى الله الخلف، والله هو الباقي. وان كان جيرانهم فيهم مضرة، فالله تعالى دفع بهم الضر عنهم، والحمد لله على دفع المضرة>>.

وقد استقر الموفق في مجتمع الإمام المجذوب على هذا النحو، دون أن يصل إلى حد الصراع المسلح على الرغم من محاولة أكثر من طرف خارجي لجره إلى ذلك الصراع، وعلى الرغم كذلك من قوة مركزه ومنعته في اطار بالمقارنة مع خصومه فيها.

ويمكن أن نرجع ذلك إلى الطابع السلمي لدعوته:<<ونحن لا فتنة تخشى منا. والمؤمن أخو المؤمن ولو كان عدوه، إذ الإيمان يا أحبائي شيء عظيم، وقتل المؤمن حرام، ولو طلب من أحدكم دفع ما عنده من مال ليفتدي به من عذاب الله ،لكان خيرا له من غضب الله .ادفعوا أموالكم مداراة لدينكم ، فان دفع المال فيه إنقاذ نفوسكم وإنقاذ نفوس أعدائكم المؤمنين >>.

وقد شهد الموقف بعد وفاة الإمام المجذوب سنة 1098هـ تطورا مستمرا في اتجاه المصالحة والتعايش السلمي بين الطرفين ، بل إن ذلك يستشف بوضوح من خلال خفة لهجة الإمام المجذوب نفسه في فترته الأخيرة :<< لقد جف القلم بما هو كائن .من اهتدى فقد اهتدى وربح ، ومن تعدى على الحق فقد أثم ، ووزره عليه .وكلا ألزمناه طائره في عنقه .ولا أنهاكم بعد اليوم عن مخالطة أحد يقول : أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله >> لكنه مع هذا التلويح بالمصالحة ظل يمسك بزمام الأمور حتى وفاته في أطار << أما تصريف الله فينا، فأوله الكتابة، ووسطه الهدي، وآخره الصلاح والإستقامة>>.

هذا مع العلم بأن حركته قد تراجع مدها إلى حد ما في أواخر عهده، وعلى الرغم من تقاعس بعض أنصاره عنه بعد التطورات التي شهدتها اطار بعد أخذه للبيعة على الإمامة العظمى نيابة عن الإمام الحضرمي، وعزله للإمام احمد الفقيه بن عبد الرحمن ومن على شاكلته من فقهاء أطار، فإن اتباعه ظلوا يشكلون قوة معتبرة وحتى القرن الماضي، فقد ذكر القاضي بانم بن احمد ذلك في ترجمته له في المصنف الثاني من كتاب المنة الذي أعاد تدوينه سنة 1226 هـ حيث قال : واعلم أيها الناظر لهذا الكتاب أنا قد صدقنا صاحبه، وجعلناه حجة وشيخا واسطة بيننا وبين الله.

ويذكر أن القاضي محمد سيدنا بن برو، وهو من مشاهير علماء اطار في القرن الماضي، ومن أكثرهم تحفظا على قضية الإمام المجذوب، كان صديقا حميما للفقيه المتوصف سيدي احمد ولد اعبيدنا، وهذا الأخير من المتشبثين بمذهب الإمام المجذوب حيث كان يتردد كل جمعة على ضريحه وعلى ضريح شيخه الإمام الحضرمي، فكان القاضي محمد سيدنا يلقاه بعد عودته من زيارة قبريهما فيسأله بشيء من المزاح والتهكم: أي مواقف الكبش زرت ، يا سيدي احمد - يعني تداعيات طريقة اكتشاف قبر الإمام الحضرمي السالفة الذكر في الرواية الشفوية ؟

وذات يوم أصيب القاضي محمد سيدينا بوجع عيون شديد كاد يفضي إلى العمى، فأرشده صديقه سيدي احمد إلى أن يذهب معه لزيارة قبر الإمام الحضرمي ومريده الإمام المجذوب لعله يجد في ذلك سببا لشفاء مرضه.

لكن القاضي محمد سيدينا رفض ذلك رفضا مطلقا في أول الأمر، لكنه رضخ فيما بعد لإلحاح الفقيه سيدي احمد تحت طائلة المرض، فذهب معه إلى هناك حيث ارتجل قصيدته التوسلية الشهيرة التي منها:

أيا سيد السادات يا حضرمينا ... ويا قطب الأولياء في كل ما عصر
ويا من بثثت العلم حيا وميتا ... وجاهدت أرباب الضلالة والكفر
ودوخت غلبا ما أبيح حريمها ... بسيفك يا سيف الإله مدى الدهر
أتيناك نرجو أن تحط ذنوبنا ... وتقضى لنا الحاجات في السر والجهر
أتينا لإصلاح الشؤون بأسرها ... ضريحك يا مأوى الإجابة والخير
أتينا لإصلاح القلوب وبرها ... وحفظ النفوس من بلاء ومن شر
فما خاب قط زائر حل حولكم ... ولو كان ذا جرم عظيم وذا نكر

ومن يومه ذاك اصبح القاضي محمد سيدينا على قدم صديقه الفقيه سيدي احمد فيما ذكرناه.

كتاب المنة:

سبق وأن أشرنا إلى أن أجزاء من كتاب المنة قد تعرضت للضياع، ربما لتقادم عهدها وانعدام وسائل الصيانة في تلك الحقب، أو أنها ربما أتلفت بشكل متعمد بعد وفاة الإمام المجذوب وضعف مركز أنصاره في فترة ما، بعد ذلك، في سياق التطورات السياسية والإجتماعية التي شهدتها المنطقة في فترة لاحقة.

واستنادا إلى ما ذكره القاضي بانم بن احمد الذي أعاد تدوين بعض أجزاء هذا الكتاب، حيث ذكر في مقدمته أن الإمام المجذوب قد ألف ستة أجزاء لم يبق منها سوى جزءان فقط.

وقد احتسبنا في بداية الأمر أن ما ذكره القاضي بانم هو من قبيل التهويل والمبالغة بحكم أسلوبه، المتشبع بالعصبية والانحياز المطلق لابن عمه الإمام المجذوب، مقابلة مع استهجانه لآراء خصومه.

وبعد بحثنا الطويل الذي استمر أكثر من أربع عشرة سنة عن تراث هذا الرجل، تأكد لدينا ما قال به القاضي بانم، بل وكبر اعتقادنا في أن الإمام المجذوب قد ألف اكثر من ستة أجزاء. فقد حصلنا على شذرات، وورقات وأبواب، ومتفرقات من أكثر من تسع مصنفات لكل واحد منهم مادته ونوعية ورقة، وحجمه، وخطه الذي يميزه عن الآخر ، علاوة على المصنفين المعروفين في أطار.

وهذه المصنفات التي عثرنا على أشياء منها، بعضها سياسي :<< أما بعد يا مريد، فإن المسلمين لابد لهم من قائم يقوم بأمرهم، فلا بد لهم من سلطان يكون عليهم يصلح أمرهم، ويكون للمسلمين بيت مال....>> ومنها ما يتناول علم التوحيد:<<الحمد لله الذي وجوده، الوجود الحقيقي، والذي وجود الكائنات، كناية عن وجوده حسا لا معنى، فوجود الكائنات على مراتب، وجود الجمادات ووجود الحيوانات.

فوجود الجمادات مختص بعرض الإسكان أبدا، ووجود الحيوانات، أعراض مرتبة كأعراض الذات وأعراض الأحوال>>.

ومنها ما يتناول التصوف:<<الحمد لله الذي أسطع نور الحق في قلوب أوليائه فاستدلوا عليه بالنظر، فمنهم من سلك بصره بالخلائق، على الخالق، ومنهم من استدل بنظره الخالق على الخلائق...>>.

ومنها ما يعالج النوازل الفقهية المطروحة على المجتمع : << فان قالوا ما الأمر في خبر أعدائنا، ومواساتنا؟ قل لهم : إذا قدموا عليكم فواجب عليكم دفعهم، أما الدفع فتارة يكون بالمال، وتارة يكون المكائد، فإن الحرب خير ما تدفع به المكائد...فان سألوك عن الصدقات قل لهم... فان سألوك عن تمليك عبيد الثلث قل لهم... فان سألوك عن القياس هل هو علم حقيقة أم علم شريعة قل لهم...>>

ومنها شروح وضعها الإمام المجذوب على أجزاء متفرقة من كتاب المنة: <ومعنى غيم الأنوار، الذنوب لأن الذنوب يطمسون الأنوار كطمس الغيم للقمر، تراه منورا، فإن دخل في الغيوم، فانه يذهب نوره...>> ومنها مصنف يشتمل على بعض السجع والترانيم الصوفية:<< فلا اله إلا الله ، فالطبع والعلة لمن سواه، فلا اله سواه فالاختيار له لا لمن سواه، فلا اله سواه فالعبد لا يستغني عن مولاه، فلا اله سواه فالعبد مفتقر إلى مولاه...>>.

وهذا ما جعلنا نعتقد بأن تراث الإمام المجذوب قد تم تدوينه وتداوله في زمانه، قبل القاضي بانم بن أحمد، ولو أنه ذكر في ترجمته للجزء الثاني من المصنفين اللذين أعاد تدوينهما في بداية القرن الثالث عشر، أن كاتبه كان خطه - خشن- يعني الإمام المجذوب - وهو ما يعني أنه وجد المصنفين على أصلهما.

بيد أن الخطوط التي دونت بها المصنفات الأخرى التي عثرنا عليها كانت جميلة جدا وتشتمل على خصوصيات التدوين المعروفة.

وعلى الرغم من أن المجهود الذي قام به القاضي بانم، في سبيل جمع وتدوين ما تيسر له من كتاب المنة، كان مجهودا يشكر ويذكر بآيات التقدير والإكبار، إذ لولا هذين المصنفين لما بقي لكتاب المنة ذكر، ولما كانا لنا دليلا على صاحبهما، وعلى غيرهما من تراثه، إلا أننا نلاحظ هنا أن القاضي بانم، قد اهتم بتدوين ما وجد من كتاب المنة دون مراعاة لطبيعة مادته - ونحن نتفهم جيدا عذره في ذلك - حيث كان الأهم من غيره

في تلك الفترة هو الإبقاء على مادة الكتاب حية، بغض النظر عن قواعد التدوين المتبعة، وهو ما تحق بالفعل.

وهكذا فان المصنفين الذين أعاد تدوينهما - جازاه الله خيرا - يشتملان على أربعة أجزاء هي:

- جزء يتناول مادتي التوحيد والتصوف
- جزء يتناول البعث والحساب
- جزء يتناول السنن والسير
- جزء يتناول الحجج (المساجلات) والنوازل الفقهية

وقد عمدنا إلى إعادة تصنيف وترتيب هذه الأجزاء ومحتوياتها بصفة منفصلة عن بعضها، بغض النظر عن تثبيتها أصلا في هذا المصنف أو ذاك، مع تبيين أوجه تداخلها في وضعيتها السابقة.

ثم قمنا بإعادة ترتيب أبواب كل جزء على حدة، مع استحداث تفصيل للمواضيع التي يشتمل عليها.

وتوخيا لتسهيل الإستفادة، فقد عمدنا كذلك إلى التخفيف من شحنة عبارة - يا مريد - التي ميزت معظم المصنف الأول دون غيره من المصنفات الأخرى، والتي كانت بمثابة الفواصل والنقاط المحددة للجمل والأفكار، حيث كانت تحدث شيئا من التشويش في فهم النصوص لدى القارئ، فلم نترك منها إلا ما هو ضروري في محله.

وفي اعتقادنا أن خلفية الوجود المكثف لهذه العبارة في نصوص المصنف الأول دون غيره، كانت لتصويغ وتوطيد العلاقة بين كتاب المنة والشيخ الإمام الحضرمي فقط.

أما المخطوطات التي اعتمدنا عليها في تحقيق الكتاب وتصنيفه فتنقسم إلى قسمين:

1 - مخطوطات كانت معروفة ومتداولة وتشمل:

أ) مخطوط بانم بن احمد، وهو المخطوط الأصل لغيره من المخطوطات المعروفة في آطار، وهذا المخطوط يشتمل على المصنفين الآنفي الذكر، ورمزه في التحقيق حرف (ب).

ب) مخطوط أهل اخليل، ويشتمل على جزءين غير مكتملين، و أبواب من الجزء الثالث وهو نسخة طبق الأصل تقريبا من مخطوط بانم، ورمزه في التحقيق حرف (خ).

ج) مخطوط أهل اعبيدنا، ويشتمل على 36 بابا من الجزء الأول و11 بابا من الجزء الثاني وثلاثة أبواب من الجزء الرابع، ورمزه في التحقيق حرف (ع).

2 - مخطوطات لم تكن معروفة وتشتمل على:

أ) 27 بابا من مصنف معمق يتناول التوحيد والتصوف، وقد ألحقناه بهامش متن الجزء الأول لارتباطه بمادته.

ب) ورقات من مصنف سياسي

ج) نصوص من السجع والترانيم الصوفية

د) شرح مختصر يتناول بعض الأفكار الواردة في جزء التوحيد والتصوف.

وبناء على أن مخطوط بانم يشتمل على المصنفين الوحيدين المكتملين من كتاب المنة فقد اعتمدناه أساسا للتحقيق، مع مراعاة الإستفادة من المخطوطات الأخرى، المذكورة أعلاه من خلال المقارنة والمقابلة.

مادة كتاب المنة ومصادره:

تتكون مادة كتاب المنة أساسا من مجموعة عناصر متداخلة منها: الفلسفة، وعلم الكلام، والتصوف، والفقه والسياسة وعلم الإجتماع.

أما وجود المادة الفلسفية فيتجلى في اعتماد الإمام المجذوب للعقل سبيلا إلى المعرفة: <<أحبائي اعرفوا الله بعقولكم فإن الله لم يجعل الدليل عليه إلا من جهة العقل>> هذا فضلا عن نقاشه المستفيض للنظريات الفلسفية المتعلقة بالوجود، وإيراده لنصوص كثيرة من أقوال الحكماء في ذات السياق وغيره.

أما المادة الكلامية، فهي التي تميز الخصوصية الفكرية والمنطقية لكتاب المنة، مع تداخل ذي بعد صوفي بين نظريتي العقل والذوق، أضف إلى ذلك عرضه لبعض النظريات التي وضعها المتكلمون قبله، واستشهاده بآرائهم تارة، واستهجانه لها تارة أخرى.

وللفقه والسياسة فضاء معتبر في الكتاب، ويظهر ذلك من خلال حل الإشكالات الفقهية المتعلقة بالأوقاف، والمداراة والخراج، و الأحباس وغيرها من الإشكالات المطروحة في زمانه.

أما فيما يتعلق بالسياسة فإنه من الواضح أن الرجل يتمتع بثقافة سياسية واسعة، حيث يطغى المنطق السياسي على أسلوبه وأفكاره حتى في معالجته للقضايا البعيدة عن السياسة كالتوحيد و التصوف مثلا :<<من غفل عن رعيته الأعداء، حالوا بينه وبين الأحباء، ومن توانى عن السلطان لحقته محنة ، ومن تهاون ببواب الملك أبتلي بعدم الدخول على الملك، ومن أمن عدوه فلا يلومن إلا نفسه ومن خالط الناس بما أحب نال من الناس ما يكره ومن لم تكن له جنة بينه وبين الناس ضربته سهامهم ومن أراد الراحة فليلزم باب الملك>>.

هذا بالإضافة إلى نظريته الإصلاحية التي يسعى من خلالها ‘إلى خلق مجتمع مثالي يسوده العدل والسلم الإجتماعي والتطاوع << أحبائي لا تغيروا أميركم بعدم المطاوعة ، فإن البركة مع العدل والمطاوعة، فقد أمر الله بطاعة أولي الأمر ، وأمر أولي الأمر بالعدل وحسن النية ، فلا خير في أمير لم يطع الله ورسوله ، ولا خير في قوم لم يطيعوا أميرهم >>.

أما مصادر الكتاب، فإنه وبغض النظر عن مصدرية " الإلهام " التي تحدث عنها الإمام المجذوب ، وانطلاقا من قناعتنا بأن مادة هذا الكتاب هي جزء من تراث الإمام الحضرمي بأي حال كانت، فإن مصادره تكون نفس مصادر معارف الإمام الحضرمي المعروفة.

فقد ذكر الدكتور سامي النشار ، الذي حقق كتاب ‘‘الإشارة في تدبير الإمارة’’ أن الإمام الحضرمي قد اتصل بالفلسفة اليونانية بدليل استشهاده بآراء أورسطو في السياسة

والحكمة . كما أن سامي النشار قد أشار أيضا إلى أن الإمام الحضرمي قد أتصل أيضا بكتب بعض الفلاسفة المسلمين مثل ابن سينا ، ومحمد بن أبي بكر الرازي ، والإمام الغزالي وغيره من الأشاعرة، واتصل كذلك بكتب ابن المقفع .

أما فيما يعني علم الكلام والفقه ، فهما أهم المعارف التي أشتهر بها الإمام الحضرمي – هو أول من أدخل علم الكلام إلى المغرب الأقصى – وله نهوض في علم الاعتقادات وعلم الكلام والفقه . وله تواليف حسان في ذلك .

وهكذا وكما قلنا أولا ، فإن هذه المعارف فضلا عن علمي السياسة والإجتماع اللذين اشتهر بهما الحضرمي أيضا ، هي مادة كتاب المنة ، ولو أنها قد صيغت بأسلوب تطغى عليه مسحة التوحيد، والنزعة الإصلاحية التي تهيمن عليها هموم وخصوصيات القرن الحادي عشر الهجري .والإمام المجذوب صريح في ذلك حيث ظل يقف في كتاب المنة موقف الناقل عن الإمام الحضرمي فقط << الحمد لله الذي جعل الحضرمي سبب نجاة من نجا من أهل المغرب ، وجعل مريده سبب نجاة عقائدهم من الشبهات ... وكل من أتى إليك يريد تعليم الوحدانية ، قل له : عندي طريقان ، طريق الإمام الأشعري ومن معه ، وطريق الإمام الحضرمي ومن معه >>.

الجزء الأول:

يشتمل هذا الجزء على سبعة وثمانين بابا مقسمة إلى تسعة فصول هي :

- الفصل الأول : سبيل العقل إلى المعرفة
- الفصل الثاني : أقسام العلم وفوائده
- الفصل الثالث : إيمان الفطرة
- الفصل الرابع : شرف معرفة الله تعالى
- الفصل الخامس : وجود الخلق معدوم مع وجود الخالق
- الفصل السادس : لا إله إلا الله هي أساس المعرفة
- الفصل السابع : أصول الأشياء
- الفصل الثامن : حقيقة المهدي
- الفصل التاسع : السر في أفضلية الزمان والمكان

السني ولد عبداوه

انواكشوط :21/يوليو/2001م

الصفحة الأولى من مخطوط باتم (ب) – المصنف الأول

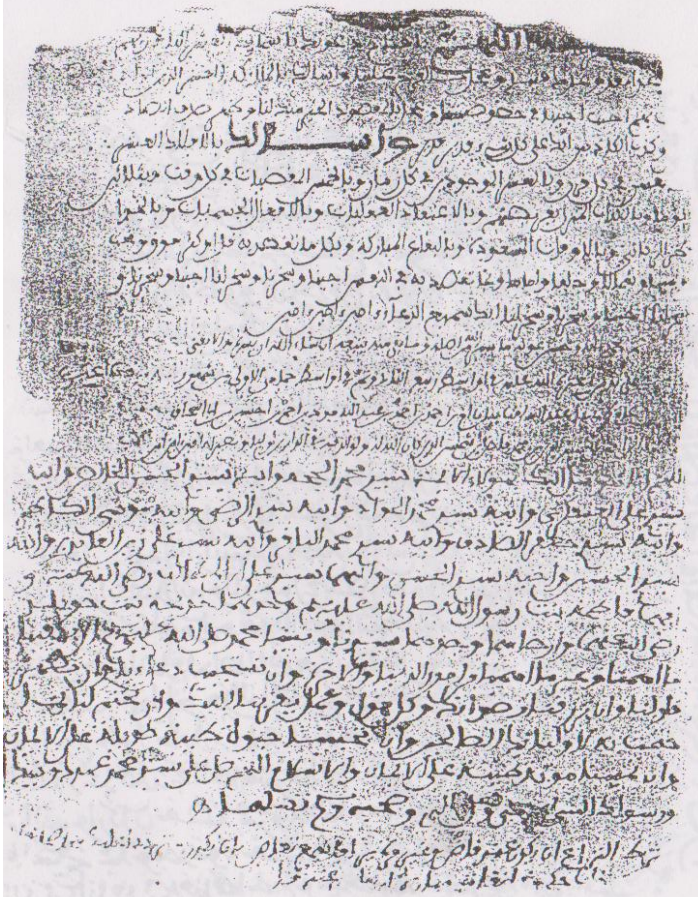

الصفحة الأخيرة من مخطوط باتم (ب) – المصنف الأول

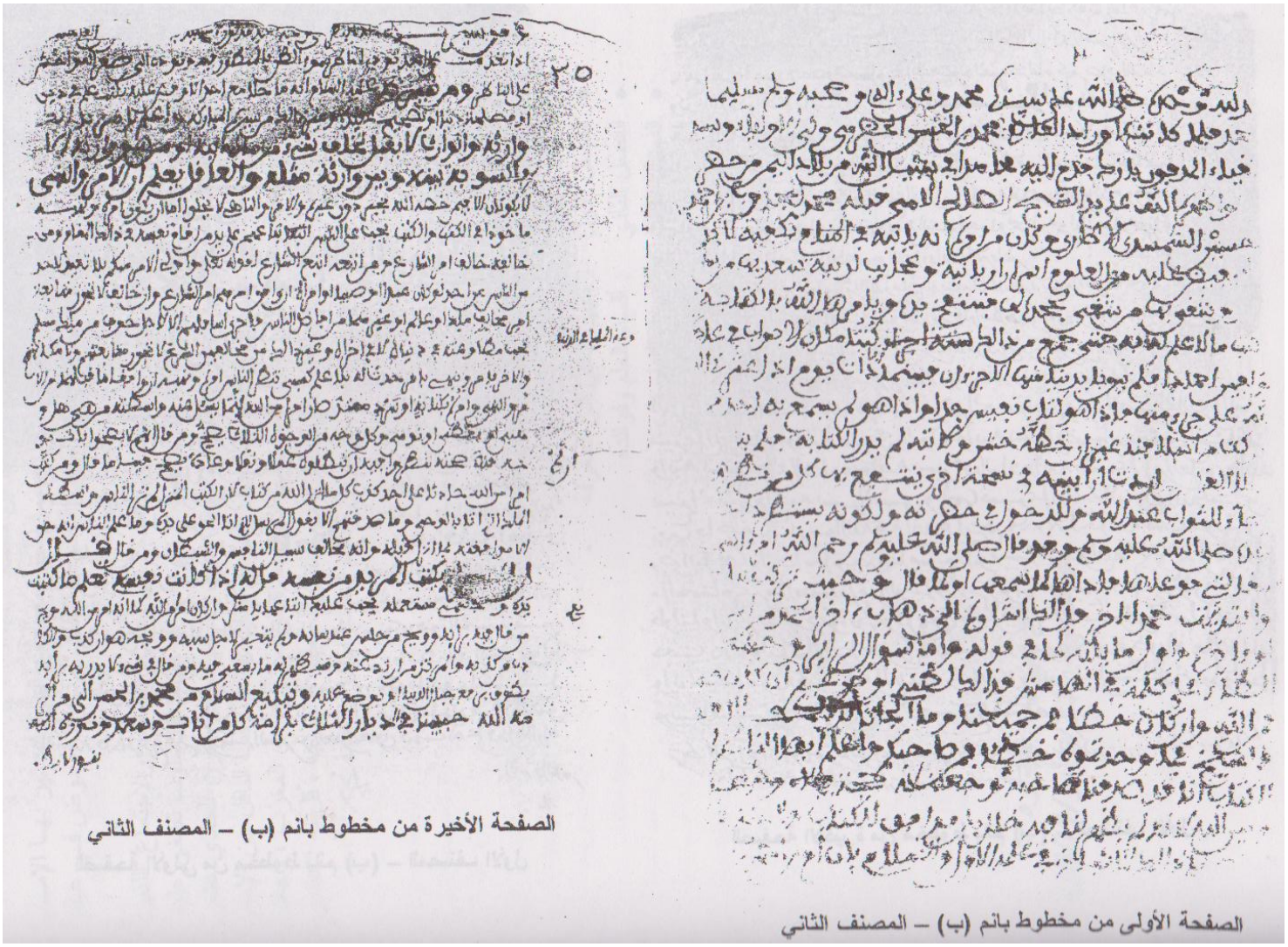

الصفحة الأولى من مخطوط بانم (ب) – المصنف الثاني

الصفحة الأخيرة من مخطوط بانم (ب) – المصنف الثاني

الصفحة الثانية من مخطوط بانم (ب) – المصنف الثاني

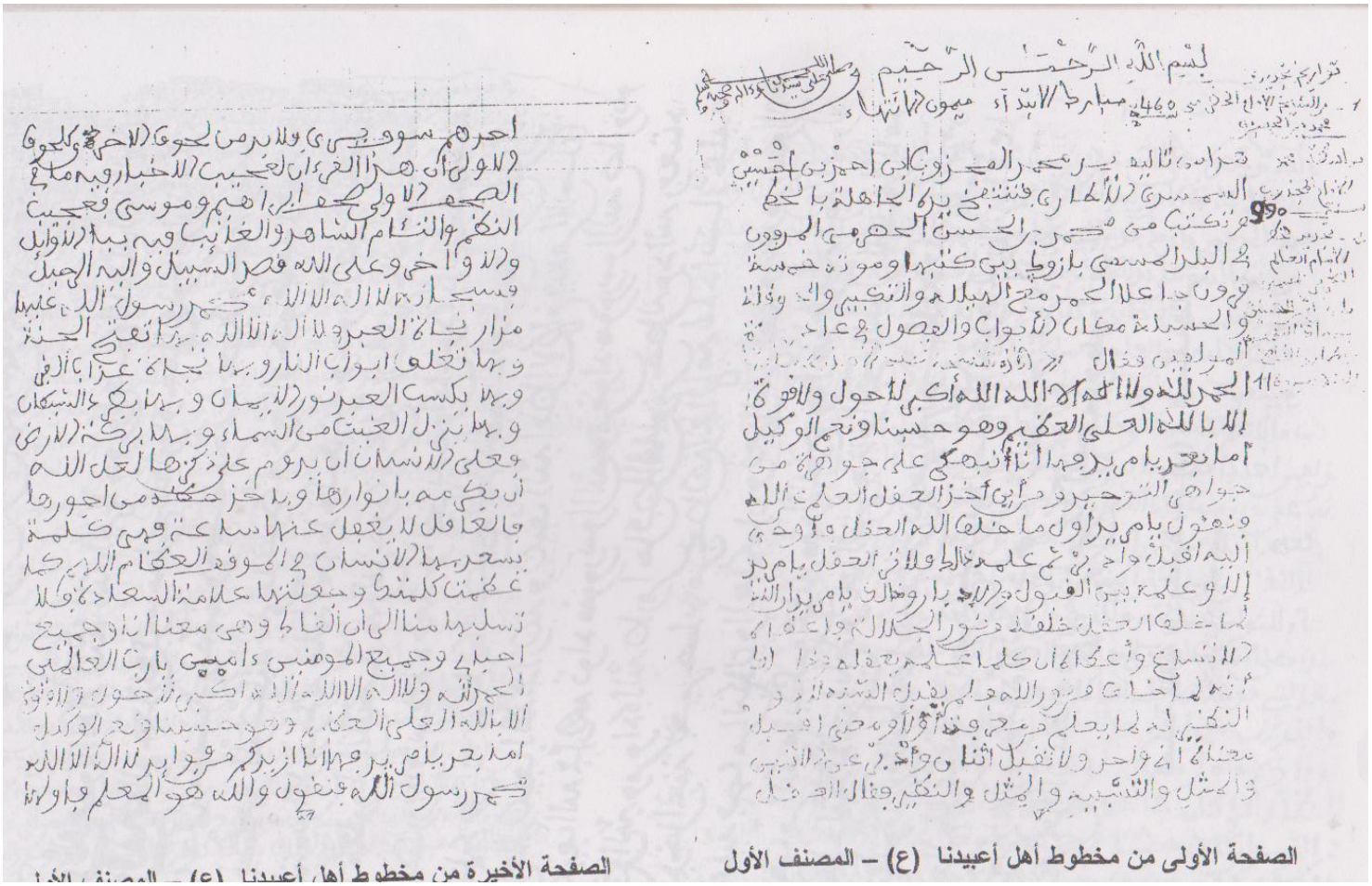

الصفحة الأولى من مخطوط أهل أعبيدنا (ع) – المصنف الأول

الصفحة الأخيرة من مخطوط أهل أعبيدنا (ع) – المصنف الأول

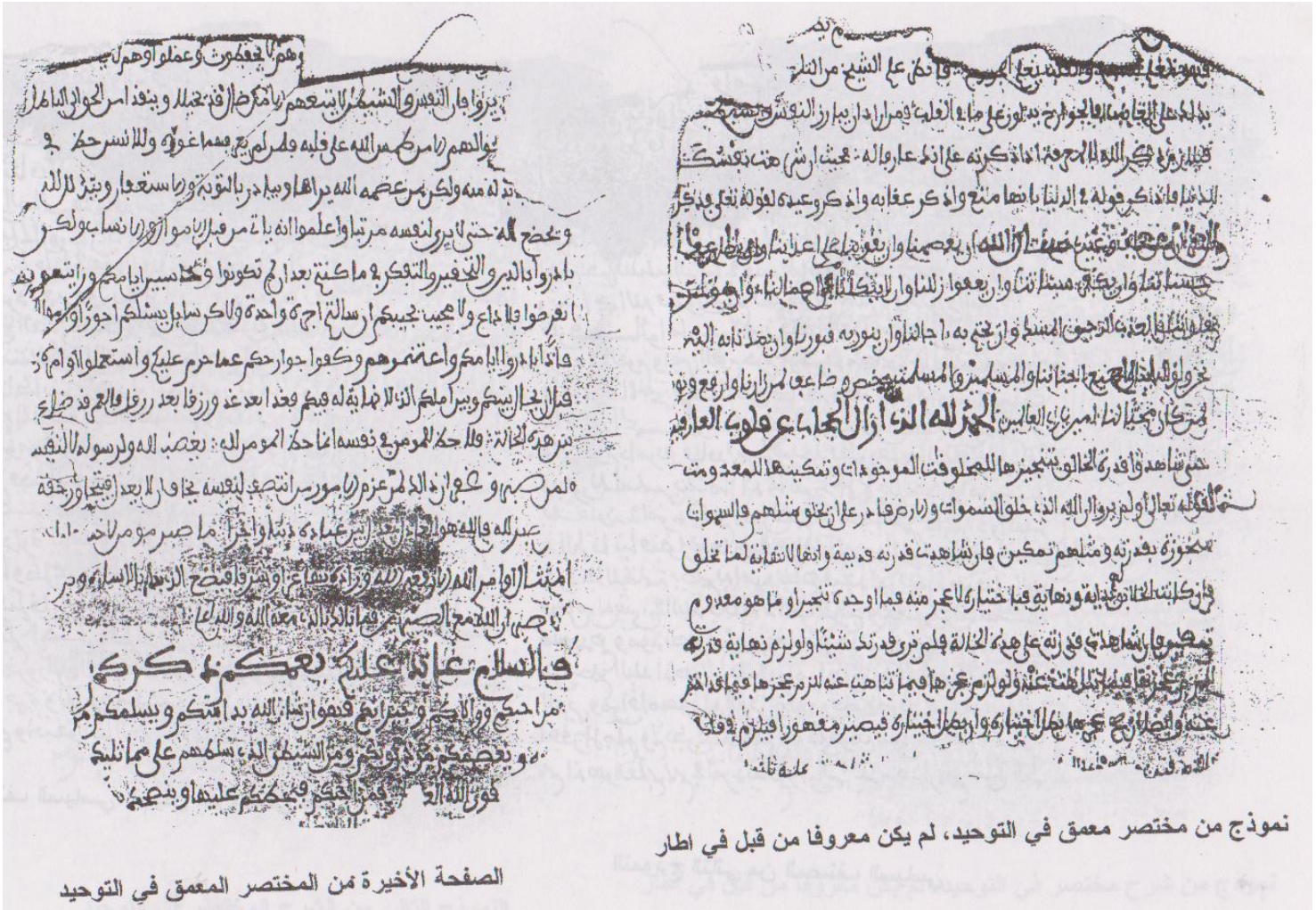

نموذج من مختصر معمق في التوحيد، لم يكن معروفا من قبل في اطار

الصفحة الأخيرة من المختصر المعمق في التوحيد

نموذج من المصنف السياسي، لم يكن معروفا في أطار

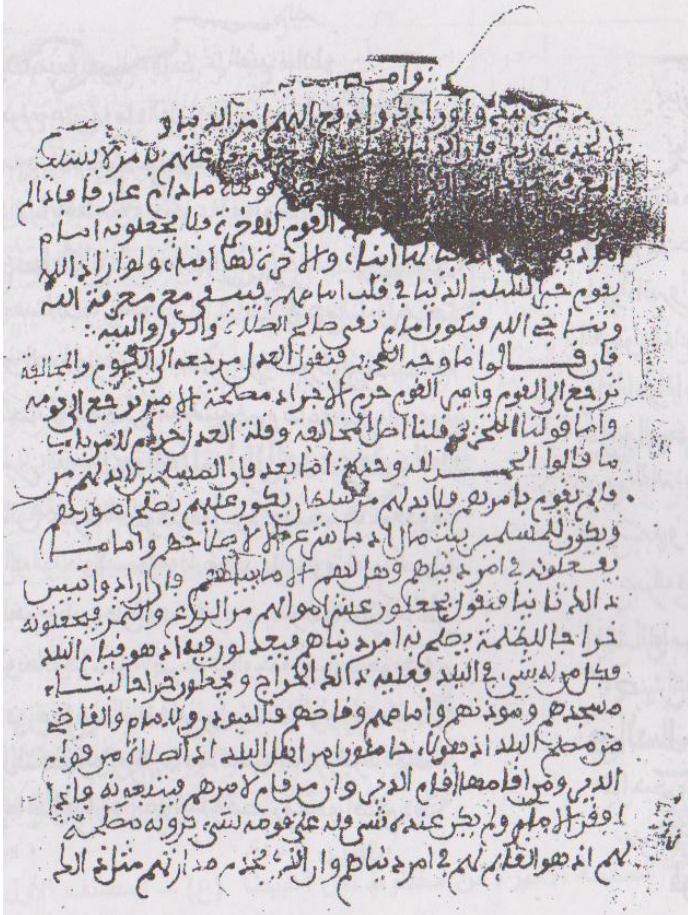

النموذج الثاني من المصنف السياسي

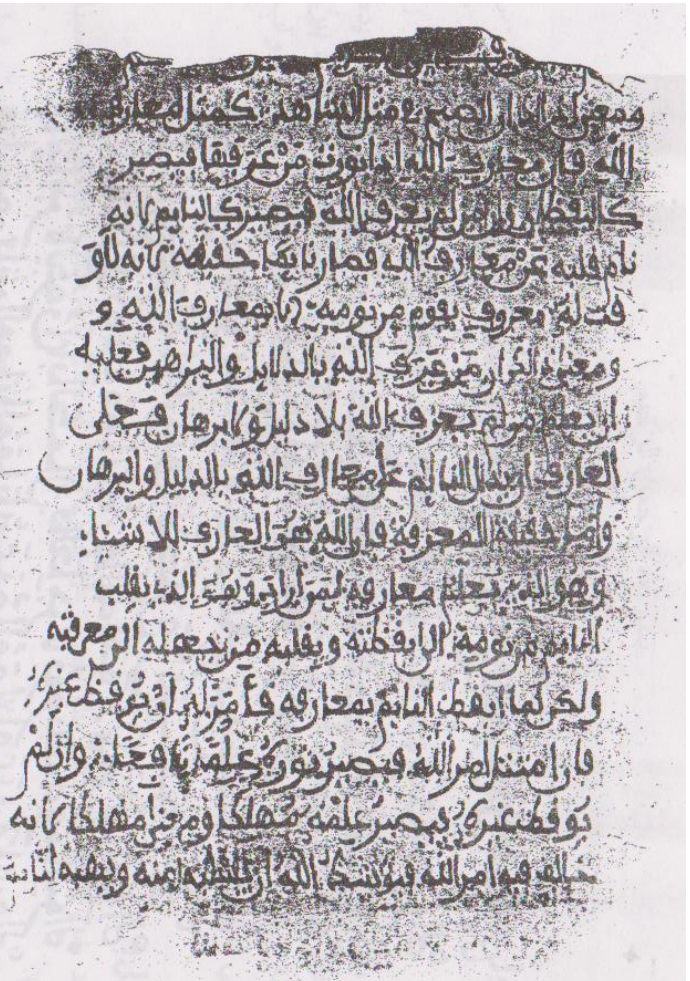

نموذج من شرح مختصر في التوحيد، لم يكن معروفا من قبل في أطار

النموذج الثاني من الشرح المختصر في التوحيد

فالله سبحانه بالتأثير والسبق والبرهان وظهور نقوشه أعظم
من ذات العقول وعجز عمرو وصبه فلا يوصف كوجوب من سواه
فإدراكه لا يدرك وكيفية التأثير لا تدرك كإدراك من سواه
فلو كان مولانا جل وعز يدرك لما خلق من سواه
فلو كان ما خلق شيئا لزم عجزه كعجز من سواه
فلو كان يعجز لما كان هو ولا كان من سواه
إذ المماثل لا يؤثر في مماثله فالله هو المؤثر ليس سواه
فالتأثير ما يكون إما بالكمال والعاجز لا يؤثر نفسه وما سواه
فيلزم من تأثير المماثل لمماثله عدم المماثل وعدم ما سواه
والكيفان مماثلتان فلا ترجح إحداهما بسبب وإلا يلزم قدم ما سواه
فإن كان قديما غيره يلزم اجتماع القدم والحدوث معا في ما سواه
فإن كان قديما فتستحيل عليه الحدوث والقديم مخالف لمن سواه
بالحادث فما يكون قديما إذ الحدوث لا يكون إلا بضد خالف سواه
فلو كان نقيض المعلوم غنيا لما افتقر إلى الله عز من سواه
فإنه غنية عن محل ومحتم وافتقر ذات من سواه
والأعراض لا يجوز عليه إذ الأعراض لا يقوم بها زمان فالزمان على من سواه
فما هو كائن في زمان إذ المكان مخلوق فالله هو خالق من سواه
فلو كان في مكان للزم قدم المكان وحدوثه معا يستحيل وجوه من سواه
تعالى الجليل عن الافتقار والاحتياج كيف وهو غني عن من سواه
فلا غنى إلا هو وما يغني إلا هو سبحانه افتقر إليه كل ما سواه
فإن الغناء إذ لم يكن هو المغني فإنا الفقير الخالق وخالق سواه
افتقرت إليه الجلائل في جميع أحوالها وغنى هو عن من سواه
فالأعراض والأجرام مفتقرة بعضها إلى بعض فالله مخالف من

نموذج من السجع الصوفي، مخطوط لم يكن معروفا في أطار

هذا من تأليف يد محمد المجذوب بن احمد بن احسين الشمسدي الأطاري، فتنتفخ يده الجاهلة بالخط وتكتب من محمد ابن الحسين الحضرمي المدفون في البلدة المسماة بآزوكي، بين كتابته وموته خمسة قرون. جاعلا الحمد مع الهيللة والتكبير والحوقلة والحسبلة مكان الأبواب والفصول في عادة المؤلفين، فقال:

الباب الأول:

الحمد لله ولا إله إلا الله، الله اكبر و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يا مريد، فها أنا أنبهكم على جوهرة من جواهر التوحيد، ومن أين اخذ العقل العلم عن الله فنقول:

أول ما خلق الله العقل، فأوحى إليه أقبل وأدبر(1)، ثم علمه ذلك، فلا ترى العقل إلا وعلمه بين القبول والإدبار. وذلك أن الله لما خلق العقل خلقه من نور الجلالة، فأعطاه الإتساع و أعطاه أن كل ما علمه يعقله.

وذلك أنه لما خلق من نور الله لم يقبل الشبه لله والنظير له، لما يعلم من معرفة الله أولا.

ومعنى أقبل، أقبل أنى واحد، و لا تقبل أني اثنان، وأدبر عن الإثنين والمثل والشبه والمثال والنظير. فقال العقل : وهل لذلك مثل في الخلق يا رب؟ قال : لا تقبل اجتماع الحركة والسكون، ولا تقبل انفصال الجرم عنهما، ولا تقبل اجتماع العدم - و الوجود(2).

فذلك هو العلم الذي علم الله للعقل. فلذلك لا يقبل العقل إلا الجائز أو الواجب، وأدبر عن المستحيل. فإن العقل عقل عن الله العلم قبل كل شيء، وقبل بروز الأعيان.

فإن قلت زدني إيضاحا قلنا:

إن العقل الأول كالعرش، فإن العرش خلق من النور الحسي، والعقل خلق من النور المعنوي. فإنك إذا رأيت النور أضيف إلى الله تعالى فإنه النور المعنوي، وإن النور الحسي يستحيل أن يضاف إلى الله تعالى إلا من جهة أنه خلقه.

فالعرش نالت الحسيات من نوره، فنور الشمس من نور العرش ونور النجوم من نور العرش، ولكن واسطة النجوم القمر، وواسطة القمر الشمس.

وأما العقل إنما خلق من نور الله، وهو النور المعنوي الذي خلق منه محمد صلى الله عليه وسلم. فنور أبناء آدم من نور العقل الأول وذلك أن الإنسان مادام في بطن أمه فهو كالبهيمة، فإذا ترعرع لم يزل يهبه الله من نور العقل المعنوي، فيهب له على قدر ما أراد له.

فالناس متفاوتون في نور العقل، منهم واسع الباع، كالأنبياء وكمل الأولياء، وكل على ما أعطاه الله تعالى.

ومن ذلك النور، ما يعطيه الله لبعض عبيده حتى يرى به جميع الأشياء. فإن الإنسان عليه معرفة أصوله، فإن العقل هو أصل الإنسان. فمن نقص عقله، نقص كله، ومن كمل عقله كمل

كله. فإن العقل أصل الخير، وأعطى الله لآدم فيه جميع منافعه. فمنافع أبناء آدم في عقولهم، وقوتهم في عقولهم، فعقولهم هم الذين تمكنوا في الأشياء بهم، وهم الذين دخلوا بهم الجنة، وهم الذين نجوا بهم من النار. فحققوا معرفة الأصول، فإن الله تعالى لم يجعل الدليل عليه إلا من جهة العقل. وقد ورد أنه قال: لا(3) يسعني أرض ولا سماء، ولا يسعني إلا قلب عبدي المؤمن.(4) وذلك أن القلب ينقل عن العقل، ولا يفهم عن الله إلا العقلاء. فإن العقل هو واسطة بين العبد وربه, وإذا عمي القلب فلا تستقيم معرفة العبد على الوجه الصحيح.

وذلك أن العبد إذا اتقى الله تعالى رفع عنه الحجب، وتلك الحجب هي على القلب، والقلب في المثل في الإنسان كالشمس، والعقل كالصبح، فإن الشمس لا طلوع لها إلا في النهار، كذلك القلب يطلع في العقل.

والذنوب كالسحابة التي تمنع ضوء الشمس، فالنهار أوسع من الشمس، ولكن ضوء الشمس أضحى من ضوء النهار.

وبنوا آدم على مراتب منهم من قام في ضوء النهار ولم تطلع له شمس، ومنهم من قام في النهار وطلعت شمسه. فأهل الشمس أهل الإحسان الكامل إيمانهم، وأهل الغلس هم ناقصو الإيمان، ولذلك علامات هي النهوض للخدمة الظاهرة والباطنة.

فإن الإنسان ذي الهمة في الدنيا إذا طلعت الشمس لا يتوانا عن خدمة دنياه في الشاهد، إلا أن يكون له عذر، وكذا أهل همة الآخرة إذا طلعت شمس أحدهم فلا يتوانا عن خدمة مولاه.

فإن الإنسان يرى طلوع الشمس بحواسه الظاهرة، ويرى طلوع شمس الباطن بشواهده الباطنة. فشواهده الباطنة متعلقها نور المعاني، وشواهده الظاهرة متعلقها النور الحسي. فالنور الحسي من نور العرش، والنور المعنوي من نور الله الذي خلق منه محمد صلى الله عليه وسلم. فالنور الذي أضاف الله لنبيه هو النور المعنوي الذي به عرف الله تعالى، وذلك أن النور الحسي إنما يسلك به سبيل الحسيات، والنور المعنوي إنما يسلك به نور المعنويات.

فإن حققتم بهذا - فاعرفوا ربكم بعقولكم، فإن العقل هو الأصل منكم. ومن لم يكن عاقلا لم يطلع مقامات العلا.

ذهب العقلاء بخير الدنيا والآخرة . وليس من شأن العاقل ان ينزل بعد رفعه، ويبخل بعد جوده، ويكون جاهلا بعد علمه، ويكون جبانا بعد شجاعته، ويزلزل بعد توحيده، ويصحب أصحاب السوء بعد صحبة الأخيار، ويعد من الفجار بعد أن كان من الأخيار، وينسب إليه العار، بعد أن كان من الأخيار.

اللهم يا حي يا قيوم، يا بديع يا حليم، يا غفور يا شكور، يا ودود يا عظيم، يا رحمن يا رحيم، ارحم أحبائي برحمتك الواسعة، وامنحهم فضلك ولطفك يا لطيف.

وادفع عنهم القحط، وامنحهم الصبر ما دام عليهم، ولا تفتنهم في دينهم، وأدم عليهم سترك الواسع. آمين يا رب العالمين.

---

1)وبرواية أخرى: أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل فأقبل ، وقال له: أدبر فأدبر .إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج:3ص:4.

2)يقول الإمام الغزالي في هذا المعنى : أما العقلية ، فنعني بها ما تقضي به غريزة العقل كعلم الإنسان بان الشخص الواحد لا يكون في مكانين ، والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما .نفس المصدر السابق ص 16

3)ب: لا.

4)للطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن لله آنية من أهل الأرض ، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين . وفي رواية قال الله تعالى : لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن .وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله أين الله في الأرض أو في السماء؟ قال : في قلوب عباده المؤمنين .

(ملحق الباب: الحمد لله رب العالمين الذي وجوده الوجود الحقيقي ، الذي وجود الكائنات كناية عن وجوده حسا لا معنى .فوجود الكائنات على مراتب، وجود الجمادات، ووجود الحيوانات فوجود الجمادات مختص بعرض الإسكان أبدا ، ووجود الحيوانات أعراض مرتبة كأعراض الذات وأعراض الأحوال .فأعراض الذات كالبياض مثلا ، فعرض الذات قام بها بنسبة محلها بأن تتصف به ، وعرض الحال هو العرض الذي يدخل ويخرج وهولا يكيف إلا أنه لا يقوم زمانا وهو في الحقيقية المعنى الذي يتصف به الوجود من يوم خلق الله المخلوق الحيواني يدخله ويخرج منه فلم يزل كذلك إلى

=أن تتناهى أحواله بالعرض الآخر ، وهو ما بين تشخيصه وطمسه. فلذلك يعدم بعدم عرض الوجود منه إذ عرض وجود الحياة معنى وهو كلمح البصر. فمن وجوده هكذا لا يسمى وجودا على الحقيقة .
فوجود الجمادات وجود إسكان، ووجود مولانا لا يتصف بالسكون ولا بالحركة وإنما وجوده وجود لا هو ممكن إسكانه على الغير ولا تحريكه ، بل وجوده واجب بحيث يستحيل عليه التمكين ، دفعا لا يكون عليه، ولو لزم التمكين في أوصافه للزم التمكين في وجوده .فالله جل وعز واجب الوجود ، والخلائق ممكناته . فلذلك صفات الإيثار ما تعلقت بوجوده سبحانه لا إله إلا هو ، التي تعلقت بالتحيز والإمكان في المخلوقات. ووجوده من غير تحيز ولا عليه إمكان عدم فسبحانه لا إله إلا هو الذي لا يعجزه شيئ في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم وهو العلي العظيم).

الباب الثاني

الحمد لله و لا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل(1).

أما بعد يا مريد، فإن قالوا إذا كان العقل علمه الله تعالى فما فائدة الرسالة..؟ فنقول وبالله التوفيق: إن العقل علمه لله تعالى قبل أن يكلف بني آدم، فكان العقل عقل عن الله في حالة لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

فلما خلق الله الذوات، ونكثت العهد الأول ورجح الشاهد الغائب أرسل الله الرسل للخلائق ليرجعوا إلى العهد الأول.

وذلك أن الأمانة عرضها الله على جميع الخلق، فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا. ويرجع الأمر إلى ما علم الله، فإن عقل التكليف منوط بالثواب والعقاب، والإنسان يعقل عن الله. منهم من يعقل منافعه ومنهم من يعقل مهالكه، وذلك على أساس السعادة والشقاوة.

وسعة ما بين العبد وربه صعبة العلم، ونقول: إن النبي رسول الظاهر فما عليه إلا أن يبلغ الرسالة إلى الخلق فقط، فإن هم أظهروا الإيمان تركهم مع ما أظهروا له، وسر أمرهم إلى الله تعالى. فالدعوة جمعت جميع الثقلين، والإجابة من الله تعالى. من كان سعيدا أجاب الدعوة، ومن كان شقيا أبى عن الإستجابة. فإن عقل التكليف يمنعه الصبا، وتمنعه العوارض التي تمنع التكليف عن الإنسان.

وللتكليف شروط(2) هي البلوغ وكمال العقل، فإن العقل إذا عدم سقط التكليف فصار كالبهيمة.

واعلم أن العقل عقلان: عقل كسبي وعقل وهبي، فالعقل الكسبي هو الذي يفرق بين الإنسان والبهيمة، والعقل الوهبي هو الذي يظهر محاسن العبد.

فالكسبي هو الذي طبع عليه الإنسان وهو في المثل ككلام الإنسان (3) يصدر كلام الإنسان حتى يعلم أنه إنسان، ويتفاوت الناس في الكلام حتى يتميز الكلام انه صدر من واسع العقل أو من ضيقه، فيذم أو يحمد عند نطقه بالكلام.

فإذا اختلطت معاني كلامه فيعلم أن عقله مختل، فيقال فلان خبل عقله، أي سلب التميز منه، فيمنع منه التمييز، فيكون به جنون.

والإنسان إذا جن خبل عقله - صار يتكلم بالهذيان - كلاما ناقصا بين التميز والتبخيل، وذلك بسبب الجنون، وهو في المثل كاللبن الموضوع في الإناء وهو مائع، فإذا خالطه غيره يتغير في نفسه.

أو كضوء الشمس إذا دخل السحب تغير لونه وإذا كسفت، كسفت على ظلمة، كذلك العقل أصله النور، وتدخل على ذلك النور الآفات فيتغير. فالإنسان أصله باطنه، وتغير باطنه يظهر على ظاهره، والباطن غيب - والظاهر هو الشاهد على الغائب - ، وهو الشاهد على الحال، الذي لا يكذب، فإن كان صالح السريرة تشهد له أحواله الظاهرة من قول وفعل، وان كان فاسد السريرة كذلك. وتشهد الجوارح على الإنسان في الدنيا بلسان الحال، وتشهد عليه غدا بلسان المقال.

وكذا إذا صح باطنه من جهة الطب فإن ظاهره يشهد بصحته، وإذا مرض باطنه يشهد عليه كذلك. فإن بداية الأمراض والآفات في الباطن، وتظهر على الظاهر. فالإنسان يشهد عليه ظاهره.

وترى ذلك في من عطش مثلا، ودخل غديرا وظل يومه في ذلك الغدير وهو يعومه، ولم يشرب منه شيئا، أترى زوال عطشه؟ ولو شرب لزال عطشه... فأساس الإنسان باطنه، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته.

والإنسان أنور من الشمس ومن القمر، فإن نور الشمس يذهب بذهاب عينها، ونور المؤمن لا يذهب بذهاب عينه. وذلك أن المؤمن إذا مات بقي نوره مع روحه فلم يزل معها(4) حتى إذا أراد الله تعالى إحياءه غدا قام مع نوره، وهو الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله: يسعى نورهم بين أيديهم.(5) فمن اتبع سبيل السنة في الدنيا فتكون تلك السنة نورا يقوده غدا.

ونور العقل يدرك كل شيء. فإن قلت: ما الفرق بين نور العقل الكسبي ونور الوهبي؟ فنقول: نور الكسبي هو المعتاد الذي يفرق بين الإنسان والبهيمة، والوهبي هو الذي يهب الله لبعض عباده حتى يكاشف له ما أراد أن يكاشف له. فالإنسان إذا اتقى الله تعالى كان في المثل كالشهر في أول هلاله، فكل ليلة يزداد من نور الشمس، وإذا كان عاصيا فهو كنور آخر الشهر فإذا لم يتب كان مآله انعدام النور.

وأما الشمس فهي كنور الأنبياء لا يزداد نورها ولا ينقص، محفوظة من النقصان، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.(6) فنور الإيمان يزداد بزيادة الإيمان وينقص بنقص الإيمان.

اللهم يا كبير يا متعال، يا رحمن يا رحيم، يا وهاب يا غفار يا شكور يا حليم يا مجيد يا غفور يا رؤوف يا ودود يا كفيل يا وكيل يا غني يا نورا لا ينطمس، نور أحبائي دنيا وأخرى آمين يا رب العالمين.

---

1) ب وخ : 13 . ع:16

2) ب وخ: وهو

3) ورد في كتاب الإشارة في تدبير الإمارة للإمام الحضرمي ص 57: إن الأحياء الناطقين والحكماء المتقدمين فرقوا بين الجماد والحيوان بالحياة ، وفرقوا بين البهيمة والإنسان بالعقل . والعقل الطبيعي أصل للعقل الكسبي الذي يستفاد بالتعلم ويعلم بالدرس والتأمل . وفي هذا المعنى يقول الإمام الغزالي : اعلم أن القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات . ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم إلى عقلية وإلى شرعية .أما العقلية فنعني بها ما تقضي به غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع.إحياء علوم الدين : ج 3 ص 16

4) ب و خ : معه

5) سورة الحديد الآية 12

6) سورة النور الآية 40

الباب الثالث :

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل(1).

أما بعد يا مريد فها أنا أفيدكم من علم الأسرار فنقول:

أن الله تعالى خلق العقل والقلم فأمر العقل أن يعقل معرفته. والعقل الذي علم الله خلق من نور الله الذي خلق منه محمد صلى الله عليه وسلم.

وخلق العرش من نور الحسي، فكل ناسب ما هو له، فنور الحسيات من نور العرش، وهو نور الحجاب.

فإن قلت ما نور الحجاب..؟ قلنا: لله سبعون حجابا كلها نور، من ذلك نور العرش.

فالنور الحسي يمنع في بعض المواضع، ونور المعنوي لا يمنع. فالنور يريك الأشياء وهي المعاني، وإنما يريك نور الشمس والقمر الحسيات، فليس متعلقه المعنويات، ونور المعنوي يريك المعاني ولا تعلق له بالحسيات. فنور المعنوي يقتبس منه كما يقتبس من ذات النار... ونور الشمس والقمر على سعته لا يقتبس منه. وذلك أن الناس إنما ينال بعضهم من بعض النور المعنوي لأنهم اشتركوا في العقل كاشتراكهم في آدم فتولدت عقولهم من العقل الأول، ولكن فضل الله بعضهم على بعض فيه، فهم متفاوتون فيه، ولكن يزيد من أعطاه الله منهم قرعة، فالله هو معلمه، فكل ما لأحد منهم في الرزق أو شيء من الأشياء فالله هو الذي يلهم العقل له خيرا فخيرا وشرا فشرا. قل كل من عند الله،(2) فالعقل هو أساس ابن آدم في رؤية منافعه ومضاره فإذا اتقى العبد ربه علمه. قال تعالى: اتقوا الله ويعلمكم الله.(3) فالعقل به يعرف الله، وبه تعرف المصالح و المهالك، فهو غريزة كالسرج،(4) نور يهدي به الله من يشاء من عباده، فهو سلطان الباطن وذلك أن الله تعالى إذا أراد حفظ العبد أعطاه من نور العقل ما يدفع به النسيان، وذلك أن الكلام إذا وعاه الإنسان لا يعيه إلا بنور العقل. وذلك أن الكلمة تأتي من الله تعالى إلى العبد وهي منورة، فإذا اختلطت مع نور القلب مازج النور، النور فلا انفصال بينهما، كاختلاط اللبن بالماء، فإن نور العقل هو النور المعنوي به تعرف المعاني.

أما النور الحسي، فليس تعلقه بالمعاني. ومن ذلك سمى الله التوراة بالنور، والقرآن كذلك، وجميع كلامه، لأن كلام الله تعالى يكشف عن معاني الدنيا والآخرة، بخلاف النور الحسي. فنور الحسي ناقص والنور المعنوي كامل.

فلهذا أكرم الله به بني آدم، وفضلهم على جميع خلقه. وسخر لهم ما في السماوات والأرض بنور العقل المعنوي.

ولما خلق الله العقل قال: يا رب فيمن أكون من خلقك؟ فقال: من تختار منهم. قال: اجعلني فيمن نشأت منه، وهو نور محمد صلى الله عليه وسلم، فأعطاه لبني آدم تشريفا لمحمد صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك، لما خلق الله نور محمد صلى الله عليه وسلم وأراد أن يخلق من ذلك النور العقل، فاض فيضانا حتى خرج نور العقل من ذلك النور فقسمه الله بين بني آدم، فكل له ما قدر له.

فأساس الدنيا نور محمد صلى الله عليه وسلم ومنه نتج نور العقل، فحاز صلى الله عليه وسلم نور العقل فلذا أعطاه الله كشف جميع الموجودات دنياها وأخراها، فلا يكاد أحد يماثله صلى الله عليه وسلم في العقل.

ومن ذلك أن العقل يعقل الأشياء. فإن قلت لماذا سمي العقل عقلا؟ فنقول: لأنه لا يعقل عن الله إلا هو، فهو مخفي إخفاء لا يدرك، وهو يدرك. فالروح والعقل إنما خاصيتهما أنهما نالا من قرب الله شرف أن لا يحسان ولا يدركان. ولا يلزمهما من قربهما في المرء أن يدركهما، وذلك أن جمجمة الرأس ليست متعلقة للبصر، وأن العينين لا تدركان نفسيهما. ولا تدركان ما خلفهما بالرؤية - فإذا منع الحسي من الحسي فكيف بالذي يحس، فإن الإنسان قوته في غريزة عقله لا بشاهده. فإن جثة البعير أعظم من جثة الإنسان، ومع ذلك يعلو عليه الإنسان بقوة غريزة العقل لا بقوة ذاته.(5)

وإن المرء يأتي بغريزة عقل أقوى من ألف قبيلة. وغريزة العقل هي التي تنجي العبد من النار وتدخله الجنة.

من لا عقل له لا دين له ولا دنيا تنسب إليه، ولا تنسب له آخرة، وهو في المثل كبهيمة. البهيمة لا عقل معنوي لها،(6) وإنما لها العلم فقط.

التقوى كنز المؤمنين، ومن أراد أن يفتح خزائن الله التي لانهاية لها فليتقي الله تعالى. فالتقوى كنز، والحق نور، والتواضع رفع، وطول الأمل غرور، والدعوى بغير دليل فسوق، ومطلب العلا من غير سبب هبوط، والوعظ من غير إخلاص دخان، والحدة صفة شيطان، والتمني على الله من غير عمل زور وبهتان.

اللهم أنت الحق المبين الذي لا أقرب منك نفعا، ولا أوسع منك رحمة، أرحم كبير أحبائي وصغيرهم، وذكرهم وأنثاهم، وارحم بلادهم، وبلاد المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

---

1) ب و خ : 15.ع:42
2) سورة النساء الآية 78
3) سورة البقرة الآية 282
4) ورد في كتاب الإشارة في تدبير الامارة ص57 : العقل الطبيعي أصل للعقل الكسبي ، الذي يستفاد بالتعلم ...وبه تبصر الأشياء كما تبصر بالسرج . وبه تعرف المنافع من المضار .
5) ...فقد بان أن العلم أصل ، وأن القوة فرع، وأن العلم روح وان القوة جسم ، وأن الأسد الذي يتناهى في الجراة، يصيده الطفل بأدنى حيلة . وأن البعير العظيم الجثة، يسخره الشيخ الضعيف المنة . نفس المصدر السابق
6) ب و خ : ساقطة

الباب الرابع:

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل(1).

أما بعد يا مريد، فإن الإنسان عليه مدار المعاني. وذلك أن الله تعالى إذا خاطب العبد إنما أول ما يخاطبه بشاهده حتى يفهم، فيخاطبه بالغائب.

فإن قلت بين لي قلنا:

إن أهل الكفر جحدوا البعث، وحجتهم شاهدهم فقالوا: ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيى،(2) وكأنهم ظفروا بالحجة. فخاطبهم الله تعالى بشاهدهم فقال: إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها و ازينت وظن أهلها انهم قادرون عليها أتاها امرنا ليلا أو نهارا كان لم تغن بالأمس.(3) خاطبهم بشاهدهم - أن حياتهم التي زعموا انهم أحياء فيها تلحقها الموت.

وخاطبهم بإحيائهم بعد الموت، كالنبات الذي مات ثم إذا نزل عليه المطر يحيى بإذن الله ..النبات الذي شاهدتم إحياءه، هو الدليل على إحيائكم بعد الموت، فتمت الحجة.

فبحكم المثل فان النبات مثل الإنسان في الحدوث، ومثله، بحكم أن أصل الإنسان من الماء والتراب والنبات كذلك.

و أما الدليل فإنما يقيمه من له غريزة العقل، وهو على سعادة سابقة من الله، فان الله خاطب بالشاهد على الغائب، فان الكفار علموا أن الله موجود وهو الرزاق، لكنهم أنكروا البعث و أنكروا الرسالة، وكفار العرب هذا محل كفرهم بالله تعالى، وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمعذبين.(4) ويلزم من نفي البعث عدم وجود الجنة والنار اللتين هما محل الثواب والعقاب، وذلك أن العقل إنما قطع بموجود الله، وأن ما يقع على العباد قائم وحكمه فيه الإمكان..فلا بعث عنده ولا نفي للبعث ولا جنة عنده ولا نارا ولا نفي لهما، ولا ثواب ولا عقاب ولا نفي لهما.

فأرسل الله الشارع بتصديق أحد طرفي العقل، وبقيت الكفار على أحد طرفيه، فهم كلهم عقلاء، و إنما قسمت عقولهم، فمنهم من رجح الخبر من عند الله بأحد طرفي عقله، ومنهم من كذب بطرف عقله.

ومن هنا تعرف الفرق بين الشريعة والعقل، فان أهل العقول اجتمعوا على وجود الله تعالى، و إنما اختلفوا في رسالة الله لهم، وما جاءت به، وذلك من اختلاف الناس على ما يمكن في العقل، فان الرسالة من عند الله ممكنة في العقل، فمن سعد ووفقه الله تعالى رجح أحد طرفي عقله تصديق الرسالة، ومن شقي يرجح بأحد طرفي العقل عدم الرسالة، ثم البعث كذلك، ثم الجنة والنار كذلك.

ومن هنا ترى التكليف لأحد طرفي العقل، وأحد طرفيه على الشقاوة، وهذا أساس دين العبد، فإذا أراد الله إيمان العبد رجح جانب الثبوت على جانب العدم، والكافر بخلاف ذلك.

فان العقل هو اصل الإنسان فإذا رأيت الله تعالى نبه العبد في كتابه، إنما ينبه عقله، لا جسمه. فان حكم الله لا يتبدل. فإن الله تعالى خاطب العقل أولا، وكلامه قديم، وما خطاب إلا هو.

و أما الذات فإنها من جملة الجمادات، ويبقى العقل هو الذي خاطب الله أولا و أخيرا.

فحيث قال الله : أو لم يروا. وغير ذلك، فإنما هو العقل، فهو العاقل عن الله تعالى. فإن قلت بين لي قلنا : العقل كملك في دار حصينة يعلمه معلمه في ذلك الحصن. وما علمه معلمه يظهر لمملكته،(5) فإن العقل هو الأصل في الإنسان، قال تعالى: وما يعقلها إلا العالمون (6) وما يذكر إلا أولوا الألباب،(7) فان القرآن كله معلقة معانيه على الإنسان، ولولا ذلك حاشاه لكان عبثا.

فان الله خاطب أهل العقول الساعدين. الفاهم من يفهم عن الله تعالى، ولا يعقل كلام الله إلا العقل السعيد.

اللهم يا مفرج الكروب، ويا علام الغيوب، وستار العيوب، الذي لا تخفى عليه خافية، ولا هائمة، دبر على أحبائي خيرا من تدبيرهم لأنفسهم، ولا تهلكهم بذنوبهم ولا بذنوب غيرهم، واجعل البركة في ما يطعمون وما يشربون وادفع عنهم بأس الدنيا والآخرة، وقهم فتن الزمان وفتنة الشيطان، وارحم البساتين والجنان، ببركة إسمك الرحمن. آمين يا رب العالمين.

---

1) ب و خ : 13. و ع: 24
2) سورة الجاثية الآية 24
3) سورة يونس الآية 24
4) سورة الجاثية الآية 24
5) يقول الإمام الغزالي : اعلم أن البدن كالمدينة ، والعقل أعني المدرك من الإنسان كملك مدبر لها وأعضاؤه كرعيته : إحياء علوم الدين ج 3 ص 7 بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنية .
6) سورة العنكبوت الآية 43
7) سورة البقرة الآية 269

الباب الخامس:

...(1)العقل يريك المعاني والأمور الغائبة قبل وصولك إليها، وذلك من تدبير الله على العبد فإن الله هو المدبر على الحقيقة. فإذا أراد الله حسن التدبير على العبد علم عقله تدبير نفسه وعلمه منافعه ومراشده دنيا وأخرى.

وهذا أمر مخفي فإن العبد مقهور في نفسه وله الإختيار، فإن الفاعل إما ان يكون فاعلا بالإختيار أو بالإجبار، فاختيار العبد أتى من الله للعبد، فيخلق له الإختيار، بخلاف اختار الله، فإنه ماكتسبه من أحد وإنما هو وصف لازم له على غير عطاء من الغير.

فنور العقل به يكتسب الخير والشر، فإذا أراد الله بالعبد خيرا سلك به مسلك الخير، وإذا أراد الله به الشر سلك به مسلك الشر.

ثم ننقل الكلام إلى نصح أحبائي: قل لأحبائي عليهم بالتقوى، وأن(2) يضرعوا إلى الله تعالى. فإذا نزل القحط من السماء إلى الأرض، ونزلت الفتن بين الناس، العاقل يكون ملجؤه إلى الله تعالى، فليهدون للملك.

فإن قلت ما الهدية للملك فنقول:

هدية الملك كثرة الصلاة والتوبة من كل ذنب، وكثرة ذكر الله تعالى. فإذا أكثر الناس من ذكر الله فلعل الله يتوب عليهم فهو سبحانه هو الرحمن الرحيم.

وأما إذا اشتغلوا بدنياهم، واشتغلوا بالحزن على مصائبهم وتأسفوا على دنياهم ونسوا ذكر الله تعالى، فهؤلاء هم الغافلون عن ذكر ربهم.

اللهم سلم، سلم، فإنك شديد العقاب.و إنك الله غفور رحيم.

إلهي، عبيدك لا يقدرون على سطوتك، فأنت الرحمن الرحيم بهم، فإنهم مذنبون حالا ومقالا، وذلك وصفهم، وأنت التواب الغفور الشكور الحميد الودود الحي القيوم بديع السماوات والأرض العلي العظيم العزيز الحكيم البر الرؤوف الولي الهادي الفتاح الرزاق الحنان المنان العزيز الذي لا تخفى عليه خافية في السماء والأرض.

اللهم بحق أسمائك الحسنى وصفاتك العلى، إدفع البلاء النازل والخارج عن أحبائي وجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين.

اللهم افتح ما كان مغلقا من أبواب الخير عن أحبائي، وافتح باب الرزق، وباب البركة وباب الطاعة، وباب التوفيق، وباب الحفظ، وباب التوبة لجميع أحبائي.

يا الله، يا الله، يا الله. يا رحمن، يا رحمن، يا رحمن. يا حي، يا قيوم، أحيي ما كان ميتا من الأرض، وأحيي القلوب بلا اله إلا الله محمد رسول. الله آمين يا رب العالمين.

---

1) سقطت بداية هذا الباب من نسخة الإمام المجذوب حسب القاضي باتم
2) ب و خ: ساقطة

الباب السادس:

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل(1).

أما بعد يا مريد، فها أنا أزيدكم من الفوائد فنقول:

ومن الفوائد التي أفيدكم بها أن الإنسان عنده معاني الدنيا والآخرة.

فإن قلت بين لي قلنا: لما أكرم الله الإنسان بالعقل، وجعله محلا لمناجاته أكرمه كما أكرم العرش، وكما أكرم البيت المعمور، وأكرم مكة، فجعل العرش أكرم أمكنة العلوي، وجعل البيت المعمور أكرم وسط أهل السماوات، وجعل مكة أشرف الأرض وجعلها في وسط الأرض.

وهذه المواضع شرفها الله لأنها بيوت الله تعالى، فبيوت الله في الأرض هي محل نزول رحمة الله تعالى على الخلق، وذلك أن قلوب المؤمنين كلهم بيوت الله تعالى. فإذا زار أحدهم بيت الله في(2) مكة فيرجو غفران ذنوبه عند الله تعالى، ومن عجز عن بيت الله في(3) مكة فالمساجد هم(4) بيوت الله تعالى، ومعنى ذلك أن من دخل المسجد وهو خالص لله تعالى فقد دخل في جوار الله تعالى.

فالمساجد جعلت للعبادة، والسر في ذلك أن آدم مسجده مكة، وهي بيت الله الأول، فلما انتشر بنوه وظهر الإسلام أمر(5) الشارع ببناء المساجد فذلك من فضل الله على المؤمنين، إذ لو كانت العبادة لا تفيد إلا في مكة لشق ذلك على المؤمنين، ولكن أوجب على كل مؤمن الصلاة فيها مرة واحدة في العمر، وجعل العرش محلا لزيارة أهل العلوى، وجعل البيت المعمور محلا لزيارة أهل السفلي فيطوف بالبيت سبعا في بعض اليوم. أما طواف أهل العلوي فمرة واحدة، وذلك لكثرتهم، فعبادتهم لا تقبل إلا ممن زار العرش والبيت المعمور فإن مناجاة الله لهم في تلك المواضع.

ومناجاة المؤمنين في قلوبهم.. فانظر إلى هذه النعمة التي أعطى الله للمؤمنين من(6) أبناء آدم، وهذه من خصائص أبناء آدم على عالم السفلي.

والحكمة في ذلك، لما كان أبناء آدم سلط عليهم إبليس، وهو يوسوس لهم في صدورهم، أكرم الله أبناء آدم بمناجاة ربهم في قلوبهم. وذلك أن إبليس مع قلب ابن آدم، كالسارق الذي يسرق، فإذا رأى نور مناجاة الرب فيهرب من القلب، وذلك أن النور هو الذي يحرقه بإذن الله.

فما دام نور المناجاة في قلب العبد، فلا يدخل الشيطان إلى القلب، فإذا سها عن ذكر الله تعالى فيعلم أن نور المناجاة قد(7) ارتفع فيأخذ على حين غرة من ابن آدم.

وهكذا فإن الله تعالى يعين المؤمن على عدوه إبليس. والملائكة ما لها همة بشيء عن عبادة الله تعالى، فمثلهم مع أبناء آدم كمثل المجاهدين مع القاعدين، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين وكلا وعد الله الحسنى.(8)

فالذي يعبد الله على المجاهدة أفضل ممن يعبده من غير مجاهدة. فإن الملائكة عبدوا الله على محبة منهم لله تعالى، والمؤمنين عبدوه على محبة وطمع فيما(9) عنده.

فالمؤمنون يجاهدون على طاعة الله، وعدوهم إبليس ومن تبعه، فهم في غاية الجهاد وذلك لما علم الله من(10) قوة إيمان المؤمنين من أبناء آدم، ولو علم الله من الخلائق من هو(11) أقوى إيمانا من أبناء آدم لسلط عليهم إبليس، وتسليط الله إبليس على أبناء آدم، ليظهر لهم قوة إيمانهم.

فإن قلت ما السر في ذلك فنقول :

حيث قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء(12) فقال تعالى:
إني اعلم ما لا تعلمون.(13) فسلط إبليس على أبناء آدم يجاهدونه حق الجهاد، وهو لا يريد إلا اغتنام إيمانهم، فمنهم من غنم إيمانه، ومنهم من أخذ منه قليلا، ومنهم من حفظ إيمانه منه، والملائكة شهود على هذا الجهاد... وقد قال الله: إني أعلم ما لاتعلمون، وعلمت في علمي الذي لا يدركه أحد، أنى(14) لو سلطت عليكم إبليس والدنيا لما أقمتم لي عبادة واحدة، ولكن علمت فيهم قوة الإيمان فهاهم في جهادهم على الإيمان بي(15) حتى تقوم الساعة، سفكوا دمائهم على الإيمان بي،(16) ولم يزدهم ذلك إلا قوة في الإيمان،(17) وجيحت أموالهم على الإيمان بي(18) فما زادهم ذلك إلا قوة في الإيمان بي،(19) وطردوا الشياطين على الإيمان بي(20) فهم عبيدي ولهم رحمتي يدخلونها باختياري.

فيا ملائكتي عبدتموني بمحبتي، ولو سلطت عليكم واش بيني وبينكم لعصيتم عصيانا أشد من عصيانهم، فإني معينهم على أعدائهم، فإن وقعت منهم ذنوب فإني افتح لهم باب التوبة ما دامت الأرواح فيهم.

فهذا مما أفيدكم به حتى تعلموا دقائق لا إله إلا الله، فإذا حققتم معنى لا إله إلا الله فلا تخافوا إلا الله تعالى، ولا ترجوا إلا هو. فهو ربكم وهو أعلم بمصالحكم، فإن قدر عليكم القحط فما ذلك إلا لتعلموا أنه عادل، فقابلوه بالصبر والرضاء والخضوع وذكر الله، وادعوه أن يغيثكم ولا تستبطئوا مجيء ما عنده فهو الرحمن الرحيم، وورود المقادير على اختياره ومراده، وفي الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي تريدون، فإن وافقتم أرادته فلا تتوانى حوائجكم قطعا، والله الموفق للصواب.

اللهم أنت الملك الحق، وأنت(21) علام الغيوب، وأنت ستار العيوب، وأنت تعلم الظاهر والباطن، وأنت على كل شيء شهيد. ما غاب عنك حال أحد يا واحد - افتح على أحبائي وارفع عنهم مضارهم، ولا تهلكهم بذنوبهم فأنت رب العالمين، ارحم الكبير والصغير والبهائم والحروث والجنانات، و أثمر المثمرات يا غافر الزلات.

---

1) خ : 76
2) ع: ساقطة
3) ع: في ساقطة
4) ع: هن
5) ع و ب: لم
6) ع: من ساقطة
7) ع: ساقطة
8) سورة النساء الآية 95
9) ع و خ: مما
10) ع: ساقطة
11) ع و ب :هو ساقطة
12) سورة البقرة الآية 30
13) سورة البقرة الآية 30
14) ع: ساقطة
15) ع: ايماني
16) ع و خ: ايماني
17) ع: ايماني
18) ع و خ : ايماني
19) ع: ايماني
20) ع: ايماني
21) ع: ساقطة

الباب السابع :

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.(1)

أما بعد يامريد، أخطب لأحبائي خطبة تلين قلوبهم، وتذكرهم بذنوبهم، وتزهدهم في الدنيا، وتقربهم إلى الله تعالى، فقل : إلهي لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، أنت الملك الحي المبين، وأنت على كل شيء قدير.

أحبائي، قد دنا وقت نفاد الرزق، و الأجل، بخبر الصادق المحقق الذي يستحيل عليه الكذب، فلا علم لوقت الإنقراض، فهما مقرونان مادمتم في الدنيا، فلا تنتظروا إلا انقراض الآجال والأرزاق.

فكم أصبح في الدنيا من هو مؤمل دنيا وهو من أهل الآخرة، فخفي عنكم وقت الرحيل، ولا تعلمون ماذا عليكم، وما لكم غدا، فالموت سبيل إلى الآخرة، ولا بد منها لكل صغير وكبير، وذكر وأنثى، وعبد وحر، فلا بد لكم منها.

فالآن أيها الأحباب ـ حققوا الرحيل من الدنيا إلى الآخرة، فلا بد من تحقيق الرحيل والنزول، فالعاقل منكم يتزود من دار الرحيل لدار المقام.

أيها الأحباب، مقامكم في الدنيا اجعلوه كمقام الأبرار في دار الفجار، الفجار فيها ينعمون وآخرون نصيبهم عند الله في دار المقام. فدار المقام هي دار البقاء، اختارها الله للمتقين المقربين، فجعلها دار جزاء لهم. واختارها لهم، فهم فيها ينعمون نعيم الأبد، فتنعمهم فيها تنعم لا تغير فيه ولا تبدل، ونعمة الفجار فيها تغير وزوال.

أيها الأحباب، طاعة الله خير لكم من الدنيا وما فيها، ومعرفة الله أفضل وأفضل. أحبائي، إذا تغيرت دنيا المؤمن فإنها علامة زيادة آخرته، فيدخرها الله للعبد المؤمن وذلك صدقه الخبر.

أحبائي، الفاجر يتغير بتغير حظه، ودين المؤمن هو رأس ماله، يفرح بزيادة إيمانه ويحزن بنقصان إيمانه.

الفاجر يا أحبائي ينظر إلى شاهده، والمؤمن ينظر إلى مآله، قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو أهدى سبيلا.(2)

أحبائي، كونوا عقلاء لمنافعكم، وناصحون لإخوانكم، وأحسنوا جوار من جاوركم، واتقوا فتنة لاتصيبكم في دينكم، ولا تلتفتوا إلى فتنة تغيركم، فهذا سبيل الصالحين قبلكم، وما حضوكم ولا نصحوكم في دنياكم، ولكن النصيحة منهم لكلم هي تقوى ربكم، والناصحون منكم الراشدون لكم مثل ذلك.

فليتق الله منكم من أودعه ودائعه وأمانة عبيده، فهو ربكم في كل ساعة، وهو شاهد عليكم وسميع لكم في أقوالكم، و أحصاكم بعمله وانتم غافلون عنه، وهو ليس بغافل عنكم. فكل يوم يخولكم نعمة ظاهرة، وباطنة. فلو نظرتم إلى نعمته عليكم لشكرتموه على ما أعطاكم، ولحمدتموه على ما هداكم.

أيها الأحباب، اعلموا اني ناصح لكم،(3) ليعمل العاقل منكم لمآله، ويطلب التوفيق من ربه على طاعته. فاليوم الذي أنتم فيه وفي لكم بما هو لكم، ولا تعلمون هل وفيتم بما هو له عليكم، زعمتم بأنفسكم أنكم أديتم أوامره، ولم تحققوا القبول من ربكم، فإن مدار القول على الأعمال.

أحبائي، عظمت مصيبة من ملك الدنيا وفتنته، وأخرج منها ولم يعمل عملا واحدا يقبله الله منه، والفلاح من سلمه الله من فتنة الدنيا، وخرج منها ولم يعمل عملا فيها إلا تقبله الله منه.

أحبائي، داركم هذه دار رجوع، والآخرة ليس فيها رجوع.
أحبائي، داركم هذه من فاته العمل فيها بالليل تداركه بالنهار، ومن فاته بالنهار تداركه بالليل، و الآخرة ليس فيها عمل.
أحبائي، من أذنب بالليل تاب بالنهار، ومن أذنب بالنهار تاب بالليل.
أحبائي، من أذنب مع الناس، تاب مع الله.
أحبائي، هذه الدنيا زاد لكل أحد، فمن شاء أخذ زاده، ومن شاء تركه وراءه.
أحبائي، الدنيا مطية المؤمن بها يبلغ خير الآخرة، وهي مطية العاصي بها يبلغ شر الآخرة.
أحبائي، كل زمان من أزمنة الدنيا يعطي الخير لأهله.
أحبائي، الدنيا، إنما ذمها الله للعصاة، فإن الدنيا كلا شيء بالنسبة للعاصي، وهي غنيمة المؤمن.
أحبائي، الدنيا سلعة للناس، فما بيد المؤمن السعيد فله الربح، فإنه اشترى بها الآخرة، وهي خسيسة بالنسبة للعاصي، لأنه اشترى بها عذاب الله، وثمن العذاب خسيس.
يا أحبائي، اجعلوا دنياكم ثمن آخرتكم، فان الآخرة هي مآلكم و أحذروا سطوة شديد العقاب سريع الحساب. أحبائي، كونوا مع أهل النجوى الذين يناجيهم الله غدا بغفران ذنوبهم وسترها عليهم. وخافوا يا أحبائي فضائح الآخرة، فإن من افتضح غدا فلا تنفعه نعمة نعمها في الدنيا أو عمل عمله.
اللهم أنت الحي القيوم المبدع الرؤوف العفو اللطيف الكبير المتعال الهادي الولي العلي العظيم الشهيد الذي لاتخفى عليه خافية، ولا قائمة، ولا طارقة ولا متحركة ولا ساكنة، إدفع عن أحبائي شر كل خافية وظاهرة وهائمة وطارقة ومتحركة وساكنة، وادفع عنهم بلاء الدنيا والآخرة، واجلب لهم من فضلك الواسع يا ذا الفضل العظيم والحمد لله رب العالمين.

---

1) ب و خ : 30. ع 27
2) سورة الإسراء الآية 84
3) ب : ساقطة

الفصل الثاني : أقسام العلم وفوائده

الباب الثامن :(1)

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.
أما بعد يا مريد، فها أنا أفيدكم من علوم الأسرار التي هي كنز العلم، فنقول: العلم النافع على ثلاثة أقسام: علم تعرف به الله، وعلم تعرف به الدنيا، وعلم تعرف به الآخرة.
فأما علم معرفة الله تعالى، فتعلم ماله من الكمال، وتعرف قربه منك، فإنك إذا علمت قرب الله منك، لاتعصيه، إن أراد الله عدم عصيانك له، فهذه ثمرة العلم، فإنك إذا أطعت الله تعالى على معرفتك له، حينئذ انتفعت بمعرفته.
و أما معرفة الدنيا، فتعرف أنها لا تدوم، وأنها ليست بدار بقاء، وتعلم أنها دار خدمة السلطان، وفائدتها حصول خدمة الخالق وهو راض عنك فيها، وقابل منك خدمته.
و أما دار البقاء فهي دار الجزاء، ولا علم لك بها إلا وصف الشارع وهي ثابتة بخبر الشارع، والعمل لأجلها هو زيادة إيمانك بما جاء به شارعك من عند ربك.
فإذا حققت هذه العلوم الثلاثة، فهي التي في علمها منافعك. فمن جهل ربه جفا جفاء لايسعد معه، ومن جهل دنياه آلته إلى مسكنة كمسكنة الكلب، فالكلب يطوف على الناس إذا جاع، يمد يديه، ولا يحن عليه إلا ربه الذي يصطاد به. والمعنى أن من ليس معه شيء من الدنيا تعرض لما في أيدي الناس، ولا يعطيه الناس ماعندهم على عز.
والكلب إذا جاء لغير أهله، إنما يعطونه ما لا بال لهم به، وهو إن أعطوه، فهو متردد بين ضرب الناس له، وبين ماهو دنيئ مما كان في أيديهم.
كذلك من جهل الدنيا يئول جهله بها إلى مقامه عند من عرف الدنيا كمقام الكلب.
ولذلك فإن الدنيا لايحمد جاهلها، وذلك أن من جهل الدنيا لحقته بأهوالها وكدرها.
ولا يدفع بأس الدنيا إلا من علمها، ومن علمها قام مع الأسباب(2) التي تجلب ما عند الله من الخير.
إن الدنيا تجلب لصاحبها مايكره من عدل الله تعالى، فإذا عرفتها تجلب لك الخير مما عند الله تعالى.
من جهل الدنيا، كمن يطلب ذرية من غير تزويج، ويطلب المال من غير سبب... ومن ترك الدنيا بغير سبب، فليطلب المقام في السماء، أو في الهواء، أو يسكن البحار.
وذلك أن الإنسان خلق الله له الأرض منفعة، وخصه بها، فهي باسطة لكل قوى وضعيف.
ولو كلف الله الإنسان أن أوقف ماله في السماء، على صعوده إلى السماء لكان مكلفا، ولكن من منة الله،أنه أمر السماء أن تنزل مافيها، و أمر الأرض أن تخرج مافيها؛ وما على العبد إلا الطلب.
والطلب على ضربين، ضرب بالقول وضرب بالحرف،(3) فحرفة الإنسان طلب من الله تعالى، وهذا تفسير علم الدنيا، وجهلها.(4)
أما الجهل بالله، فهو أن لاترضى بحكمه، ولا تسلم لقضائه، ولا تصبر على بلائه، ولا تحمده على

ومن عرف الله حق المعرفة، كان إلى ما عند الله أقرب منه لما عنده، ويرى ما عنده فان، وما عند ربه باق، وما عند الله غني عنه، و إنما هو لعباده، وهم عياله ينفق عليهم كيف يشاء.
وذلك في المثل في الشاهد، كمن ينفق على صغار لا يدرون ما عند كفيلهم من الخير، فإذا فرغ ما بأيديهم، بكوا. وما بكوا إلا لجهلهم بما(5) عند كفيلهم، وما عند الله خير و أبقى.
لو عرف الإنسان ربه حق المعرفة، ما همه رزق. والله تعالى غني رحيم قريب عليم سميع بصير لا ينسى عبده في حال من الأحوال، ولا يترك أحدا بلا رزق، ومنذ خلق الدنيا وهو ينفق عليها ولم ينقص ذلك مما عنده تعالى.
و أما من جهل الآخرة، فقد(6) سعى في خسرانه، فلا هو يبقى مع الدنيا، ولا له حظ في الآخرة.
وأما من عدم علم الآخرة، فقد(7) اشترى الآخرة بثمن رخيص، فشهوته في الآخرة مافاته من حظه في الدنيا.
وما نبهتكم على ذلك إلا لتعلموا أن الخير لايكون مع الجهل، والخير مع العلم.
ثم ننقل الكلام إلى التناجي فنقول: الهي عبادك احتاجوا لما عندك وعلمت انهم محتاجون إليك، ولا تعلم لهم نفعا الا من عندك. أنت العليم وأنت اعلم بأحوال عبيدك فإليك أمرهم فأنت ارحم بهم من أنفسهم. كفى علمك وكفت رحمتك وكفى لطفك، وكفى سمعك وبصرك.
فحالهم يكفي عن سؤالهم لما عندك، لكن أمرت بالدعاء ليخاطبك اللسان الذي هو ترجمان الإنسان فقال: يا رحمن، ياحنان، يامنان، يا ذا الجلال والإكرام، أنا ترجمان الأحوال، أستعيذ من الشيطان، اني اطلب منك باشتكائي إليك، فها أنا غير جاهل ماعندك لكن أردت قربك وجوارك، أشكو إليك حالي وحال إخواني، فانزل الغيث الذي هو قوام النباتات، ومذهب للروعات وسبب خروج النباتات و إحياء الجنانات، و إحياء الماشيات، و إحياء الحيوانات.
الهي أغفر الزلات وهون المصعوبات، واكف المؤونات وارحم المؤمنين والمؤمنات. آمين يارب العالمين.

---

1) ب وع : 25
2) ورد في هذا المعنى في كتاب الإشارة في تدبير الإمارة ص 144 : وقد وجدنا من لا مال له إذا أراد أن يتناول أمرا قعد به العدم عنه. ووجدنا من لامال له، فلا أهل له، ومن لا أهل له، فلا ولد له، ومن لا ولد له، فلا ذكر له، ومن لامال له، فلا عقل له، ولا دنيا ولا آخرة، فيجب على العاقل إذا احب الجود أن ينظر في التتميمة.
3) ب: الحفر
4) ب و خ: جهله
5) ب: ساقطة
6) ب وع : ساقطة
7) ب: ساقطة

(ملحق الباب: ...فدارى بالدنيا عن دينه ، وإن تاجرا فيزداد دينه، وإن كانت سلامة دينه بالدنيا بأن يتقوى بالدنيا على دينه فطلب الدنيا لسلامة دينه أفضل من التجريد الذي لا يصح معه التقوى، لأن قوام الدين من صدقة وصلة رحم وزاد وجهاد وإصلاح عامة إسلام ، فهذه الحالات لا تصلح إلا بأسباب من الدنيا . فالكد في المعيشة للتقوي على الدين داخل في قوله تعالى : والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا. و ذلك، فكل ما يؤدي إلى الواجب فهو واجب. وذلك أن الله قال: رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. ومنطوى الآية أن التجارة والبيع إذا لم تلهيهم فإنه لا حرج عليهم لقوله تعالى: ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيما. فالمال للتقوي على الدين، بحيث لا يلهي صاحبه عن الدين هو مباح . فإذا لم يصلح الدين إلا به فهو واجب . فقدر ما يتقوى به على الدين واجب وكل ما يؤدي إلى قوام الدين فهو واجب . فشتان بين واحد له فرسان والآخر له واحدة ، ولهما صاحب لم يكن له شيء. والحاصل أن الثلاثة عباد ، فصاحب الواحدة يتقوى بفرسه ، وصاحب الإثنتين يتقوى بواحدة ويتصدق على الثالث بالأخرى فيتقوى بها على عبادته ، فقد ربح صاحب الفرسين وأشترك مع الفقير في عبادته .
فالدنيا أفضل لمن دار بها على الدين، وإلا فإن لم تكن مداراة عن الدين فلا حاجة فيها، فالفقر أفضل لمن أسلم لدينه، وإن لم يكن الدين في الحالتين فيدخل في قوله تعالى : خسر الدنيا والآخرة. فابتلاه الله بفقر الدارين والعياذ بالله من فقر الدارين . فإن كان ولا بد، اللهم فقر الدنيا ولا فقر الآخرة. ليس الخروج من خرج ودخل ، إنما الخروج من لم يدخل ثانية . من خرج من المعاصي ورجع كأنه لم يخرج، ومن دخل في الطاعة ولم يمكث فيها كأنه لم يدخل.
انظر واعبد على قدر مكنتك وطاعتك لقوله صلىٰ الله عليه وسلم: أفضل الأعمال الصالحة ما ديم عليه . أو كما قال. والله الموفق).

الباب التاسع:(1)

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فها أنا أزيدكم من فوائد العلم، فنقول:

العلم افضل من المال وخير مايكتسب المرء العلم، فان العلم تعرف به منافعك، ومضارك.(2) والعلم لايزيده الإنفاق إلا عقلا. والعلم يكون معك في الدنيا والآخرة، والمال يفتنك عن الله، والعلم يقربك إلى الله تعالى.

والمال عليك حسابه، والعلم لك، لايكون عليك إذا استعملته.

العلم غيضة في زمان أهل الخير، وهو سلعة النبيئين ومن ورثهم من المؤمنين.

ما ورث عن الأنبياء دينار ولا درهم، و إنما ورث عنهم العلم.

اكثر المال، هو مال الفراعنة، فان كثرة المال فتنة، والعلم يرفع أهله قال تعالى: نرفع درجات من نشاء.(3) وقال تعالى: هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون(4). فرفع الأنبياء بالعلم. والعالم المستعمل، خليفة الله في أرضه.

عليكم بالعلم، فان الله يمنحه السعداء، ويمنعه عن الأشقياء.

العلم واسطة الخير، والعلم هو الدال على الخير، وهو الدال على الشر.. فاستعمل يا صاحب الخير، واجتنب،(5) فالعلم مادام عند العبد يستعمله فهو في حفظ الله تعالى. فالعلم يجلب صحبة الصالحين من علوي وسفلي.

ما اجتمع قوم يتعلمون إلا ونزلت عليهم من الله رحمة منه إليهم، ولم يشبه خلق الجنة الا خلق العلم. أن العلم في الأرض كالغيث ينزل على الأرض بأرزاق الخلق، والعلم به يكون دين الخلق، وان الدين هو أساس العبد.

والعلم هو قوت الروح،(6) فإذا تخلف؛ الغيث عن الأرض توصف بالموت، ويموت من عليها، وذلك بتخلف الغيث عنها، كذلك العلم إذا تخلف عن القلوب تقحط، بتخلف العلم.

وان كل سنة، يريد أهل الأرض نزول الغيث عليهم، ولا تغني سنة عن سنة، كذلك لا تغني ساعة عن ساعة في العلم للمرء،(7) والدنيا زمان بعد زمان، وكل زمان له أهل، فمن تعلم من زمان، يعلم الزمان الذي بعده.

ولو كان الغيث في سنة واحدة، لهلكت الخلائق، ولولا العلم لهلك الناس.

فليعلم العالم منكم الجاهل، ويعلم الكبير الصغير، فالعلم نور يحيى الله به الناس، كما يحيى الغيث الأرض. فهذا يحيى الله به الشاهد، وهذا يحيى به الغائب. فالجهل قحط، والعاقل يشتكي لله من جهله، كما يشتكي من القحط، فقحط القلوب هو القحط الضار، فإن القلب إذا أقحط يكون المانع بين العبد وبين الله تعالى، و أي مصيبة تحول بين العبد وبين رؤية ربه...؟

ما كان إلا الله تعالى في الوجود وعبيده، فالعبد العاقل لا يرى إلا الله تعالى في جميع أحواله، وكفى بالله شهيدا، وكفى بالله وكيلا، وكفى بالله رحيما، وكفى بالله ناصرا. من لم يكن عارفا طمس نوره، وخسرت سريرته، وغفل عن منافعه، وحجب عن آخرته، وصرفت همته إلى ما لا يبقى معه، ولا يكون إلا ماله في نفس الأمر.

ما شوش العبيد إلا عدم رضاهم بقسمة الله، وان الله تعالى تقدمت قسمته بين خلائقه، من خير، ومن شر. فأينما فقد أحدهم معتاده في قسمة تفضل الله عليه بها، تحير وبكى، ولم يرض بما قسم له حينئذ، ونسي الفضل. فان الإنسان إذا مسه الخير منوعا وإذا مسه الشر جزوعا.

أهل التقوى، والمجاهدون في طاعة الله هم في أنفسهم على غرر على ما عند الله، هل قبل منهم أم هو راجع عليهم، ولا يدرون ماحكم الله به عليهم، وذلك من جهلهم بالسعادة، والشقاوة، فكيف بمن جهل الله تعالى، واشتغل بالدنيا، وصار يخدم الدنيا، وترك خدمة الله، فهذا ماله إلا عفو الله تعالى.

إن طاعة العبد هي سبب يطمئن له العبد فيما عند الله، كطمأنينته بالأسباب الحسيات التي يطلب بها رزقه. فان العبد إذا جعل سببا في الأرض، يرجو من الله أن يرزقه منه، وكذلك إذا تزوج يطلب من الله ذرية ينالها من تزويجه، كذلك الطاعة هي أسباب ما عند الله من الخير غدا وفي الدنيا.

فإن قلت هل طاعة الله في الدنيا تكون سببا لزيادة الدنيا؟ قلنا:

قسم الله أسباب الرزق على العباد، كما قسم بينهم الرزق، منهم من أخذ رزقه بكد العبادة، فإن الله تعالى هو الذي يتولى عبيده الصالحين في جميع مالهم من الأرزاق، وذلك لما علم منهم الصدق فصرف عنهم همة الدنيا وجعل الله لهم الخلائق وسائط يصدر نفعهم إليهم، ومن كان قلبه إلى الله تعالى أقبلت إليه قلوب الخلائق.

ذهب الجهال عن منافعهم، فطلبوا إغناءهم بطلب الدنيا، ولو وفقوا لكان كدهم في طاعة الله تعالى، والغنى الذي يطلبوه في طاعة الله تعالى.

قلوب الخلائق بيد الله تعالى، والملك ملك الله، والمال مال الله، فلا يعطي المال الا مالكه. فمن جهل العبد أن يطلب المال من العبيد، والمالك حاضر غير غائب، فهذا الجاهل أراد أن يعطيه العبيد مال المالك وهو حاضر، بغير إذنه وبغير مراده.

ولو كان عاقلا لطلب من المالك، فيبدأ به ثم ينزع ما في يد عبيده، فإن العبيد وما في أيديهم للمالك، فإذا رضي المالك فلا تبالي مملكته، وإذا لم يرض المالك فلا نفع من المملكة.

اللهم أنت المالك الحي القيوم المدبر القدير، السميع البصير، العلي العظيم الكبير، المتعال الوهاب الذي لاتخفى عنك خافية، عجل الفرج على أحبائي، يا مالك الدنيا والآخرة أنزل رحمتك الواسعة على جميع أحبائي، وعلى جميع المسلمين. آمين، آمين، آمين يارب العالمين.

---

1) ب: 31 وع و خ 22

2) ورد في باب الحض على القراءة والتعلم في كتاب الإشارة في تدبير الإمارة ص 57 : إن الأحياء الناطقين والحكماء المتقدمين فرقوا بين الجماد ، والحيوان بالحياة ، وفرقوا بين البيهيمة والإنسان بالعقل ، وفرقوا بين الشريف والخسيس بالعلم ... وبه تعرف المنافع من المضار. وهو الذي يمسك أعنة النفوس عن الأهواء .

3) سورة يوسف الآية 76

4) سورة الزمر الآية 9

5) ورد في كتاب الإشارة، بهذا الصدد : فيا طالب العلم للدراسة إن كنت للعلم درست والإنتفاع به أردت، فاقرن درسك بالفطنة ، وتعاهد محفوظك بالفكرة، فإنك فيما حفظته، بمثابة صاحب الجوز الذي لا يفوز بنفعه حتى يستخرجه من قشره . الإشارة ص57.

6) ...وبه تقتات الأجسام كما تقتات بالغذاء . نفس المصدر السابق.

7) ب و خ: الناس

الباب العاشر:(1)

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.
أما بعد يامريد، فها أنا أزيدكم من فوائد العلم، والله اعلم.(2)
لما خلق الله الخلق، نادى الخلق إلي الدنيا، فمال أكثرهم إلى الدنيا. ثم ناداهم إلى الجنة، فمال من بقي منهم إلى الجنة . وناداهم إليه فمنهم من ترك الدنيا لما ناداه الله إليه، ومنهم من ترك الجنة لما ناداه الله إليه، فعوضهم علمه.
ثم أعطاهم ما احبوا قبل، و أما نداؤه إليه، فهو اختيار منه . والحكمة في ذلك، أن الناس إذا منعوا العلم منعوا الخير، وإذا أعطوا العلم أعطوا ما لهم من الدنيا، والجنة. فان العلم فضيلة عظيمة لمن أعطاه الله له، والله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، والجنة كذلك . فان قلت كيف يعطي الجنة لمن لا يحب؟ قلنا: العاصي الذي انتقم منه بالنار، ثم يدخله الجنة.
والعلم لا يعطيه الله إلا لمن يحبه، وذلك العلم هو علم معرفة الله تعالى، فعلم معرفة الله تعالى لا يعطيه إلا للسعداء .
أحبائي، عليكم بمعرفة الله تعالى فإنها حظ عظيم، قال تعالى : ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا.(3) فما بالك بالخير الكثير الذي ذكره الله . فبادروا إلى الخير الكثير، فان الناس ما منعوا منه إلا من عصيانهم لله تعالى، فإذا عصى العبد ربه، منعه معرفته، فإذا منع المعرفة كان مع معرفة الشيطان .
المرء مع من عرف، فان الطبائع تسرقهم الصحبة. المرء مع من أحب.(4)
عن المرء لا تسال وسل عن قرينه ...(5)
لا تصحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله.
لا تصحب صاحب السوء، فإنه يعلمك من طبائعه وخلقه.(6) وذلك أن الشواهد تكتسب في متعلقاتها، فالعين تدرك المشهود فيضر، وكذلك تكسب لصاحبها، كما يكسب منها مشهودها، فإن الشواهد الظاهرة تكتسب، فلذا جعل الله عليها الأمر والنهي.
فلا يجوز للعين أن تنظر إلى ما لا يحل لها وذلك أنها تجلب ضار الشهوة وتتأجج منها نار الشهوة.
المرء أول ما يطلب إذا كان يريد المقام في البلد، فأول ما يطلب الجار الصالح، ويتجنب جار السوء، وإذا كان العبد عاقلا، فلا يكون إلا مع الأفاضل.
فإذا كنت مع من هم افضل منك تزداد منهم خيرا، فصاروا عونا لك على الشيطان والنفس، وإذا كنت مع من هم دونك، فيغرونك، ويكونوا هم والشيطان عليك.(8)
والأخ الناصح هو الذي يريك مساوئك، وينبهك على مصالحك، ويكتم عنك محاسنك، لئلا يغرنك فإياك والغرور، فان الناس يمدحون العبد في ظاهره، ولو عدلوا أو عرفوا، لكان الأمر على الباطن وما كان في الباطن يظهر على الظاهر.
انظر إلى ما علم الله فيك، ولا تنظر إلى ما علم الناس فيك. فانك إذا نظرت إلى ما علم الله فيك بقيت جاهلا لأمرك، فصرت بين الرجاء والخوف، وذلك ميزان المؤمن العارف بالله تعالى .
فالعارف بالله تعالى يزداد فيما بينه وبين الله تعالى، تارة يخاف منه، وتارة يرجو رحمته، والرجاء هو أساس المؤمن، والخوف جماله.
والرجاء والخوف بين الدنيا والآخرة، فالخوف ما دام العبد في الدنيا، والرجاء هو أن يرجو رحمة الله تعالى، إذا اشرف على الموت، وهو في المثل كالطير ما دام يطير في الهواء يستوي

جناحاه فإذا أراد أن يرجع إلى الأرض، رفع أحد جناحيه ووضع الآخر إلى الأرض، وذلك لحكمة فان المرفوع استند إلى الله، فإذا تمكن الموضوع تبعه صاحبه.
كذلك السعادة ، والشقاوة، صاحبهما يتردد في العمل في الدنيا، فإذا أراد الله توفيقه يكون بتوبته، أو بإذلاله كجناح الطير الهاوي إلى الأرض، والهاوي والمرفوع مخفيان في طيرانه، والمحقق أن أحدهما موضوع.
ومن حكمة الله تعالى في تنبيه العبد قوله: أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن.(9) التنبيه على سعادة العبد وخذلانه، فان الله الماسك للطير في الهواء هو الذي ينزله إلى الأرض، وذلك أن الحكمة فيه هي أن الإنسان مادام في الدنيا فهو كالطير في الهواء، فإذا رجع إلى الأرض كان كرجوع الإنسان ثانية إلى الأرض.
والطير كان في الأرض وعليها خلق، بلا أجنحة يطير بها، فإذا ترعرع ونبت جناحاه، فهو كالذي عنده المال، حتى إذا أراد الله ما أراد رجع إلى اصله، وذلك فيه حكمة فان الطير لو طال طيرانه في الهواء فلا بد من رجوعه إلى الأرض، وكذلك لو طال عمر الإنسان في الدنيا، لا بد له من أن يموت ويرجع إلى اصله.
ولا ترى آية من كتاب الله إلا دلت على حكمة تدل على حالة من حالات الإنسان. تكلم العلوي والسفلي بسلطة الواحد القهار الجبار الذي أمره بين الكاف والنون.
اللهم يا سلام سلم سلم. اللهم يا حفيظ احفظ يالله ياالله ياحي يا قيوم، احيي بلادك بالغيث النافع، والعافية الدائمة، واعف عن أحبائي بعفو يدوم، ومعرفة دائمة، ورحمة واسعة ومضرة تدفعها عنهم بقدرتك، يا ذا الجلال والإكرام، والحمد لله رب العالمين على منح الإيمان لنا، ياالله لا تحرمنا من بركة لا اله إلا الله، وبركة بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين.

---

1) ب وخ: 23. ع: 33
2) ب : ساقطة
3) سورة البقرة الآية 269
4) جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله متى الساعة ؟ قال: ما أعددت لها ؟ فقال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام، إلا أني أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم: المؤمن مع من أحب .
5) ورد هذا البيت كاملا في كتاب الإشارة ، في باب الخلطاء والأصحاب :
عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل فرين بالمقارن مقتد
وهو للشاعر عدي بن زيد العبادي التتميمي ، من شعراء الجاهلية ودهاة العرب، قتله النعمان بن المنذر في سجنه بالحيرة.
وللبيت قراءة أخرى : عن المرء لا تسل وابصر قرينه فإن القرين بالمقارن يقتدي
6) ورد في كتاب الإشارة في تدبير الإمارة كذلك : وإن الصاحب السوء يغذيك من دناءة طبعه فتتغير به طباعك ، ومن فساد آدابه ، فلين بها رأيك ، ويدربك على سوء الأدب .
7) في نفس السياق ورد في المصدر السابق : والصاحب الفاضل إذا كان عالما أفادك من علمه، وزينك بوقاره، وأرشدك برأيه وحسن ذكرك بحسن ذكره.
8) ...ثم إنك إذا أردته للنصرة خذلك وإن أردته للرأي غرك ، وإن أطلعته على عورتك كشفك. نفس المصدر السابق.
9) سورة الملك الآية 19
(ماحق الباب: الحمد الذي جعلنا من جملة المؤمنين وجعلنا من الذين أقتدوا بالعلماء. فالعلماء منهم من هو متعلم لله لا لغرض فيسأل عليه أجرا ولا ينفقه إلا لله رآه من الله وأمتثل فيه ما أمر الله به فجعله في أمر الله ، فهذا العالم بالله ولله .
ومنهم عالم لا هو لله ولكن رأى العلم من الله ورأى المنة من الله ورأى فوز العلم ، ورأى لنفسه درجة بدرجة العلم ومنهم عالم لا هو لله وإنما هو لغرض دنيوي فيدور بالعلم على الدنيا ، وماهو لله فالله لا يضل ماله ولا يخيبه . فالعالم المستعمل التقي هو الذي لا يخاف لومة لائم ، ولا يغضب إلا لله ولا يقصد إلا الله. فهذا هو العالم الذي يقتدى به وهو الوارث إرث النبوة. فالعلم بالعمل وإلا فهو كالحمار يحمل أسفارا ، فالعلم النافع لا يكون إلا خال من الأغيار فالعالم المستعمل أحواله حكم، وأقواله حكم، لا يتكلم إلا فيما أمر الله به . من لازمه تعلم العلم من أقواله وأفعاله ، وذلك كله حكمة تأتي من الله .الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور. ومن نور الله بصيرته استعمل جوارحه ، إن تكلم وعظ. ووارد الله إن ورد على العالم يكون كلام العالم المستعمل وارد من الله).

الفصل الثالث : إيمان الفطرة

الباب الحادي عشر:(1)

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.
أما بعد يامريد، فخير ما يشتغل به العبد معرفة ربه، لأنها هي الباقية معه في الدنيا والآخرة.
وذلك أن الخلائق كانوا في العدم وخلق الله أرواحهم، من نور الله تعالى، فماجت الأرواح كتموج البحر بإذن الله: حتى حققت الأرواح معرفته بحيث لاتشك(2) في أن الله هو الذي خلقها، فصارت في عبادة لا يعلمها إلا هو. وتلك العبادة التي كانت تعبد بها الله هي(3) الذكر، والإخلاص، وعدم الغفلة عنه ساعة واحدة.
وعاشت الأرواح بنور الله تعالى، لاشهوة لها(4) إلا في معرفته تعالى، فصارت معرفة الله هي قوت الأرواح.
ولما خلق الله الذوات، ودخلت الأرواح الأشباح، قسم الرزق بين الأرواح والأشباح، فما يؤكل ويشرب فهو قوام الأشباح، و أما الأرواح فقوتها المعرفة.
وقسم الطبائع بين الأرواح والأشباح، فالروح طبعت على معرفة الله تعالى، والأشباح طبعت على الأكل والشرب، فكلاهما طبعت على ما خلقت له، وخلق لها.
ومن هنا تعلم الفصل بين الأرواح والأشباح، فكل ما ترى من جهل الخلائق بالله تعالى لا من قبل الأرواح، و إنما هو مانع جعله الله على الروح، كالمريض الذي يمرض فيكون المانع بينه وبين معتاده الذي يعيش به.
ومن هنا تعلم أن إيمان الإنسان على الفطرة، وهو إيمان الروح - الأول.
فإذا خلق الله ولدا من ولد بني آدم فهو على دين آبائه، فإذا كان مسلما فهو مسلم، وإن كان كافرا، فكافر، وهذا على ظاهر الشرع.
فان قلت كيف الحكم له بدين أبيه، وهو صبي لا يعلم انه مسلم أو كافر؟ قلنا:
قد ورد عن الشارع انه قال : كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه(5)، أويمسحانه. وعلى هذا يحكم له بدين أبويه، فإن تغير إيمان الفطرة إنما يكون من أبويه.
وما قلت لكم هذا يا أحبائي، إلا لتعرفوا أن معرفة الله هي الأصل، فارجعوا إلى إيمان أرواحكم فإن المؤمن على فطرته الأولى. فاتقوا الله الذي خلقكم، ورزقكم، و أخرجكم من عدمكم إلى وجودكم وضاعف لكم منته، فأعطاكم من فضله ما تبصرون به، وتسمعون به. وأنعم عليكم بالحياة التي تنالون بها منافعكم ولم يجعل حيوانيتكم كحيوانية البهائم، وحيوانية الكافرين.
ومن عليكم بالإيمان الذي هو أصل كل شيء، ووعدكم دار النعيم، جنات تجري من تحتها الأنهار ووصفها لكم، ووعدكم بالدوام فيها.
وحذركم من الدنيا، وأخبركم أنها دار الغرور، وأخبركم أنها لا تدوم لكم، فقال : كل نفس ذائقة الموت(6). كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون.(7)
ومع ذلك ترون أمثالكم ارتحلوا عنها، وتركوها وليس معهم منها شيء إلا ما أنفقوا لوجه الله تعالى. ويا عجبا لكم بني آدم، تخدمون ما ليس لكم، وتتركون خدمة ما هو لكم، تشترون مالا يبقى لكم، وتبيعون ما يبقى معكم. تطلبون الفقير البعيد عنكم وهو مثلكم، وتتركون ربكم الذي هو أقرب من كل شيء.

ويا عجبا لكم بني آدم، تصبحون، فتطلبون ما تفعلون في يومكم، وتغفلوا عما يفعل الله بكم. عجبا لكم بني آدم، تصبحون صباح الأحرار، غافلين عن ربكم، لتصبحوا عبيد الدنيا. كم يصبح المرء منكم مقبلا على دنياه، وهو في نفس الأمر مقبل على آخرته.(8) يطول أمل أحدكم في دنيا لا يدركها، وهو غافل عن الموت الذي لابد أن يدركه. يتكلم بكلام ربه، وهو مع وسوسة الشيطان. عجبا لكم بني آدم، تطلبون البعيد وتغفلون عن القريب.

فان قلت كيف ذلك؟ قلنا : الجنة التي وعد المتقون، هي أقرب من الدنيا التي يأملها بالأمل، وهو لا يدركها.

العاقل يطلب من الله الجنة، ورضوان ربه، وذلك أن الأيام ثلاثة: اليوم الذي أنت فيه، واليوم الذي ترجوه، واليوم الذي لا ترجوه. والدنيا كلها أيام وليالي. فاليوم الذي أنت فيه أدركته واليوم الذي ترجو إدراكه، فهو على طمع منك، وطمعك لا يكون دليلا على إدراكك له. واليوم الذي لا تدركه، هو اليوم الذي دونه الموت، والموت جهلت وقت مجيئها. فأحذر أن تأخذك على غفلة وأنت في المعاصي، فتقدم على ربك وأنت عاص له. فلذا يجب على المؤمن أن يتوب على الدوام قال تعالى: وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.(9)

ما خاب من رضي بفضل الله، وسلم الأمر لله، وحمد الله، وشكر الله، ووحد الله، وعمل لله، وأخلص لله، وحقق وعد الله، وعلم أن الخلائق لله، ونسب لله، وعمي عن غير الله، وأقبل على الله، وأكثر من قول لا إله إلا الله، واستغفر الله، وأكثر من قول سبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، واحتسب لله، وقال حسبنا الله، فيكون إن شاء الله من الفائزين، وإن شاء الله مع أولياء الله. والحمد لله رب العالمين.

اللهم إن الحمد والشكر لك، والتوفيق منك والعافية منك، والنصر منك، والعفو منك، والرجوع إليك والإعانة منك، أعن أحبائي على طاعتك، وأنصرهم نصرا عزيزا، و أغنهم عن انتظار خلقك، واكف مئونتهم بما شئت، وارحم حيهم وميتهم، وصغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم، وأنزل البركة في بلادهم، وسكنهم فيها سكونا هنيئا مريئا. آمين هم وجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

---

1) ب : 59. ع: 17
2) ب : يشكون
3) ب : ساقطة
4) ب و خ: لهم
5) وبرواية أخرى : كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه و ينصرانه. من حديث أبي هريرة .
6) سورة آل عمران الآية 185
7) سورة القصص الآية 88
8) ب و خ : يطيل
9) سورة النور الآية 31

(ملحق الباب : الحمد لله الذي منه إلينا وإلينا منه ، وإليه يرجع الأمر كله له الحكم وإليه ترجعون. كيف طلبك له بالاحتياج وهو رآك سميع بصير. كيف طلبك له بالأحوال الحادثة منك وهو الذي أوردهم عليك. كيف طلبك له بالأغراض وهو قسمهم في أزله. كيف طلبك لله في وجودك وهو ضمنه لك في عدمك. كيف طلبك له وهو خالقك. كيف طلبك له بما هو معطيه لك. كيف تطلبه وهو قريب منك وأحوالك رآهم وسمعهم وأثرهم فيك، إن كنت طالبا له بأحوالك فأنت جاهل له ، وإن كنت طالبا له بما أنه هو المعطي وبما قال و امتثلت أوامره كما قال : ادعوني استجب لكم ، إذ إمتثال أوامره عبادة، وأيضا دعاؤك له يقتضي منك معرفة وجوده ووحدانيته وأوصافه الكاملة إذا دعوته بأنه لا يراك إلا أن دعوته ، وبأن لا يسمعك إلا إذا دعوته ، وبأن لا يستجيب لك إلا إذا دعوته ، فهذا الدعاء على هذه الحالة كفر .

وإن كنت داعيا له بأنه سميع وبأنه بصير وبأنه يستجيب لك من غير دعاء إذا دعوته بحضور الكمال ، وبأنه حاضر غير بعيد، وبأنك عبد امتثلت أمره ، وعلمت أنه ما كتب لك قضاه أولا ، وبأن الاستجابة منه لك أولا، لا بورود حدوثها فقد يدخل الكفر عند حدوث الحاجة لك، فيستحيل حدوث استجابته لك ، بل قضى حاجتك أولا، وأوجد الحاجة كما أحدثك.

إن طلبت غيره مع وجوده فقد أسأت الأدب، كيف طلبك لغيره وهو قاضي حاجتك . كيف طلبك للفقير والغني حاضر غير غائب .كيف طلبك للبعيد الفقير المعدم ، مع وجود الغني القريب الواجد لغيره(ضاعت بقية هذا الباب من الأصل).

الباب الثاني عشر(1)

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.
أما بعد يامريد، فها أنا أزيدكم من جواهر علم المعرفة، فنقول:
لما خلق الله الأرواح أخذ العهد عليها في حالة بينها وبينه.
فان قلت بين لي، قلنا:
أما أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد(2) أخذوا العهد مشافهة، في حالة لا يعلمها إلا الله تعالى، فهم الرتبة العليا،(3) ثم هم متفاوتون أيضا، و أعلاهم رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. ثم الأولياء كذلك، ثم المؤمنون وهم متفاوتون في رؤية الله تعالى. وأما أرواح الكفار فأخذوا العهد من أرواح الأنبياء من غير رؤية الله تعالى، فهم محجوبون عنه. وان الأنبياء الذين رأوا الله تعالى، أرواحهم وسائط بين الله وبين خلقه. فأهل السعادة من الخلق رأوا الله بواسطة الأنبياء، وأهل الشقاوة لم يروا الله تعالى، وإيمانهم بخبر الأنبياء تقليد.
ولما دخلت الأرواح ذواتها، أرسل الله رسله إلى الخلق، فمن كانت روحه قد(4) رأت الله، فهذا آمن بالرسل طوعا، أو كرها.
أما الذين حجبوا عن الله تعالى فهم الذين غدروا العهد، بسبب عدم رؤيته.
وما نبهتكم على هذا إلا لتعلموا معنى قول الشارع: فرغ ربك من لخلق، وذلك أن دخول الأرواح في الذوات، إنما هو لتمام الآجال، ولتمام الأرزاق، فإن كل ما للعبد وما عليه في الدنيا والآخرة، فرغ عند رب العزة حين خلق الأرواح.
وأما تقلب الأرواح في أحوالها، فلا يلزم منه انتقال ما حكم الله به في علمه، وذلك أن كل ما يقع على كل ذي روح في الدنيا والآخرة، أمر مقضي عند الله، والروح تنتقل مع ما لها وما عليها.
ومن هذه المعاني يظهر لك معنى قوله تعالى: ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها.(5)
ثم ننقل الكلام إلى تمام المعرفة فنقول: إذا علم العبد هذا المقام، في المعرفة فعليه أن يتحقق ما عند الله، فإن الله هو الذي أعطاه العهد أولا، والله لا يخلف الوعد فإن الأرواح أخذت على الله أن يرزقها وضمن لها الرزق وحلف عليه، حتى استيقنت بما عند الله تعالى.
ولما دخلت الأرواح الأجساد، بقيت الأرواح الموفقة على يقين وتصديق لله في وعده وحلفه، ومعدومات التوفيق نسيت عهد الله تعالى، فأقام الأسباب لها، طمأنينة.
ومن هنا تعرفون الفرق بين الفريقين قوم اطمأنت قلوبهم بوعد الله وضمانه، وقوم اطمأنت قلوبهم بالأسباب، والله تعالى هو الرازق لجميع الفريقين.
فوضع الأسباب رحمة من الله تعالى، فإن المحجوب عن الملك لا يطمئن إلا بما شاهد. ولو علم الخلائق، لحققوا ما كان لهم عند الله تعالى، ومن جهل العبد أن يشك في ضمان ربه وهو فقير، وربه غني. ولو عرف الله تعالى لأحسن الظن بربه فهو الرحمن الرحيم.
وورود اسمه الرحمن والرحيم على العبد حق، فالعبد مرحوم أصلا، لورود الأسماء عليه فلا يسيئ الظن بربه، ولا ييأس مما عنده، فهو مفتقر إلى ما عنده، وكيف يشك في ما عند ربه وهو اقرب إليه من حبل الوريد؟.
مازال العبد إلا من جهله، فهل رأيت في الشاهد من يهوي في البئر اختبارا منه، إنما أهواه فيه، إما جبر الغير، أو جهله بالبئر، من علم أن ما عنده عند غني كريم قريب، فلا يهمه شيء.
فالعاقل يشتغل بخدمة مولاه، فهي التي ينال العذاب بتركها، ولا ينال العذاب من عدم رزقه في ساعة. وانه إذا عصى الله في ساعة اخذ بها إن لم يعف الله عنه، وتوبته من عصيانه غير محققة.

وأما عدم رزقه في ساعة، فلا يعدمه في ساعة أخرى. فليت العبد حقق التوبة كما حقق الموت. وليت العبد حقق الخروج من النار كما حقق الورود إليها، وليت العبد حقق التوبة من الله كما حقق الصعود على الصراط، وليت العبد حقق التوبة من الله كما حقق التغيرات التي تنزل عليه. وليت العبد حقق النعائم الأخرى كتحقيقه نعائم الدنيا، وليت العبد حقق أن حظه من مكر الله ما يرى من أكدار الدنيا. وليت العبد على رضى من ربه، ولو طال عمره وهو في محنها. وليت العبد على وفق العمل المقبول. وليت العبد على طاعة مقبولة ولو قلت. وليت العبد عمل على أن يكون من القوم الذين ذكر الله تعالى، رضي الله عنهم ورضوا عنه.(6) وليت العبد على شهادة عند الموت.

وها أنا اضرب لكم مثلا: مثل لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، هي في المثل كالماء، ذلك أن الماء إذا كثر لا يحتاجون إليه فإذا اشرفوا على الهلاك صارت أموالهم كلا شيء، كذلك لا اله إلا الله إذا احتضر العبد تكون أفعاله كلها وماله، كلا شيء. فالصلاة والزكاة وغير ذلك من أعمال البر لا يحتاج إليها، فلا يحتاج إلا إلى - لااله إلا الله محمد رسول الله، عند الاحتضار، أما المال، فليس معه منه شيء.

نسأل الله العافية الدائمة وأن يجعل لا اله إلا الله هي زاد كل مؤمن بالله ورسوله، ويجعلها لنا حجة بيننا وبين النار، ويقينا وإياكم وجميع المسلمين من هول ذلك اليوم الذي لابد منه والذي وعد الله بان جميع، الأولين والآخرين فيه.

وان يتقبل منا كل عمل قصرنا عنه، ويقبل شفاعة الشافعين، لنا غدا يوم تبلى السرائر، ويطول المقام والحساب. سلمنا يا سلام، سلمنا يا سلام، أمين، آمين.

---

1) ب : 36
2) ب : ساقطة
3) ب و ع : العالية
4) ب و خ : ساقطة
5) سورة الحديد الآية 22
6) سورة التوبة الآية 100

الباب الثالث عشر(1)

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.
أما بعد يامريد، فها أنا أفيدكم من علوم الأسرار.
اعلم أن أسرار الله محجوبة عن المذنبين، وذلك أن الإنسان روحه خلقت من نور الله فهي مطبوعة على رؤية نور الله، ولا يمنع من رؤيتها لله إلا الذنوب.
فالله تعالى ظهر في كل شيء، ولا يمنع من رؤية ظهوره إلا الذنوب. الله تعالى لا يحجبه شيء، وإنما الحجاب على المذنب. فإن العاقل، يحذر من المانع الذي يمنعه من رؤية ربه. وقرب العبد من(2) الله تعالى لا بالمسافة، وإنما هو بالطاعة، والبعد عنه بالمعصية، لا بالمسافة.
وها أنا أفيدكم يامريد، فإن الله تعالى مع العبد فلا يمنع منه مانع سواء كان عاصيا أو طائعا. وذلك بالنظر إلى مبلغ العلم والسمع والبصر والكلام والرحمة والثواب والعفو، فهذا لا يتصف به الله لعبد عن عبد، وإنما القرب والبعد بالنظر إلى الطاعة والمعصية. وذلك البعد والقرب حكما لاحسا، وهو في المثل في الشاهد كمن رضي عنه الملك وهو بعيد المسافة، أو غضب عليه فإن قرب المسافة بالنسبة للمغضوب عليه بعد من رحمة الملك وقرب من انتقامه.
وكذلك المطيع، قريب من رحمة الملك وبعيد من انتقامه. وهذا شاهده قوله تعالى: إن رحمة الله قريب من المحسنين.(3) ويكون معنى المعصية كذلك : إن الله مع الذين آمنوا والذين هم محسنون.(4)
ثم ننقل الكلام إلى علامات القرب من الله تعالى: فإذا كان العبد كثير الحمد وكثير الشكر، فهو قريب من الله، وذلك أن الله تعالى قال: لئن شكرتم لأزيدنكم.(5) وعلامات القرب الزيادة من الله للعبد، ولا يزيده وهو بعيد عنه.
فمن توالت عطاياه على المعطى، فذلك هو القرب الحقيقي، ومن قطعت إمداداته فذلك هو البعد الحقيقي. فإذا رأيت معنى المعية في حقه تعالى مع العبد فاعلم أن معناه - قريب بالرحمة واللطف والعفو والغفران وغير ذلك من المنافع.
فان الله تعالى إذا جاد على العبد لا يمنعه مانع عن منافعه، وكذلك مضاره.
وشاهد هذا قوله تعالى: وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله(6) فان قلت ما الحكمة في بداية الله بالشر ولم يبدأ بالخير في الآية؟ قلنا: الله أعلم بمراده، والمعنى، أن الشاهد يدل على الغائب، لما كان الأمر على عاقبة الإنسان خاطب بالشر أولا، وعقب بالخير وذلك لو أن الإنسان بدا يعمل الشر حتى حكم عليه به، وصارت عاقبته بالخير فلا تضره مقدمة الشر.
وذلك في المثل كأرض جدبت سنينا، فأنزل الله عليها الغيث، هل ترى جدبها نقصها..كذلك الإنسان إنما هو على عاقبته، فالعاقبة هي التي عليها المدار فقال تعالى: والعاقبة للمتقين.(7) فحض على التقوى لأن التقوى له خاصية دون الأعمال، وذلك أن التقوى لا يعطيه الله إلا للسعداء والسعيد لا يكون شقيا، والشقي لا يكون سعيدا، فالتقوى هو الذي قرنته الأنبياء مع الوحدانية فقال تعالى: فاتقوا الله و أطيعون،(8) فهذه الآية جمعت أحوال العبد، فاتقوا الله، اتقوا الشرك والذنوب و أطيعوا الرسول، فإذا اتقى العبد الله و أطاع رسوله فقد افلح. وهكذا فمعناهما واحد التقي طائع والطائع تقي، ولكن بينهما(9) فرق وهو فرق بين من يعبد الله على علم وشرع، وبين من يعبده على جهل وعدم شرع، فكل عبادة على جهل(10).

1) ب وخ : 52
2) ب : ساقطة

3) سورة الأعراف الآية 56
4) سورة النحل الآية 128
5) سورة إبراهيم الآية 7
6) سورة يونس الآية 107
7) إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين. سورة الأعراف الآية 128
8) وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . سورة آل عمران الآية 50
9) ب : لهما
10) ضاعت بقية هذا الباب من النسخة الأصلية.

الباب الرابع عشر(1)

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.
أما بعد يامريد، فإن الإنسان حالته الأولى كالليل المظلم، فإذا دخلته الروح فهو كأول النهار قبل طلوع الشمس، فإذا نوره الله بنور الإيمان فهو كطلوع الشمس، فكما أن الشمس هي التي يميز بها نقصان الظل وزيادته، كذلك نور الإيمان تميز به أفعال العبد من سيئات وحسنات.
فالسيئات يتصف بها الإنسان، بنقصانها والحسنات بزيادتها. ونور الإيمان معنوي، ونور الشمس حسي. فنور الإيمان به يظهر معنى المعنويات، ونور الشمس به يزداد ظهور الحسنات. والإنسان حسي بالنظر إلى بنيته، معنوي بالنظر إلى روحه. فالروح نورانية ملكية، والبنية ظلمانية حسية، وكلاهما على اصل عنصرها.
فعنصر الذات المحسوسة(2) كالنار، والنار يتولد منها الدخان، والريح يتأجج منها الغبار، وذلك إذا اختلطت الريح بالتراب تولد منها ما يمنع الرؤية والإستماع، والذات تولدت من الظلمة، والروح تولدت من النور، فصار الإنسان نوراني ظلماني، فالنهار قابل نور الروح، والليل قابل ظلمانية الذات.
والسماء فيها بحر، والأرض فيها بحر، وكل بحر له(3) سكان لا يعلم عددهم إلا الله تعالى.
والنفس لها بحر الظلمة، والنور هو بحر الروح، والبحر الأعظم هو بحر الإيمان، والإنسان يعوم تلك البحور ، ولكل بحر سفينته. وأما بحر النفس فالساكن فيه إبليس، فهو حوته، وسفينته حب الدنيا. فما دام العبد محبا للدنيا فهو في بحر النفس، فإذا قطع بحر النفس، فعلامته انه خرج من حب الدنيا. فيدخل في بحر الروح النورانية، وسفينته التقوى. وعلامات الخروج منه دخول بحر الإيمان، وهو كمن يشرب الخمر. فعلامة شرب الخمر ذهاب العقل، فإذا خرج من ذهاب العقل صار كالمتحير، لا يسمع بإدراكاته العادية، فهو كجنين يوصف بالحياة وحقيقته كأحد الأموات.
ومن هنا يظهر معنى قوله تعالى في موسى: فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا.(4) وخر موسى صعقا. فإن الإنسان لا يقدر على رؤية الله في الدنيا، ولو كانت جائزة عقلا.
واعلم أن لكل شيء علامة، وعلامات قرب الله في العبد امتثال أوامره، والإنتهاء عن نواهيه.
وعلامة توفيق الله للعبد، الدوام على الطاعة حتى يختم له بحسن الحال.
وعلامة دخول النور فيه عشقه لمعرفة الله تعالى. ومحبته لله تعالى، محبة أوامره، ومحبة رسله، وأوليائه.
وعلامات شرب نسيم نوره، ذهاب عقله. فخمر الظاهر يذهب عقل الإنسان، وخمر الباطن لذة معرفة الله تعالى. فإن لكل شيء علامة. وعلامة محبة الله إذا وقعت في القلب، ذهاب العقل. وذلك أن أول ما خلق الله تعالى، العقل فهو أمير على الجوارح، يأمر وينهى، ما دام الجسم صحيحا، فإذا مرض الجسم وتغيرت طبائع الإنسان، فيكسف العقل ككسوف الشمس في البحر، ويذهب نور العقل بسبب تغير الطبائع.
كذلك إذا نزل عليه نور معرفة الله، يكسف نوره، إذ نور الله إلهي لا يعلوه شيء.
وهنا جوهرة أفيدكم بها، وهي أن الحسنات والسيئات إنما هي نور وظلمة، فالنور الذي يهبه الله تعالى هو النور الوهبي الذي يعطيه الله للعبد، وهو الجزاء الحقيقي، وذلك أن النور الوهبي هو الذي يقود العبد إلى منزله في الجنة، ويقوده إلى رؤية ربه.
والظلمة تقوده إلى النار، فالشقي أعمى في الدنيا، وإذا كان يوم القيامة تقوده الظلمة إلى أن يدخل النار، فيرى ما يسوءه، والمؤمن يقوده نوره إلى رؤية ربه. وهذا معنى قوله تعالى: ومن لم يجعل

الله له نورا فما له من نور.(5) وكقوله تعالى: نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا(6). وتمام النور رؤية الله تعالى.
وذلك النور هو الذي يوزن، فتوزن الأعمال، الصالحات نورانية، والسيئات ظلمانية. فإذا وصل العبد إلى ربه فما يزال يتنعم برؤيته، فيستغني بالله تعالى، إذ لا حاجة له في الجنة وذلك أن الحب(7).
اللهم ببركة النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين أجمعين، اجعلنا في زمرتهم أجمعين وجنبنا طريق الظالمين وسلمنا من ظلمهم أجمعين، و أعنا بالصالحين ليدفعوا عنا ظلم الظالمين.
الحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه، والحمد لله الذي أذهب عنا الحزن بعد نزوله في القلوب، والحمد لله على الطمأنينة بعد الدهشة، والحمد لله على العافية.
ثم ننقل الكلام إلى التناجي فنقول:
الهي ما خفت عنك خافية في الأرض ولا في السماء وأنت العلي العظيم. الهي لا حمى إلا حماك فاجعل أحبائي في حماك، واحمهم بقدرتك يا قدير، واحمهم يا سميع بسمعك، واحمهم ببصرك الذي أبصرت به كل الموجودات، وعلمك الذي علمت به جميع المعلومات، واجعلهم في حرزك وحصنك الذي لا يهدمه شيء، واجعلهم في حصن منيع من الفتن الواردة، النازلة، من الداخلة والخارجة.
الهي ادفع عنهم ظلم الظالمين، حتى لا يقربوهم، فان قضيت قربهم ، ومخالطتهم فاجعل الرحمة في قلوب الظالمين لأحبائي، وحول قلوب الباغضين لأحبائي إلى محبتهم حتى لا ينالوا منهم سوء والق عليهم محبة منك ، حتى لا يبغضهم أحد.
الهي لا تفتن أحبائي بالفتن الواردة التي قضيت نزولها. الهي ها انا اطلب منك و أرجو منك الإجابة، فاستجب لي في أحبائي، فكمل قلتهم بالنصر من عندك، و أزل فقرهم ببركة من عندك واجعل عليهم هيبة النصر والعز واجعلهم كعين تبص يسقى منها مع قلة مائها، فهم قوم قليلون حسا، كثيرون ببركة مخفية، حتى لا يحسدهم حاسد. الهي أحبائي استودعتك إيمانهم فاحفظ إيمانهم فانه رأس مالهم وديعة للرب الرؤوف اللطيف العفو الغفور الرحمن الرحيم، واحفظ يا رب ظاهرا وباطنا، و أغث قلوبهم بالمعرفة، و أغث بلادهم بالعافية وجد عليهم من فضلك، يالله يالله ياحي يا قيوم يا فاطر السماوات والأرض يا وهاب يا ولي ياغني ياحميد يامجيد، ياكبير يامتعال، ياذا الجلال والإكرام، يارزاق ياتواب يابر يا رحيم، يا واحد يا أحد يا ودود ود أحبائي بالعافية الدائمة عليهم، و ألبسهم لباس العز يا كريم، اغفر للمؤمنين منهم وتجاوز عن زلاتهم، ولا تسلط عليهم مالا طاقة لهم به، وكن لهم في الرخاء والشدة، وسلمهم من هذا الموج الذي ماج في الدنيا فإن الخلق تعدوا، وكما تعدوا ابتلاهم الله بما يرجعون إليه.
وذلك لأن الآجال لا يعلم قدرها إلا الله، ولا يعلم منتهاها إلا الله، فإذا أراد الله أن يتم اجل من تم اجله، فيحرك أسبابا يكون تمام الآجال وتمام النفي بها وينال أحد من أحد، ويعمل أحد آثما من أحد، ويرزق أحدا من مال أحد، فهو تعالى مصرف للأشياء على ما علم و أراد وقدر.
فلا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولو اجتمع الخلق كلهم أن يضروا نملة واحدة، ما قدروا على مضرتها، ولو اجتمعوا على نفعها ما نفعوها، فالأمر بيد الله.
خوفوا ربكم، واطلبوا منه النفع، واطلبوا منه دفع الضر. من عرف الله تعالى يسلب منه خوف الخلق. أعوذ بالله من خوف الخلق وعدم خوف الحق، وآفة دين العبد هم الرزق.

1) ب: 14ع : 11
2) ب : من زايدة
3) ب : ساقطة
4) سورة الأعراف الآية 143
5) سورة النور الآية 40

=6) سورة التحريم الآية 8

7) بياض في النسخة الأصلية . وضاعت بقية هذا الباب من النسخة الأصلية إلى اللهم.

(ملحق الباب: الحمد لله الذي جعل لنا آياته دليلا نستدل به عليه بأنه واحد لا شريك له له الملك ولد الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير .

إن بص نور بصيرتك جال فكرك في الملكوت، وبمشاهدتك أوصافه ترى وحدانيته في تأثيره . إن غفلت العقول عن فكره، تعامت العيون عن أشهاد آياته ، ولو تفكرت في آياته لجال العقل في وحدانيته. ولو صعدت النظر وصوبته في تأثيره لبها لك تعظيم جلاله ولشاهدته من غير تكييف ولا تشبيه .

إن شاهدت الآيات المحكومة واعتبرت لنظرت ما لا يطيقه ناظر، ولأنشرح القلب واتسع الفكر ، فعند ذلك تبدو لك الحكمة وهي تحوم ، وتظهر لك علوم ما لم يقدر أن يعلمه لك معلم غيره. فعند ذلك ينفد مانع العادة وتهدر عليك شعب لا تنحصر في حوز ، وينبث بدرك في أرض ينتج منها شظى البركة .

إن نلت مقام العلا فاحذر من النزول عنه ، كن طالعا مع العمل ولا تكن ناز لا ، خطوة ترفعها إلى العلا خير من خطوة تنزلك عن مقام العلا. إن بدا لك الحق بعين اليقين فاطلبه الإعانة على حق اليقين. عين اليقين ترى بها تأثيره، وبها ترى حق اليقين، فهو الحق كما طفحت به الآية : وإنه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم .

إن أورد عليك القهر بغلبته بالعلم، قمت ذاكرا له بالوحدانية إذ خير ما يكرمك به أن يكرمك بمعرفته، فعند ذلك تظهر عليك علامة قهر الملك بآثار قدرته القادر بها، فعند ذلك يلبسك قميص الهيبة، ويشعرك بالمشيئة .

شتان بين من رأى من يحزنه، و بين من رأى من يسره، وبين من لا يرى شيئا ... إن رأيت غدا خفت اليوم ، وإن لم تر غدا فيأتيك غد مع ما فيه. ويمضي اليوم بما فيه . فأنفق مما في اليوم... (ضاعت بقية هذا الباب من الأصل)

الباب الخامس عشر:

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.(1)

أما بعد يا مريد فها أنا أفيدكم من معرفة الله تعالى، فنقول:

الله وتر والخلائق شفع، ولا(2) بد من معرفة الوتر.

الوتر، هو الله تعالى، ولا بد من معرفة الأسماء التي عليها التكليف، وهما :الله، الواحد فهاذين الإسمين هما اللذان إذا أقر بهما المكلف يكون بهما مؤمنا، و أما إسمه ـ الله فقد اتفقت الملل عليه، قال تعالى: ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله.(3)

و أما محل كفر من كفر، وإيمان من آمن فهو اسمه ـ الواحد.

أما دليل الأمر فهو : قوله تعالى: قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد.(4)

أما محل التكفير، فهو قوله تعالى: لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة،(5) فأقروا بألوهيته و أنكروا الوحدانية، وعلى هذا فمحل التكفير هو اسم الوحدانية.

وذلك أن أسماء الله تعالى على مراتب، فإسم الذات هو الله، وهو الإسم الذي تحت حيطته جميع معاني الأسماء، والخلائق تحت حيطة الأسماء.

فإذا ظهر إسمه الله فلم يكن في الوجود إلا هو، كما ورد عن الشارع حين نعمته. فقال: كان الله ولا شيء معه.

وذلك حين لم يكن شيء غير الله، فهو نعته(6) باسم الذات الجامع لجميع الأسماء، فلم يظهر معنى لمعاني الأسماء حين لم تكن الخلائق، و إنما نعته بالإسم الجامع.

فلما خلق الله الخلق، ظهر معنى الرحمن الرحيم، فالرحمن أظهر المرحوم معناه فقال تعالى: قل ادعوا الله وادعوا الرحمن أيا ما تدعون فله الأسماء الحسنى.(7)

وظهر معنى القادر بالمقدور عليه، والمريد بالمراد، والبصير بالمبصور، والسميع بالمسموع، والعليم بالمعلوم، والتواب بالمتوب عليه، وغير ذلك من معرفة الأسماء المشتركة وغير المشتركة.

والأسماء المشتركة هي التي تكون في المخلوق، كالعالم والسميع والبصير والمريد والحي والكريم والمالك والغفور والصبور.

و أما أسماؤه تعالى، التي لم يتصف بها غيره فهي : الله الأول الآخر الظاهر الباطن ذو الجلال والعظيم والكبير والمتعال. وجميع هذه الأسماء محل تكليف.

هو الله الواحد، وذلك أن هاذين الإسمين هما الأصل، ولا يشترط ماله من كمال. ولذلك فمن آمن به ووحده، فهذا هو محل الإيمان، لا اله إلا الله، فنفى الشريك، وبقي هو الواحد، هو الله الواحد.

فإذا قال العبد، لا اله إلا الله فهو مؤمن، وان آمن بالإسمين فقد آمن بجميع الأسماء، فاسمه الله من ذكره فقد ذكر جميع الأسماء.

ثم ننقل الكلام إلى تمام الفائدة، ما الفائدة من تكرار إسم الله في القرآن؟ فنقول: إذا تلا التالي كتاب الله فهو يناجي ربه، وإبليس عدو للإنسان، ولا يطرد الشيطان إلا أسماء الله تعالى. فإذا ذكر الله، مثلا في آية ثم خرج إلى الأخرى يجد فيها اسم الله، وهكذا.. فيحفظ من الشيطان لمخاطبة الله له. فصار الإنسان محفوظا من الشيطان، فلهذا تكررت الأسماء. وما نبهتكم على هذا إلا لتعلموا أن القرآن يحفظ صاحبه في الدنيا والآخرة. من حفظ ما بينه وبين الله، حفظ ما بينه

وبين الناس. فمن أراد أن يعمل لله تعالى فعليه أن يبارز الشيطان. المعرفة أصلها من معرفة أسماء الله، وأصل الأسماء-الله، الواحد.

والدنيا والآخرة على لا اله إلا الله محمد رسول الله، ولذا قلل الله حروفها لمعاني كثيرة، وذلك تخفيفا من ربكم عليكم، كتخفيف قولها عند من طلبت منه، فألهمها له إذا خاف، تقال بسرعة، وإذا وشى الشيطان بشبهة، فان تلقينات إبليس وحججه وفتنه واسعة كالسراب والخيال، فيصفعها المؤمن بلا اله إلا الله محمد رسول الله.

الله يا كريم يا غفور، يا تواب ياسميع، يا بصير يا وكيل، يا عزيز يا غفار، يا قهار يا متعال، يا ذا الجلال والإكرام، ياحي يا قيوم، يا وهاب يا سريع الحساب، يا قريب يا مجيب يا ودود يا رازق، ياولي يا حميد يا وكيل، بحق أسمائك الذاتية، وبحق أسمائك الواردة على خلقك، وبحق أسماء الأفعال، فرج عن أحبائي في جميع ما أهمهم و نابهم من شهوة النفوس، وادفع الضر عنهم بحق الشهر الذي عظمته على جميع الشهور، واستجب دعائي فيه أنا وجميع المسلمين. والحمد لله رب العالمين.

---

1) ب: 15.ع:32
2) ب: فلا
3) سورة الزخرف الآية77
4) سورة الإخلاص
5) سورة المائدة الآية 73
6) ب : نعوته
7) سورة الإسراء الآية 110

الفصل الرابع : شرف معرفة الله تعالى

الباب السادس عشر:

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.(1)

(2).... المؤثر في القدرة والمخصص في الإرادة، وكالمحيي في الحياة، وكالسامع في السميع، وكالمبصر في البصير،(3) وكالمتكلم(4) في الكلام، وكالأول في القديم، وكالأخير في الباقي، وكالمخالف في المخالفة، وكالغني في القيام بالنفس، وكالواحد في الوحدانية. ولكن وضعها المتكلمون لأجل تقريب الإفهام لدى(5) الجاهلين. ولتكون كتبا يعتني بها وليحصل الفضل لمؤلفيها ومعلميها، ولتقوم الحجة على كل جاهل بالوحدانية إذا كان قارئا، يسأل عنها هل تحراها(6) من قراءة للقرآن أم لا. إن احتج أنه لا يدري معنى القرآن يقول له الرحمن: ما منعك أن تتعلمها في الكتب التي شرفت مؤلفيها ومعلميها بإعدادها. ولا يقرؤها(7) ويعلم معناها(8) أحد إلا وصار اليوم شريفا على غيره الذي لم يقرأها ولم تكن عنده وحدانية منها(9) ولا من غيرها. والوحدانية هي تبيين الواحد للجميع، والواحد بائن لكل ذي عقل معتني، لقوله تعالى: هو الظاهر، ولقوله: و هو معكم أينما كنتم.(10) والظهور لا يستلزم المعرفة، والمعرفة لا تستلزم الإستعمال. والمعرفة أول شرفها: معرفتك لمن خلقك. وإذا عرفت من خلقك تخشاه أن يعدمك على سوء حال.

والشرف الثاني: منها تصير خدمتك له واقعة في محلها، لأنك إذا كنت تخدم من لا تعرف، تخدمه بما يليق وما لا يليق. خدمتك له بما يليق ليس عندك لها برهان، وخدمتك له بما لا يليق تزيد غضبه(11) عليك، والتي تليق لا تطفئ ذلك الغضب عليك لأنك فعلتها من غير برهان سابق عندك.

والثالث من شرفها: أنك إذا خدمت من تعرف تجمل في خدمتك، وتسرع في إتيانها. والذي لا تعرفه لا تجمل في خدمته وتتهاون بها. ودليلها في الشاهد إذا استضفت صديقا كريما أو ملكا يخشى منه، أو ظالما مفسدا، تحسن ضيافته. وإذا استضفت ذليلا مجهولا، لا تخاف منه ولا ترجو الخلف من ربه، تسيء ضيافته ولا تسعى فيها إلا بوسعك.

والرابع من شرفها: تخفيف إساءتك إذا وقفت بين يديه، وحلم تجده في نفسك لم يجده غيرك إذا لم يكن موحدا.

والخامس : تخفيف أهوال المحشر عليك، وورودك، كأنك وارد حوضا من ماء وعسل.

والسادس من شرفها: كأنك برق خاطف على الصراط، ولا تستأذن في دخول الباب، كأنك معروف قبل.

والسابع: رفع الدرجات على كل مستعمل لم يكن مثلك في التوحيد.

والثامن: يقدر الليل والنهار بأدنى أيامك التي تراه فيه مائة مرة. وكل يوم يهدي لك مائة بكر (12) .

من أراد علو المقام يوحد الله على الإطلاق من غير قيد الصفات والذات. يوحده قولا وفعلا وذاتا ووصفا وإسما ومكانا وزمانا وحالا ومآلا. ومن أراد قصرا واحدا أو قصرين يقتصر على عشرين صفة وما لها، يكون له قصر أو قصران ونحو ذلك. ويرى ربه في اليوم مرة أو مرتين والله على ما نقول وكيل. والمرأة الصالحة الموحدة تشفع في(13) عشرين جارا ليس بينها وبينهم قرابة، و أربعين جارا من أرحامها وعصبتها، وعشر غرباء ليسوا بصالحين، والرجل مثل ذلك مرتين. أيها الناس تفكروا في ما مضى من أعمالكم ماذا صنعتم فيه؟

واعتبروا فيما واجهكم وماذا يحل الله فيه. المعتبر فيما مضى يرثه اعتباره صلاح عمل يومه، والناظر فيما بقي من عمره وفي مواجهة أوامر الله لخلقه يورثه نظره الخوف من المواجهات، ومن خاف من المواجهات حسن عمله وإن قل.

وأعلموا أن من عمل للآخرة الآن يجازى بالقرب. واعلموا أن من تفكر الآن يشكر بالقرب. ومن اعتبر الآن يرحم بالقرب. ومن تجاوز الآن يغفر له بالقرب. ومن صبر الآن يوافى بالقرب. وانتم في دار العمل والأخرى دار المكافآت، وانتم في دار الصبر والآخرة دار الفرجات. وانتم في دار الكدرات والآخرة دار التهنيئات. وانتم في دار المحن والجنة دار الغرفات، والتخلص من الشبهات.

...(14)وامتداد السمع للصوت في الهواء وجهاته، يصل إلى محل فيه أصوات أو سمع منه قدر منخر ثور ثم تصم عن السمع مادامت حياته. وفيهم أصوات لو سمع منهم قدر نطق طير لهلكت روحه قبل أن يتم الصوت في أذنه. والأصوات هي أسباب الخير لأهله، وهي أسباب الشر لأهله، لأن الصوت يطلق على كل ما يغمغم وكل ما يجمجم، الغمغمة هي المنطوقات الظاهرة، ما يميز منها بالحروف كأصوات الإنس والجن والملائكة وسكان الجنة من أجناس المخلوقات، وبما لا يميز بالحروف ولكن يميز بنوعه كالطيور والبهائم والسباع والأجناس، المعروفة بصوتها. و التجمجم ككلام النفس والروح الخارجة عن جرمها، وكلام القبور وحركة العضو وحركة الأرض، وضعيفات الأصوات التي لا يتحرى لهم صوت كالحوت والنمل وشبههم من خلق الله الذي لا يسمع له صوتا إلا من خرقت له العادة.

ومحل النجاة في الصوت أن الوحي ينزل على عبد من النوع المخاطب به، ويتلوه من نزل عليه على آذان السامعين وينجو من نجى ويهلك من هلك، علمت أنه هو والقلب سواء من باب الإيمان. وامتداد السمع فيه ما نجا ويؤدي إلى الوحدانية وأفعال الخير كلها. وهو السمع المصون عما لا يعني والمشتمل على تسميع الهمم العالية، وكلما سمع صوت سوء أو يؤدي إلى سوء يحرز نفسه عنه، ويصنع ما صنعت الجاهلية الأولى لقوله تعالى: كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم.(15)

والمؤمن من باب أولى إذا سمع الكفر أو ما أدي له، أوكلام ظلم فيه قائله، أن يجعل أصابع اليمنى في أذنه اليمنى، ويسد اليسرى بكفه و يتكلم بلسانه، ويقول: هذا المسموع منكر. وإذا قدر على تغييره بيده يفعل، وإلا انصرف ودعا بالهدي لصاحب الضلالة ألا يستمر عليها.

والسمع والبصر الممنوعان المباشران للبدن المقيمان فيه مكفوفان عما يسوؤهما بتسديد يد ملك موكل بهما، إذا مد صاحب البصر بصره يجعله في يد ملك يحوزه عن مضروراته، ويوقعه على منفوعاته فتكون له يد الملك كجبلين بينهما بطحاء، والبصر المرسل الى النظر هو سبيل البطحاء، والجبلان حجاب بينه وبين مايضره. وألا يرى الفاسق المقنوط له من رؤية يصلح بها.

ومعنى السمع: المسموع به كذلك، بيد ملك آخر يكفه عما يسوؤه و يحجبه عن الصوت الذي له فيه ضرر. وكل صوت في الدنيا بيد ملك موكل عليه ألا يخل أويقصر عن البلد المقصود به.لقوله تعالى: وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون.(16) وقوله تعالى: وإنه لقسم لو تعلمون عظيم.(17) والقسم هو إيثار المنافع في منافعكم وحفظها بتكييف.

ومن اتبع أحد جوارحه أهلك نفسه ونفع شيطانه لقوله تعالى: إن السمع والبصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا.(18)

والأنف: له خواص منها أن النفس الخارجة منه هي سبب الحياة وسبب المنافع المسخرات من الحياة لأن المخلوق لا يأكل إلا إذا تنفس، ولا يشرب إلا إذا تنفس، ولا يحترف في شيء إلا بالتنفس المتعاقب في جوفه، وتخرج من أنفه لأن مسدود النفس لا قدرة له على حرفة شيء ولو

كان جالسا مستندا على مستند، لا يقدر عليه، فأحرى ما فوق ذلك من الحرف لأن التنفس أجنحة الحياة وثمرة للذات، وهو من الريح واليها يرجع إلى ميقات يوم معلوم.

والشطر الآخر إنها تميز رائحة عن أخرى، وتميز بها الفاسق من الصالح والشقي من السعيد والعبد من الحر والمرأة من الرجل وغير ذلك لمن خرقت له العادة.

والأنف فيه خصلة أخرى وهي تمييز النفس الطيبة من الخبيثة، إذا خرقت لصاحبه العادة.

والفم هو سبب المعاش وفيه فائدة أخرى أنه إذا سد التنفس و أراد الله حياة صاحبه يكون فيه شطر التنفس حالة دون أخرى لمن راد الله نجاته. وفيه شطر جمال المخلوق وهو انفتاحه بالأسنان الجميلة والأضراس وجعله ربنا كنبات جبلين وجعل اللسان بطحاء بين الجبلين ينقل المعاش إلى الجوف وينقل الكلام من الصدر للبيان وجعله ربي ميزان الخطاب ويعرف به عقل صاحبه إن كان كيسا أو هبلا. وله تمييز يخصه عن كل الجوارح الظاهرة وهو أنه ألف الله في المخلوق، والألف هو أفضل الحروف كما أن اللسان أفضل الجوارح الظاهرة، وهو أول ما يخاطبه الله في العامة دون الخاصة.

والخاصة، المؤمنون بعد استمرار الإيمان والرسل قبل الوحي. والعامة، هي ما سوى ذلك من الخلق.

واللسان دليل على صاحبه في الخير، ويكون نعتا على المخطئين و يدل أهل الخير على أهل الخير، ويكون دليلا لصاحبه، وينعت بعض الشيء للبعض. والفم ميزان في المرزوقات ومدار في المخاطبات، لا خطاب بدونه لأن شرط الخطاب الفم وما حوى,ومن لا فم له لا يرد عليه الخطاب.

وأما الثلاثة التي في الصدر: أولهم إرادة الشيء ثم علمه ثم عقله. والإرادة هي انقياد النية إلى بلد مقصود أو لفعل شيء كنت تفعله، علمك به لا يسمى علما حتى تجعل يدك فيه لأن شرط فعله انقياد القصد إليه، وإذا منعته جبرا من أحد سوى الله، فعلك له لا يسمى إرادة، وإنما يقال فعل جبرا من فلان لفلان، لأن الإرادة شرطها الطوع والخيار في الترك والفعل، وهذا إذا كانت من قادر عالم. وإذا كانت من غيره يصح التخلف بأن يفعل فعلا لا إرادة فيه، ويسمى فعل الجبر.

والإرادة هي انقياد المقصود إلى بلد أو لفعل، وهي في المخلوق ليس له من فعله إلا القصد والإنقياد إلى الفعل، وما سوى ذلك يسمى علما من شطرها.

وهي في الخالق قصد الشيء وقدره وحاله وسماحته وحسنه وتميزه عن غيره.

والإرادة هي الفاصلة بين الأشياء، وهي المميزة للشيء المقصود، وهي الساترة لهفوات العقل، وهي المزينة لعلمك المتصل بعقلك، وهي صيد الخير، تقودك إلى محله وتقوي عزمك عليه، وتنشدك للطاعة، وتهون عليك ما صعب. ولها فنون كثيرة لا يسعها الوقت، ولكن من تمسك بشطر الخير منها يفز، و شطر الشر يميزه بشطر الخير. واعلم أنها عدوه، إذا سبقتك إلى بحر الهوى هلكت لا محالة.

والعلم هو الذي تصلح به كل مايدور بك,ومن لاعلم عنده لاخير فيه، والخير كله في العلم، والشر كله في الجهل، والعلم ميزان أمر الله لك لايسدد الا به. والجهل مدار البطالة فيك، والبطالة هي سبب الصد عن الهدى، وهي سبب استمرار الكفر في قلب صاحبه، وهي نتيجة الشقاوة عن الإيمان، وهي التي لايصلح معها خير ولو كان صاحبه أعبد الخليقة لله، لأن عبادة البطالة لاخير فيها ولو كان فيها خير لنفعت المنافقين لأنهم أعبد الناس، ولو كان فيها خير لنفعت إبليس، ولو كان فيها خير لنفعت النصارى، ولو كان فيها خير لميزت للمنكرين الحق، من الباطل. واعلم أن الإرادة والعلم متفقان على صلاح الأشياء، علم لا إرادة فيه لاخير فيه، وعلم لا صلاح فيه لاخير فيه.

واعلم يا أخي أن الأمر الموقوع(19) على الخلق من الله أصله التسليم والإنقياد لأمر الله، ومن لم يكن عنده هاذان الوصفان فأحسبه من العصب الهالكة والله على ما نقول وكيل.

والعلم علمان علم موهوب وعلم مكسوب، الموهوب هو الذي لاواسطة بينه وبين الله، واعلم انه لا خطأ فيه، إلا بسوء الفهم أو الإنحراف عن سبيله.

واعلم أن الله لايعطيه الا لمن خرقت له العادة، وخرق العادة لايكون فيه الخطأ، لأنه أمر من الله لصاحبه، وصاحب خرق العادة لاتخرق له عادة إلا من بعد إجارة فعله، لأنه لو كان مخطئا ومضلا لما خرقت له العادة.

والمكسوب، له وجوه: المأخوذ من ملك وهبي كالنبي الذي أنزل عليه، وله شطر أو شرط في الإكتساب وهو خطاب الله له به، والغير لا يمكنه النفع به إلا إذا سعى في تبليغه لمن أمر بتبليغه له، ولم يمكن حصول النفع له لنفسه إلا بخدمته وتعبه في تحصيل ما فيه من الأمر والكف عما فيه من النهي.

والملك كذلك كسب قبل الهبوط والصعوده و لغير النبي المأمور به، وهبيته وهي حصوله في نفس النبي بلا تلقين ووهب له من باب قلة المؤونة وتيسير الحفظ عليه.

ومكتسب الظاهر هو ما ظهر لكم سبيله وهو التعب في تحصيل المهمات وكلام ذكاء العقول.

وليس للمؤمنين مفتاح أولى من التعب في طلب العلم. وطالبه بالعلم دون التعب يرزق منه ما شاء الله أن يرزقه، ولكن أفضل طلبه بتعب، لأن طالب العلم لايخلو من فعلتين، احداهما السعادة وتحصيل المنى في العلم، والأخرى رفع الدرجات وحصول العلم الصالح لأن طلب العلم لاعمل أفضل منه، ولو لم يحصل لطالبه. لأن السعي فيه يوما أفضل من السعي في غيره من العمل سنة. والسعي فيه سنة أفضل من السعي في غيره عشرين سنة.

والعلم لايضل وإنما يضل السامعون له. والعلم لايخطئ وإنما يخطئ السامعون. والعلم لا يهلك أحدا وإنما يهلك من تعدى عليه. والعلم لا يشقى وإنما يشقى من خرج عنه. والعلم لايتردى وإنما يتردى من يسفه عليه. والعلم لايشتبه على ذي قلب يميز، وإنما يشتبه عقل الغافل عنه، والعلم نجاة، والمنجى من استعمله. والعلم مفتاح ودار لمن فتحه. والعلم باب وخزانة لمن بوبه. والعلم كسوة ورفع لمن اكتسى به. والعلم نور وضياء لمن لازمه. والعلم رحمة و حصول لمن جاوره. والعلم شهامة وشهوة لمن خدمه. والعلم دار وسكن لمن بناه. والعلم سعادة واستمرار لمن عمل به.

ولولاه ما صاغ نعيم لصاحبه، ولا خرج ثمر من شجره، ولا حب من سنبله، واستعماله نجاح، والتفكر فيه فلاح، والإستناد إليه عمل يتقرب به إلى الله. ومن فاته فاته خير الدنيا، ومن فاته لا يرجا خيره. والعقل الذي يحويه إسمه الكيس.

والعقل ميزان فيما تقدم ذكره، وفيما يأتي، و هو صابون الجوارح لمن يكتسبه، وهو ميزان التسديد في الأشياء.

واللسان هو الحرف الظاهر في العبد لربه والقلب هو المعنى الخفي في العبد لربه. وكل منهما له شاهد يصدقه ويكذبه إذا كان القلب المعنى الذي به يتقى الله، لا تجد صاحبه يلتفت إلى أحد في مقالته ولا يشتغل في شيء ما إلا بالحضرة.

وكيفية الحضرة، أن تصرف جميعك عن غير الله. بصرك لاتنظر به الا في عبره. وسمعك لاتسمع به الا ما يحصل لك عظمة ربك، وسمعك لا يأتيك بصوت الا فيه عظمة ربك. الصوت المسموع دل على مصوته، والعظم المتحرك دل على محركه. ونفسك لا تشم بها إلا مايؤدي بك الى معرفة منفسها.

واعلم أنها لاتشم الا مافيه علم بوحدانية الله. واعلم أنها إذا خرجت دلت على خروجك مما أنت فيه، وإذا دخلت دلت على دخولك في شيء لم تكن فيه.

والعاقل يحسن الخروج ويتهيئ للدخول، واعلم أنها كلما خرجت تخاطب لماذا خرجت، وهل هي محسنة في خروجها، وكلما دخلت تخاطب في دخولها، هل هي متهيئة للخروج ثانية، وتتبع شعبها يخرجنا عن المقصود.

ولسانك لاتذكر به الا ربك. ومن ذكره يحصل لك نفع الآخرة والدنيا بغير انحراف عن السبيل. وإذا صمت، أصمت على ذكر القلب إن كان ذاكرا قبل، وإلا فاجعل سكوتك على فكرة وعبرة النظر، وعظمة السمع. وإذا استقمت فاندرج لعبادة الجسم وهي الصلاة لقوله تعالى: واستعينوا بالصبر والصلاة(20) إلى آخر الآية، لأن الصلاة تزيل الكسل السابق لها.

و يدك لا تصنع بها الا ذكر الله، فاحسبه في أصابعها وإذا كنت لا تدري، افعل حتى تدري. ولا يفعل العبد بينه وبين الله أقل من قيام أصابعه وتحنيتهم بذكره إلا في قيام الصلاة وحدها. ومن عنده سبحة إذا كان في بيته يجعلها بين عينيه ويشتغل بيديه، وإذا خاطبته النفس بالسبحة يرميها ويقول يا شيطانة يدي أولي بإيقاع فضل الله ورحمته من عيدان أو شبههم، لأن مباشر الشيء يأخذ منه بقدر المباشرة.

وإذا خرج يجعل السبحة في رقبته ويخرجها مرة في الليل ومرة في النهار لأجل حقها.

وإيثار ما أنت مأمور به من عيال، أمر شرعي، واعزم أنك ممتثل لأمر الشارع الجاعل يدك لخدمة مأموراتك.

والجوارح ساويها في خدمة ربك. الرجل لاتسعى بها في شيء ما، حتى تميزه هل هو أمر واجب أو سنة، أو مندوب، أو غيرهم. ومن هنا تظهر لك وحدة الإله فيك، وتصير الأدلة والبراهين الملتمس لها من بعيد، تجدها فيك، لأن ذاتك المجتمعة من نوع واحد برهان للذات التي ليست من نوع ولا من أنواع. لأن الذات المجتمعة من نوع واحد لا يجمعها إلا من له ذات مخالفة لذات المتنوع، لأن العرض لايخلق شيئا، لأجل احتياجه لمحل يقوم فيه. وذات العلي ليست عرضا تقوم بمحل ولا جرما يستقل بموطن.

ومن هنا تعلم أن جرمك برهان ذاته لأن ذاته تستلزم جميع الذوات، وذوات المخلوقات براهين لها والبرهان يقوى بقوة المنعوت به. وأوصاف المخلوقات أدلة على أوصافه، والدليل يقوى بقوة من دل عليه. وإذا علمت أن ذاتك برهان، وجوارحك أدلة، تصير تعرف من تعبد ويعرفك بخدمتك له، لأن من خلقك لأجل الخدمة خدمته بلا معرفة صارت خدمتك عبادة وثن وعبادة الأوثان سبيلها معلوم.

ودليلها في الشاهد من جعل منكم راعيا على شيء وضيعه، حتى ذهبت عين ما كان راعيه، هل فيكم من يحسن على الذي فعل ذلك؟. والدليل الآخر من استرعى راعيا لشيء يحبه كإبله، وأحسن الراعي في رعيته حتى أتى بها بأحسن مما كانت وزادت عنده جمالا ونموا وقوة وكثرت نفعا، وصاحب المال موسر كثير الخير، هل يمنع من الراعي حقه المشروط له أصلا؟ والعاقل يدبر الأمور بالأمر، والعاقل من دان نفسه وعمل بما بعد الموت، لأن الخديم يحسن خدمته ويجتهد في صلاحها. مناجاة المعروف معروفة بالود، و خطاب المعروف بالفضل معروف بالقضاء. وهذا من باب المكارم، والكريم إذا تكرمت عليه يجود عليك بأكثر مما عملت له.

يارحيم ارزقنا خصوصية من أناب إليك، ويا مالك ملكنا أنفسنا وأعنا على التمكن منها، واحفظنا انت مما لا يليق، وياقدوس ارزقنا تقديسك مساء وصباحا، وياسلام سلمنا مما لايليق من كل شبه، ويا مؤمن أمنا أمان المخلصين وارزقنا فعل المتقين إنك سميع الدعاء آمين آمين.

1) ب: مثبت في المصنف الثاني رقم 64 وحذفت منه الحسبلة
2) سقط سطران من بداية هذا الباب
3) ب و خ: الباصر
4) ب: الكليم
5) ب وخ: لدى
6) ب و خ : كذا في الأصل
7) ب و خ: يقرئهم
8) ب و خ : معناهم
9) ب: منهم
10) سورة الحديد الآية 4
11) ب: الغيظ
12) ب و خ: سقط سطران من الأصل
13) ب: فيهم
14) ب: سقط سطر من الأصل
15) سورة نوح الآية 7
16) سورة السجدة الآية 9
17) سورة الواقعة الآية 76
18) سورة الإسراء الآية 36
19) ب و خ: كذا في الأصل
20) سورة البقرة الآية 45

الباب السابع عشر:

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.(1)

الحمد لله الذي خلق العالم بين الأعراض والأجرام.

الجرم متحيز بثبوت مدة الحياة، وبعدم حسا عن العيون والمشاهدات (2) وهما لا بقاء لهما حقيقة إلا من باب تقريب الأفهام للمتعلم، الذي لا يميز إلا إذا نعت له أن الجرم يبقى مدة الحياة، والعرض يفني بنفي وجوده وبعدم، ولكن الأمر فيهما واحد من باب الإستواء، و العرض يستوي في كل لمحة والجرم تكون فيه الزيادة والنقصان في كل لمحة، والمنقوص معدوم والزائد موجود وإذا كان الشيء ملزم بالزيادة والنقصان إسمه المنقوص في كل حين، والمنقوص معدوم والمعدوم حادث بأي وجه كان.

ألا ترى الجسم يكبر في وقت ويصغر في وقت، ما زاده وجود فيه وما نقصه عدم فيه، وتنمية الصغير وجود فيه، ودفع عرض الصغر عدم فيه. وزائد على الشيبة كذلك، يعدم عرض الشيبة، ويوجد عرض الهرم، والأمر كذلك في كل حاضر، وصار بقاؤهما محال مع حصول العلم ببقاء الجرم وعدم العرض في الشاهد، وما ذلك إلا(3) من الجهل، وقلة الإعتناء بتمييز الأشياء بعضها عن بعض لأن العرض إذا ارتحل ينزل في محله وجود أو عدم، والوجود إذا نزل بعدما كان معدوما يسمى حادثا وجد.

والمعدوم بعد ما كان موجودا إسمه حادث وجد، والعرض إذا ارتحل، ارتحل بنصيبه من الجرم، وإذا نزل ينزل بقدر ما نقص قبل، إذا كان معتدلا(4) وإذا كان شيخا يرتحل العرض بقدره من الشيبة وينزل بقدره من الهرم.

والصبي يرتحل بقدره من الصبوة، وينزل بقدره من الحالة التي تلي الصبوة مراهقا كان أو شابا، والأمر في جميع المخلوقات كذلك، والعرش والكرسي والجنة والنار والسماوات والأرض أجرامهم وأعراضهم معتدلات كلما زال منهم شيء يعوض بمثله. وأهل الأرواح بزيادة ونقصان.

وزوال العرض بائن، ونزوله في الذات مخفي، ووجه إخفائه سببه الذات التي لا تعلم لأن من أراد علمها لم يحصل له، لأجل سترها بالعرض.

والعرض ليس هو شيئ معلوم بحيز دون الجرم، والجرم ليس له حيز يعرف له دون العرض، وهما مرتبطان كارتباط الليل بالظملة، والنهار بالضياء وغير ذلك من الحوادث المرتبطات، وصار الرحيل واحد والكيفية مجهولة مع أن العرض يتنوع بتنوع(5) أوصافه والجرم ينقص أو يزيد أو يعتدل.

وأما أعراض الحياة في الأحياء(6) فمعدومة عن العيون، وباقية ببقاء أرواحهم إلى يوم البعث، تسبقهم الروح للعبد كتأخرها عنه عند الموت، ثم تنشر عليه أعراضه وتكون في وقت حتى يتداول ما يعنيها من الأمور.(7)

وعرض الموت يعدم بعدم حاله، ثم تبعث الذات، ويبقى هو في عدمه لأنه لاحق عليه ولا نعمة فيه لصاحبه.

وأما العرض المنشور فموجود قدر لمحة، ثم يطوى ويوجد أخرى كذلك، والمطوي معدوم عن العيون وباق عند ربه كروحه. صار المنشور معدوما لقلة بقائه، والمطوي موجود لأجل بقائه مع روحه في علم الله. وما ذلك إلا لتبيين العلم لمن أراد التعليم، لأن سريع الفناء يسمى بالغالب عليه، والمطوي يسمى بما حكم به عليه.

اللهم ياودود يامجيد(8) اللهم انصرنا بالنصر المرئي لمعرفتك وارزقنا سمعا يعيها وقدرة تسعى في تحصيلها وكلاما يجتهد في تحريرها، وحياة ممتدة بها، وعقلا سالما من الهفوات. اللهم يامن يرى ما نحن فيه، ارزقنا موافقة سنة نبيك واستعملنا لكتابك واحكم بيننا وبين خلقك، وارزقنا معروفا معك، ومع جميع مخلوقاتك، وعلمنا أنه زيادة خير عندك، إنك سميع الدعاء آمين آمين آمين.

---

1) مثبت في المصنف الثاني من النسخة (ب) وحذفت منه الحسبلة في النسختين ب و ع
2) ب و خ : المشهودات
3) ب: ساقطة
4) ب و ع : معتلة
5) ب وخ: بتنويع
6) ب : ساقطة
7) كذا في ب و خ
8) ب و ع : سقط سطر كامل

الباب الثامن عشر:

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل(1).

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وعلى أبيه إبراهيم ومن معه وعلى أخيه جبريل ومن معه، صلاتك وسلامك على من أحببت وقربت وأتبعها رضوان وروح مقبول.

الأوصاف وضعها المتكلمون لأجل تبين عظمة الله وليرتقى بها إلى معرفته، فمنها ماهو للمعرفة ومنها ماهو للكمال، والكمال والمعرفة واحد من باب الوحدانية، ويفترقان من باب العظمة.

الوحدانية، سلامة الواحد مما يحل على غيره أو يطلق عليه، وهي معرفة الواحد انه موجود قديم باقي مخالف غني متفرد وهذه هي الوحدانية.

والأوصاف لإثبات ما للوحدانية من سلط(2) وقهر وتدبير بإيجاد وإعدام وغير ذلك من هذا الفن الطويل.

والعظمة هي إسراع المعرفة وتبيين منن العظيم لمن عظمه والتأنس بفتوحاته(3) والنظر في تجلياته بصنائعه، وحلول المنن للواثق به، وصرف المحن عمن التجأ إليه والإستقامة لمن استند اليه، والفرج والسرور لمن تمسك بأوامره و كف عن نواهيه.

القدرة: الألف حرف الله واسمه الخاص به، واللام العلم بالإحاطة، والقاف قاف القدر، والتقدير مبين للحكم في المأثور، والدال دال على الملك، والراء راء الرأفة على الملك، والتاء تاء التأثير في كل ما سواه.

والقاف يترتب عليه(4) أن الله قدير، وقدير قدرة قائمة بذاته العلية وما سواها من الأقدار ضعيف حقيقة ، ولا لهم مدخل من باب المجاز بالمقارنة و لا بالحقيقة.

واللام من باب حروف القدرة إحاطة بالمقدور بما يمكنه من باب الإيثار واستقامته بما هو(5) مخاطب به من عدم ووجود، وعز وذل، وبما جعل عليه من أمر ونهي.

والراء راء الرأفة بكل مخلوق في الدنيا ومبين لحيز الصالحين والمسلمين في الآخرة لأجل التكليف الذي جعل على الثقلين، فكفر من كفر وارتد من ارتد وحارب من حارب، وحسد من حسد، لأجل ذلك جعل أهل المتابعة على(6) رحمة العاقبة، واشتركوا مع المخالفين في رحمة الدنيا.

والتاء هي حرف التأثير في الممكنات التي على الله وجودهم بتقدير الأزل. والتاء تأتي بما عدم حتى يكون موجودا، وتعدم موجودا حتى يكون فناء.

وحروف الجلال كل حرف لما هو له، تجد منها حرف الإسم، ومنها حرف الكمال، ومنها حرف النقص لغيره، ومنها حرف تأثير.

والتأثير تأثيرات: تأثير إعدام وتأثير إيجاد، والتاء للإيجاد، والميم للإعدام، والجيم للإجابة، للمصالح وغير ذلك مما لحروف الجلال.

وحروف الجلال حروف أسمائه وأوصافه، لايجوز صرفهم إلا لكمال له أو لنقص في غيره.

و الإرادة: الألف ألف إشارة، بداية تحقيق في المخصص، والتفهيم للعارفين أنه خاص بما يخص به من شاء بما شاء وحيث كان، واللام لام تعريف الخصوصية في كل ماسواه على قدر ماشاء به، وإثبات الإرادة له وتعيينها بما هو له دون الأوصاف لأن كل وصف بما هو له،

والراء راء الرحمة على كل مخصوص بحاله الذي هو عليه في الدنيا من جماد وحيوان، وتبيين لسبب الرحمة الأخرى، ولتعيين المرحومين، ولإثباتهم على سبيل الرحمة لتقريبهم عن غيرهم بالطاعة، والألف جار لحروف الرحمة ومبين لمن يرحمون به من معرفة الصفة. وحد في الخطاب للعارفين لينتبهوا على الأوصاف التي لاتتم الرحمة الا بها(7). ومعرفتها (8) لا تكون إلا بأول وصف. والناظر في التخصيص تسرع له معرفة تخصيص النعمة بما هي عليه. والدال تدليل كل شيء له، بطلب مايعلم به وما يصلح له، وإعانة الدلالة على المعرفة وبيان لحد المعرفة. والتاء تاء التمييز لكل شخص عن غيره، والتحدير والترفيع، والتعليم والتجهيل، فكل وصف فيه معنى الأوصاف كلها.

اللهم عرفنا أوصافك بإنجاز الخير فينا، وأعنا على ما جعلت علينا من معرفتك وأعنا عليها بالقضاء إنك سميع الدعاء. يامن يرى تحريف بعض أهل اطار(9) عن أمرك، حرفنا عن حرفتهم إلى ما تحب وترضاه لنا، وجازيهم بفعلهم، إنك على كل شيء قدير، وأعنا عليهم بما تعين به مظلوما على من ظلمه، واكفنا منهم بما شئت إنك سميع الدعاء آمين آمين آمين الحمد لله.

1) ب : سقطت الحسبلة من أصل الباب
2) ب و خ : كذا في الأصل
3) ب : بفاتحاته
4) ب : ساقطة
5) ب و ع : سقط سطر كامل
6) ب و ع : ساقطة
7) ب : بهم
8) ب : معرفتهم
9) مدينة قرب أزوكي تأسست في القرن الثامن الهجري من طرف الشماسدة وهي عاصمة آدرار الحالية.

الباب التاسع عشر:

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل. سبعين مرة .(1)

ثم انظر ألوهية ربك عليك، واستخرج منها سطوته عليك. ومن سطوته عليك، تنزهه عن الأضداد والشركاء. فإذا قلت الله أثبت بأنه لا إله غيره، وأنه واحد في تفرده، وأنك لاتقدر على طاعته إلا بإعانة منه، ولا حول لك عن معصيته إلا بعصمته.

ومن ألوهيته عليك، أنك كنت معدوما ثم أوجدك بلا تعب حاصل لك، وبلا خدمة منه لك، ثم سواك على ما أنت عليه بلا فطنة منك لإيثاره فيك، وبلا منة حصلت له في بنيانك، وبلا تعب يبقى معك لأجل إيثاره فيك بالليل والنهار، وبلا أثر صنعة تشاهد فيك كطلي الطلائين وبناء البنائين ونسج النساجين وغير ذلك من حرف المخلوقين.

والعاقل يتحرى حالة يميزها من أخرى فإذا رأى حالة التعب في نفسه يعلم أنها وصفه الذي لايحول عنه الا بتخفيف من الله عليه، لأن المخلوق أصله من ضعف وإليه يرجع. وإذا رأى حالة النشاط والقدرة على ما واجهه من الحرف يعلم أنها ربانية.

و الحالة الأولى: يتضرع فيها إلى لله أن يزيلها عنه، ويقويه على ما جعل عليه من واجب وما يتعلق به، والثانية، يسارع فيها إلى مأموراته قبل حلول حالة الضعف والكسل التي هي وصف نفسه.

والعاقل يتدبر قول الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: سارعوا إلى مغفرة(2) إلى آخر الآية، للقادر(3) المنشوط، السالم من المرض وحالة الكسل. وعدم النشاط وعدم القدرة في تدبر قوله تعالى: ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج(4) وإخوانه ليس عليهم حرج فيما لاقدرة لهم عليه في عمل أكبر من آخر أو أكثر مؤونة، كالوضوء إذا منعوا القدرة عليه، والجهاد إذا عدموا الطاقة، وكل عمل فيه أمر دون أمر ليس عليهم جناح إذا أتوا باب الرخصة وتركوا مافوقه إذا عدموا القدرة، الا الوحدانية وحدها ليس فيها رخصة ولا هون، بل تجب على المرء بلا تراخي إذا كان عقله يتبين ما بين الجبل والحصا، وعينه تنظر ما بين الباعوضة والفيل، وسمعه يميز بين صوت المعز والرعد، وذوقه يفصل بين اللبن والماء، وقدرته تقدر على أخذ لقمة أو أكبر منها.

وكيفيتها: أنك تقول: إلهي لااله غيره متنزه عن موجود معه أو قبله. و من وجوده انفتحت جميع الموجودات. وإلهي قديم، وقدمه تأخرت عنه جميع المقدومات، وأبرزهم حادثات بعدما كانوا معدومات.

وإلهي باق وببقائه تبقى الحادثات كما كانت قبل معدومات، والباقي لا يبقى معه شيء، كما أنه لم يكن معه قبل. والفاني لايبقى والباقي لا يفنى، والله على كل شيء وكيل في البداية والنهاية. والله على كل شيء حفيظ. بعد الأمر(5) لايتخلف من الخلق صغير أو كبير عن المحشر، كما أنه لم يتخلف أحد منهم عن الدنيا. الهي مخالف لكل ماسواه، وما سواه يصح بينهم التماثل، لأجل مخالفته لنا، صح التماثل بيننا والمماثل لايوجد شيئا يصلح لنفسه، فأحرى أن يؤثر في صلاح غيره، وهو لا صلاح يصل إليه من نفسه ولا من غيره، وهو على ماهو عليه من المخالفة، والمخالف لاعناد معه. والهي قائم بنفسه والغير محتاج اليه. ومن تبيين غناه كونه في الأزل ليس معه داع ولا مجيب ولا مكان ولا زمان، وهو لاحاجة يحتاج اليها من احد، ولا غرضا يحصل له في إيثاره لغيره.

ومن إثباته وإثبات غناه في قلوب الموحدين، الفناء اللاحق بالجميع، لأنه لو كان فيهم أحد يحتاج إليه لاستثناه من الفناء، ولصار قديما معه في الأزل. ومن استقرار الفناء في القلوب تحصيل الموت منكم وتجديد الحياة، وتصريفكم في نفوسكم فيما يصلح لكم وفيما يسوء بالمسيئين منكم، وتصريف حوائجكم التي لاتستقرون إلا بها، وهذا كله لايصح إلا من غني. ومن غناه إيثاره لكم في المساء والصباح في شيء واحد لأجل ماله فيكم، وهو لو شاء لجعله صباحا واحدا حتى تقوم الساعة، ولو شاء لجعله ليلا واحدا كذلك، وما ذلك منه إلا رحمة لكم، ومن إيثاره فيكم بصحة زمن طويل وهو لو عدل فيكم لأمرضكم يوما وأصحكم يوما، وما ذلك منه إلا رحمة منه لكم.

ومن غناه، نومكم ساعة، واستيقاظكم بأخرى، وهو لو شاء صرتم نائمين كما كنتم معدومين. كما أنه لو شاء لصرتم مستيقظين، كما أنكم إلى تلك الحالة ترجعون، وما ذلك إلا رحمة منه لكم، وتقوية عزائمكم(6) على ما أنتم عليه من صلاح وخسران. والهي واحد وما سواه متركب ومشبك بعضه ببعض، وهو خال من التركيب والتشبيك، وغيره من جزء أو أجزاء وهو خال من الجزء والأجزاء، وغيره من كل وبعض، وهو خال من الكل والبعض لقوله تعالى: لا إله إلا أنا فاعندني(7)، وقوله: الله لااله الا هو(8)، وقوله: قل هو الله أحد(9)...الخ وغير ذلك من براهين الوحدانية التي هي غير موجدة في سواه. والعاقل يميزها في عقله، وإن لم يكن عاقلا يلتمس لها في قوله تعالى: لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا الى قوله : ولعلا بعضهم على بعض (10) وبرهان القيام بالنفس في قوله تعالى: يا أيها الناس انتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد(11) وقوله : وما من دابة في الأرض إلى - ومستودعها،(12) وغير ذلك من براهين القيام بالنفس. واحتياج النفوس إليه، دليله موجود في عقل العاقل وهي مسألة الإحتياج، إذ لو احتاج إليه بعضها واستغنى عنه بعضها لأعدم الكل، ويصير الغنى المشهود فقرا، ويصير الفقر المشهود غنى، وهذا لايعقل لأنه من صور المحال. وبرهان المخالفة قوله تعالى: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير(13) وقوله تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون(14) وقوله: سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا(15).ودليلها أنه لو صح التماثل بينه وبين أحد منها لترتب عليه محال وهو إعدام جميعها،لأن المثل لايؤثر في المثل وغير ذلك من تمانع التماثل(16).

وبرهان البقاء قوله تعالى: كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام(17)، وقوله تعالى: الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لاريب فيه.(18) وجمع القيامة هو جمع الدنيا، وجمع الدنيا هو جمع البرزخ، محفوظ بالمواضع الثلاثة، حلف على إتيان ما أحاط به علمه من الممكنات التي علم وجودهم، ليجمعهم في الدنيا، وحلف ليجتمع أهل الأرواح منهم في البرزخ ويعدم ما شوهد من غير أهل الأرواح بعين. وقول اليقين، المعدوم حقيقة من كل جامد وحيوان لأنه لاتكليف عليه، والمعدوم حسه أهل التكليف، والمعدوم أشباحهم القابلة للعدم الثاني كما كانت(19) معدومات قبل.

وبرهان القدم قوله تعالى: هو الأول والآخر والظاهر.(20) وقوله تعالى: هو الله الخالق البارئ،(21) وغير ذلك من براهين أوليته. ودليله القديم صانع، والحادث مصنوع، والا لما تميز ما انت مميزه لأجل عدمك وعدم الكل، لأن الصانع قديم، والحادث صنعته، وغير ذلك من ضرب الأمثال لا يليق.

وبرهان وجوده قوله تعالى: هو الله الذي لااله الا هو (22) الواحد قبل ما سواه الحي قبل الحياة، المذكور قبل الذكر. وقوله تعالى: الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل (23) الى آخر الآية. والوجود كناية عن إسمه واجد، والواجد هو الذي أوجد ما سواه، وما سواه نعت للواجد من باب تقريب المعنى للجاهلين.

وأما من يعلم القرآن ومعانيه فلا يحتاج إلى تعيين العشرين(24).

1. ب : حذفت الحسبلة من بداية هذا الباب .
2. سورة آل عمران الآية 133
3. ب : الطيغة
4. سورة النور الآية 61
5. ب و خ: الذين
6. ب: أعزامهم
7. إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني سورة طه الآية 14
8. سورة البقرة الآية 255
9. سورة الإخلاص الآية 1
10. يتفق الإمام المجذوب مع غيره من المتكلمين من أهل السنة والمعتزلة الذين يعتمدون في الدليل على وحدانية الله تعالى على ما يسمى بدليل التمانع المستمد من القرآن الكريم مثل قوله تعالى : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا . سورة المؤمنون الآية 91 يقول فخر الدين الرازي : إن الشركة عيب ونقص في الشاهد ، والتوحد صفة كمال. وترى الملوك يكرهون الشركة في الملك الحقير المختصر أشد الكراهية ، وترى أنه كلما كان الملك أعظم كانت النفرة أشد، فما ظنك بملك الله عز وجل وملكوته ؟.
11. سورة فاطر الآية 15
12. سورة هود الآية 6
13. سورة الشورى الآية 11
14. سورة الصافات الآية 180
15. سورة الإسراء الآية 43
16. ب و خ : الإمتثال
17. سورة الرحمن الآية 26
18. سورة النساء الآية 87
19. ب : كانوا
20. سورة الحديد الآية 3
21. سورة الحشر الآية 24
22. سورة الحشر الآية 22
23. الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور. سورة الأنعام الآيـــة1.
24. ب و خ : ضاعت بقية هذا الباب من الأصل

الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله ومن معه، وعلى أبيه
حبيبهما جبريل ومن معه، صلاتك وسلامك على من أحببت وقربت ويتبعهما
ل.
ية التي تكون وردا مساء وصباحا فهي (2) الحمد لله الذي جعل وجود
ى، وحدوثهم دلالة تدرى، وهو الموجود بلا وجود، أوجده، وبلا حال يعلمه
رد قبل الأشياء، ومثبت الأشياء الدالة(3) عليه ومريدهم لأجل المعرفة،
ه بعضهم لبعض. ولو كان معه موجود غيره لذهب إتقان كل واحد، ولزال كل
التشويش، والإختلاف، وتردد الآراء بينهم. لأن كل أحد مع احد لايخلو إما أن
رة كالمرء وأهله وخدمه، أو صاحب مصادقة كرجل وحبيبه، أو صاحب دولة
يه يده من الناس، أو مضاد، كالعدو وعدوه. الملك يشاور الناس التي تحت(4)
من عزمه، والموجود على الحقيقة يستحيل ذلك في حقه.
شاور صديقه على ما يفعل، وإذا رأى أحدهم خيرا يدل عليه صاحبه وإذا رأي
حذره منه، وذلك محال آخر في حقه تعالى، إذ لو كان معه ناصح أو قائد
قدرما عندهم من الرأي والمشاورة أيضا. و لو كان صاحب أهل ومال يميز
من والجمال والرحمة وإنفاذ الأغراض وهذا محال، أيضا في حقه تعالى. إذ لو
ن يصنع شيئا من صنائعه لصار ذلك الأحد شريكا في الإيجاد، والشريك عليه
ت عليه من التمانع والتباين. والعدو سبيله معلوم لايعين عدوه على صنعته بل
وكلهم يفسد ما صنع الآخر وإن اتفقا تفسد الموافقة في الفعل الذي لايمكن فعله

جوهر الفرد الذي لايقبل التقسيم أو الذات المشتبكة بالعروق والمسطوحة أو
الله جوهر فرد لايصنع فيه الا واحد، وذلك الواحد هو الله سبحانه، ويخرجنا
المقصود. والصواب قولك هو الموجود والأشياء معدومة لأن المعدوم قبل،
دوث الوسط عن العدم، لأن منشأه من العدم والى العدم يرجع، وقابل الشيء
لموجود هو الله ونحن عدم وهو القديم ونحن في علمه حاصلون.
ة عن الأول وهو أسبقيته عما سواه أسبقية لا شيء يرى معها لا خيالا ولا
يسمع ولا هبوب ريح تتحرك أو حر أو برد فأحرى غيره من المخلوقات.
لهر لك أن أولويته ليس لها منازع ولم يحضر لها حاضر، ولم يشعر بها أحد
م الأول وأنا المحصول في علمه المعدوم حالا. وهو الباقي بعد فروغ الأشياء
سمائه تعالى. وجعلوه في موضع سلبية. و صوابهم أن يقولوا في الأولى هو
ة المزيل، ويكون القدم للمخلوقات في علمه لأنه أول، والمخلوقات في علمه
ي علم الله تجوز تسميته بالموجود.
بات الألوهية له تعالى، والثانية لنفي الشريك. وعين الإثبات تثبيتها بعد عدمها،
من له الكمال والعظم. وعين نفي الشريك في الثاني : إزالة عمارة مسدولة
جه، حتى لاترى فيها داع ولا مجيب، وأثبت له التثبيت بعد العدم و الخيار فينا
وأثبت الإزالة، بعد العمارة، و الأمر والحكم وتصريف القضاء، ومن هنا تعلم
أمر شيء. وإذا علمت أن ليس لك من الأمر شيء تعلم أن السفليات والعلويات

مثل وصفك. وإذا صح لك تماثلك لجميع المخلوقات تصح لك مخالفة ربك لجميعهم، وإذا حققت المخالفة صرت موحدا لأنها صفة توحدت فيها جميع الأوصاف، وهي سلبية ولكن تكون ميزانا لجميع الأوصاف. فلا تجد وصف الله الا مخالفا لوصف غيره ويقال: هو المخالف لنا ونحن يصح التماثل بيننا، وهو القائم بنفسه ونحن الفقراء إليه، والفقير لايثبت دون من يزيل فقره، ولا يسكت عمن يغنيه عن سؤال غيره. وغناه إيصال المنافع لجميعهم وهولا نفع يحصل له منهم، ولا من نفسه، وهم المنتفعون في كل حال من نفوسهم ومن غيرهم. وفقرهم إليه لازالت الضرورات أصالة لجميعنا في كل وقت وحين.

واثبات ألوهيته علينا انتظارنا نحوه، وشكوتنا اليه في كل مايهمنا ولذلك قلنا رب لأجل التربية وهي من الفقر المذكور. وقلنا الله لأجل انتظارنا نحوه، وصرنا نقول: إله، لأجل انتظارنا له، والرب لأجل التربية، ومخالف لأجل المماثلة بيننا، وباقي لأجل الإزالة، وأول لأجل التثبيت، والإثبات بعد العدم، وأول قبل إثباتنا وتحصيلنا من العدم، وأسرار إثباتنا بعد أوليته موجب لأوليته، لأن الأول هو السابق عن غيره إذا عددت عددا تبدأ بضمير الأول منه، وإذا وصفت وصفا تبدؤه بالأول ولا يكنى شيئا بالأولية إلا إذا كان معه غيره، وأما إذا لم يكن معه غيره لايسمى أولا ولا آخرا، وإنما إسمه واحد حتى يكون له ثان، فيسمى إثنان ثم حتى يكمل العدد عشرا بنسبة عدكم أنتم.

واما لفظة الأول لا تطلق في المجاز إلا على ما لايمكن وصفه بشيء فأحرى عده، ولذلك قال في كتابه العزيز : هو الأول والآخر.(6) الأول عمن سواه، ما سواه موجود من العدم وهو الأول قبل العدم وأهله، ولذلك علم خلقه أنه هو الأول قبل مشاهدتهم وهو الباقي بعدهم وبعد ما هم عليه وما هو عليهم.. وصار الأول إثبات للمتأخرين عنه، وهم المخلوقات وهم خير نعت له أنه قبلهم.

كما أن الأول هو المثبت لغيره بعد العدم لتبيين أوليته، والدليل انهم متأخرون عنه، لا أسبقية معه ولا آخرية تبقى معه، وهو الموجد للكل من العدم، ونحن الحوادث، ولذلك إذا قلت - أوجد صدقت وإذا قلت الموجود سلبت عنه، سميت الحدوث. وأما الحدوث الحاصل لكل ما سواه فهو ظهور الكائنات من العدم بعدما شوهد عدمها، والحاضر يدل على الغائب، ما تشاهدونه اليوم يدلكم على حدوث ما سبقكم من المشهودات، وما سمعتم خبره من المغيوبات. ومن قال منكم أنه لم يشاهد حدوث شيء من الكائنات فلينظر إلى نفسه ومن هو أصغر منه، هل له في نفسه حرفة أو زيادة أو نقصان أو موت أو حياة، أو مرض أو صحة، وهل له ذلك في غيره. وإذا عجز عن نفسه وغيره فليعلم أن غيره مثله في العجز عن ذلك الغيب.

ومن هنا يعلم شركته مع غيره في فن الحدوث وما يترتب عليه من نقصان وزيادة. الكبير من الخلق كالكبير من غير نوعه، الجبل الكبير كالحجر(7) الصغير، والسماوات و النجوم والقمر والشمس والأرض كبطحاء واحدة، أو فرع خارج عن طريق. والبحار كقطرة واحدة قطرت في فلاة. والعرش كالكرسي، والكرسي كالجنة والجنة كالنار، والنار كشرارة واحدة، والشرارة هي قدر ما يخرج من زند الهند، وإنما تضرب الأمثال لذوي الألباب.

وقولنا الأول، الكبير من الخلق كالكبير من غير نوعه، مثله العرش هو أكبر ما بلغ علمنا كالكبير من بني آدم والكبير من بني آدم كالكبير من الجبال ثم، ثم ...

وإذا ظهر لك التماثل في كبار الخلق بينهم يظهر لك تماثل كبير النوع مع صغيره وإذا ظهر لك تماثل النوع الواحد يظهر لك التماثل في جميع الأنواع لأنك لم تر كلفة صنعة في كبير النوع أكبر من التي (8) تصنع في صغيره.

ومن هنا تظهر لك معرفة جميع الأنواع من نوع واحد، لأن الله تبارك وتعالى لاكلفة عليه في الإيجاد، ولا تعب عليه في الخلق، ترى شخصاً كبيرا وآخر صغيرا والسبب في إيجادهما واحد.

وإذا ظهر لك تماثل الأنواع في الإيجاد والخلقة يظهر لك تماثل جميع الأنواع بنوع واحد.

ومن هنا قس نملة أو قملة على العرش، الكبير في الخلقة والإيجاد، ومن هنا تعلم أنه لايمسه لغوب ولا نصب، تعالى عن كل نقص وتقصير. ومن هنا تعلم أن صنعه لا كلفة عليه فيه ولا تعب ولا نصب، والتعب والنصب والكلفة هي حرف المخلوقات، جل ربنا أن يكون صنعه حرفا لأن الحرفة خاصة بالجارحة والجارحة عليه تعالى محال.

وإذا لم تظهر لك وحدته في تماثل المخلوقات وأنت مثلها فانظر في نفسك هل تجد فيها ما يدلك على مخالفة مثلك، وإذا وجدت فيها خيرا مخالفا لخير مثلك فاعلم أن أهل الخير انقرضوا بانقراض الدنيا. ومثلك انقرض وانقرض خير منك، وما وجدت في نفسك خاصية من الله لك، فإن حفظتها واستقمتها تؤول إلى خير الدنيا والآخرة وإن تركتها وفرطت فيها تكون سبب هلاكك في الدنيا وحتف(9) العذاب عليك في الأخرى.

وإذا وجدت فيها شرا مخالفا لشر مثلك، فاعلم أن مثلك موجود في صنفك. وانقرض من هو أشد منك شرا، وما ذلك الا شقاوة خصك الله بها لتهلك كما هلك من قبلك، فإن رجعت قبل موتك نجوت. ومن هنا تعلم أن سكناتك وحركاتك مخلوقة فيك وانت المخلوق لها. الحركات للأمر الذي عليك، والسكون لمعنى الأمر الذي عليك، وهو النظر إليه والخضوع له. ومن هذه حالته فقد وجد ربه بالفعل وعليه بمعرفة القول وهو أن تقول - الله موجود ونحن نعته، والله أول ونحن شهوده، والله مخالف، ونحن المشبهون بغيرنا. والله قائم بنفسه ونحن الفقراء لنفعه، ونفوسنا محتاجة إلى نفسه بالإيجاد والحفظ والتحصين والإتقان وغير ذلك مما تحتاج إليه نفوسنا. وأفعالنا محتاجة إلى فعله. وأرواحنا محتاجة إلى حياته. وجميع أوصافنا محتاجة إلى أوصافه، وتأخرنا محتاج إلى أولويته، و أوليته غنية عمن تأخر عنها، والمتأخر عنها محتاج إليها لأن كل من تأخر عن شيء ينسب له ومحتاج إليه. الإبن محتاج إلى الأب، والفرع محتاج إلى الأصل، والنبات محتاج إلى البذر، وغير ذلك في المتأخرين عن أصولهم.

و أوليته هي اصل الأشياء والفروع تحتاج للأصول، وانتفاؤنا محتاج لآخريته لأن المتأخر عن الأشياء صار وارثا لها، والوارث يصنع في موروثه ما يصلح به إن كان وارثا خيرا، في المخلوقات، والله هو الوارث المختار المنصف للموروثين بالعدل والفضل.

ومن هنا يظهر لك غناه على الإطلاق وفقر الغير إليه على العموم، فسمعه غني عن غيره، وبصره غني عن بصره فأحرى بصر غيره وهكذا في جميع الأوصاف، كل صفة غنية عن نفسها فأحرى عن غيرها من الأوصاف، وذاته غنية عن ذات. والأفعال بعضها غني عن بعض.

وقولنا الوصف غني عن نفسه بمعنى أن سمعه غني عن جارحة يقوم بها كسمعنا المحتاج إلى جارحة يقوم بها وهي الأذن، لأنها بعض سمعنا وهي الشطر القوي منه. وبصره غني عن جارحة يقوم بها وهي الحدقة التي هي سبب رؤيتنا نحن، هو غني عنها ونحن محتاجون إليها.

والعلم غني عن الصدر الذي هو مقامه فينا وهو تعالى غني عن الصدر.

والإرادة غنية عن القلب الذي هو سببها فينا، وهو تعالى غني عن التمييز لأن التمييز لا يكون إلا في القلب الذي هو سببه فينا، لأنه تعالى غني عن التمييز لأن التمييز هو سبب الخطأ وهو تعالى غني عن التمييز (10) وعن المحل الذي يقوم فيه.

وحياته تعالى غنية عن الجوارح التي تقوم بها وحياتنا نحن شرطها الجوارح، وكلامه تعالى غني عن لسان وفم يخرج منه، وكلامنا نحن شرطه الفم واللسان، وقدرته هو تعالى غنية عن اليد وغيرها من الجوارح التي تكون بها القدرة للمخلوقين.

وقدرته غنية عن ذات تتصل بها، وتقوم عليها أو تحتها أو فوقها، وغنية عن الجرم والأجزاء وعن الحال والمآل. ومن هنا يظهر لك غناه(11) على الإطلاق، لأن الغني يرجا منه كل ما يحتاج إليه البشر. ودليل غناه أن كل ما شاهدته حادث والحادث لا يحتاج إليه قديم، وأيضا بروز الحوادث على ما شاهدت من الإتقان، وحصول المنافع لكل منها، ذلك دليل على غناه عنها، إذ لو احتاج إلى غيره لمنع تارة، شيئا من المحاسن لنفسه و إذا صار يمنع لنفسه صار فقيرا إلى غيره، والفقير إلى غيره لا يصنع ما شوهد والله على ما نقول وكيل.

---

1) ب و ع و خ : سقط الحمد من بداية هذا الباب
2) ب : ساقطة
3) ع : مشاهدة زائدة
4) ب و خ : في
5) يقول فخر الدين الرازي : إن الشركة عيب ونقص في الشاهد ،والفردانية والتوحد صفة كمال. وترى الملوك يكرهون الشركة في الملك الحقير المختصر أشد الكراهية، وترى أنه كلما كان الملك أعظم كانت النفرة أشد . فلو أراد أحدهما استخلاص الملك لنفسه، فإن قدر عليه كان المغلوب فقيرا عاجزا، فلا يكون إلها، وإن لم يقدر عليه كان في أشد الغم والكراهية فلا يكون إلها: التفسير جزء 6 ص 64 .
6) سورة الحديد الآية 3
7) ب و ع : الحجرة
8) ب : الذي
9) ب : حت
10) ب : ساقطة
11) ب و خ : غناؤه

الباب الواحد والعشرون:

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل. (1)

واما بيان الصفات، فهو تعيين الكمال لمن اتصف بالأحوال المتقدمة وتعيين الوصف لمن اتصف به.

وتبيين القدرة، إيثارك شخصا مرئيا بين عرض و جرم، بعد أن كنت معدوما قبل. وبيان اتصال الإيثار بك استقامتك على ما أنت صانعه من خير وشر، ومتابعة الفعل منك للقصد منك.

وبيان أن ليس لك فيه إلا مقارنة مخلوقة فيك، عزمك على شيء ثم تتوانى عنه بغرض مخلوق فيك بعد عارض العزم، أو بمانع عدم قدرتك عليه ونحوه، أو لعدم حصول الصنعة في يدك قبل المباشرة. والصانع بالحقيقة إذا قصد صنعته تحصل معتدلة بلا مباشرة. ومن هنا تعلم أن صنعتك موقوفة على مباشرتك، والمباشرة عليه تعالى محال(2) ومن هنا يظهر لك نقصك، وغيرك مثلك لأجل توقيف صنعتك على تصريفه ولا تستقيم إلا بأمره وهو الصانع للأشياء، من غير حضور أحد منهم، واستقامة كل بما هو به من غير أن يشعر أحد منهم بالكيفية.

وتبيين العلم له، إتقانك لمعلوماتك إذ لو لم يتصل إتقان علمه بما تعلم لخاب عملك عن حالة النفع، ولذهب إتقانك عن تحقيق ما يرشدك.

وأما تبيين إيصال السمع بالمسموع هو حصول النفع الذي يحصل لسامعه من قبل الصوت إذ لو لم يتصل سمعه تعالى بالأصوات، لذهب معنى سمعك الذي في ثقوب أذنيك وتصير أصما(3)، والأصم(4) ... ناقص العقل وناقص الخلقة.

وهو محال عليه(5) لأجل ما ظهر لكم من تكميل الصنعة التي ترونها، وما لا ترون ناسبوه بما رأيتم، لأن من أعدم مشهودا وقال إنه لم يخلق نفى موجودا، فانظروا ماذا يلزمه من واحد والله على ما نقول وكيل.

اللهم اجعل وجودنا وجود الطالبين لجنتك، واخلق فينا الرغبة، و أعنا بالإستقامة والعزم على نوائب الحق، واكفنا ما يهمنا، وحصل لنا ما ينوبنا من كل خير، وزودنا بالتقوى في كل وجه آمين آمين آمين.

---

1) ب : حذفت الحسبلة من الأصل
2) ب : ساقطة
3) ب : صميما
4) ب : الصميم
5) ب و خ : ساقطة

الباب الثاني والعشرون:

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونع
الوكيل.(1)

وتبين البصر لمولانا جل وعز حصول المنافع بحدقاتكم، وتمييزكم للمرأى دون غير
وحصول راحة النظر وغير ذلك من لذائذ النظر.

وسبب اتصال ذلك، اتصال بصره بالمبصرات، وإلا لعدم كل بصر من صاحبه إعداد
أصلا. وان قلتم إن البصر المشهود معدوم، ماذا يلزم في قول من قال ذلك، وتفسير اللزوم عل
العارفين.

وأما تبيين الحياة له، استمرار الأرواح في أماكنها لوقت معلوم، وتنعم المحيون بحياتهم
وتكميل الخلقة لجميعهم، وتنعمهم مدة الحياة، وانتظارهم لآجالهم من غيرهم، والا لذهبت كل حي
بعين صاحبها وعدم ماشوهد، من الكائنات ومن أذهب شهود الكائنات فانظروا في قوله وفي
يترتب عليه.

واما تبيين الكلام له، وقولنا التبيين إيصال لقولكم الذي قلتم إن الوحدانية لاتصح(2) إلا
نسب النقص لمن نسب له النقص، والتبيين هنا بمنزلة الوجوب لله ويجب عليك أنت، أن تخاط
نفسك بكيفية استمرار النطق والتصريح في مسالكه وتنعم الناطقين والمصرحين بقولهم وتمي
الكلام من غيره وضبط(3) الكلام وتحسينه وتصريفه بالحال الذي يريد تصريفه اليه من خ
وشر وإخفاء وإظهار، وإلا لعدم كل نطق ومسلكه، ومن أعدم المسالك ونطقها المرأي والمسمو
ماذا يلزم في قوله.

واعتبروا في من نفي الكون، وقال فيه ما قال بعض الناس ما ذا يلزم في قوله في ح
المكون، واعتبروا يرحمكم الله فيما يرضى عنكم مولاكم وهو أن تنسبوا النقص لنفوسكم من غ
إعدام مشهود ومن غير إثبات ممكن لأجل تخير مولاكم في الإثبات والإعدام.

واضربوا المثل في نفوسكم من باب المكان لا من باب ذهاب العين، إلا إذا شاء
ذهابها، وعينوا له الكمال الذي هو له تعالى عما لايليق به. وكل جمال في نفوسكم ككلا
ونظركم وسمعكم وتصريفكم وغير ذلك من جمالاته عليكم، فانسبوه له كمالا في حقه لأن المنع
عليه ينسب النعمة لمن أتت منه.

وإذا رأيتم نقصا في نفوسكم فعلموها أن ذلك وصفها واطلبوا من الله تكميلات نقصكم ع
ما أراد بكم ربكم واستعينوا بالله في كل مسلك وقولوا: اللهم ياحي ياقيوم ارزقنا حياة طيبة
الشبهات، وسالمة من عيب المخلوقات، وأعنا فيما قبلها بخير الإعانة وعافنا قبلها وبعدها في
مياتي إنك سميع الدعوات آمين آمين آمين.

---

1) ب : سقطت الحسبلة
2) ب : ساقطة
3) ب : إضباط

الباب الثالث والعشرون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.(1)

الحمد لله الذي جعل الأوصاف الجميلة سببا لكل خير ونعتا لكل هدي ومبيّنات للبغاة الظالمين ومبينات ماللعاصين ومبينات خصوصية الصالحين.

ومنها أن الله خلق الإنسان ويعلم ماتوسوس به نفسه، وخلق للنفس قوام الإستقامة، وخلق لها مسلكا تسلكه وجعل مابين النفس والنفس مصرفا معتدلا بين المصرف والمخرج حين كمون النفس عن الخروج.

والمصرف هو الهواء الذي تأتى منه، وجعل لها قدرا وجعل للكمون قدرا وللقدر هواء، أن الهواء الأول تأتي منه ويصرفها(2) الأنف إلى الهواء الأعلى فإذا زاد الكمون على القدر الذي جعل لها يستلذ المرء(3) منها، وإذا عجلت النفس عن(4) القدر الذي جعل لها يتأذى صاحبها.

وهي ريح خلقها ربنا تبارك وتعالى بين البرد والحر(5) وجعلها مناسبة كأنها بحر والجسد سفينة، والروح قوام ما بين البحر والسفينة. البحر يحمل السفينة والروح سبب في تنقل البحر والسفينة.

وقولنا البحر بحر الريح والسفينة شجرة يداولها بحر الريح والروح طير يحمل الشجرة التي هي كناية عن الجسد الى المحل الذي كتب عليها وتستكمل حوائجها وعدد لحظاتها.

وهي ريح مخلوقة فيها الحياة، والحياة معنى مخلوق في النفس، والله اعلم بحقيقتها، ونحن نقول إن كانت مؤمنة تشبه قطرة من نور أبيض فإذا دخلت الجسد تزرع في جميعه فيكون يرى بأمر ربه سبحانه، ويسمع بأمر ربه سبحانه وتعالى، عن غيره. وتحصل له جميع منافع الحياة. والمنافع مخلوقة مأثورة في أماكنها. وسبب استقامتها في أماكنها تعلق الأوصاف الجليلة بالممكن على أي وجه كان، من روح وجسم(6)، أو جامد، من كل ماحتوت عليه إرادة المكون، متعلقات فيه الأوصاف الجميلة بإيثار الإعدام والإيجاد والزيادة، والنقصان، والرفع، والخفض، والبسط، والقبض، في اسرع من لحظة، دفعة على الدوام في الأزل إلى ما لا يزال. والأوصاف تكون للممكنات بين العدم والوجود والزيادة والنقصان في الدنيا وتصريفه فينا وفي غيرنا من ذوات الأرواح بين الزيادة والنقصان حتى تذهب عيننا بالعدم اللاحق. والجامدات كذلك، ولكن منهم من لم تشعر بنقصه كالجبال وذات الأرض وشبهها. ولكن الزيادة والنقصان صفة نفسية لكل مخلوق إلا الثمانية المستثناة(7) ليس فيها نقصان. والمتعلق(8) بالآخرة(9) للصالحين بالزيادة أبدا والكافرين والمنافقين بالنقصان، والعذاب أبدا بلا إذهاب عين، وبلا نقل من عذاب إلى عذاب دونه بل ينقلوا من أول الساعة التي دخلوا فيها من عذاب إلى عذاب أعظم أبدا. ولا تخفف عنهم طرفة عين. وإيثارهم فيها وتعلقهم تعلق تنجيز (10) وتعلق تحكيم بالمصالح وغيرها مما يظن العبد أنه غير مصلحة بل هو(11) مصلحة لأن العبد لا يخلو من وجهين(12) كافر أو منافق يؤثر فيهم بمصالح الغير لأجل الإرث فيما هو لله من الرحمة، ينقلونها من الدنيا الى الآخرة حتى يرى كل أحد منزله فيقال للكافر لك مالفلان وفلان من العذاب على مالك في القسمة في الأزل، ونقصه عنك كذا، لأجل انقراض أيامك قبل أستيفاء العمر المعهود، صار ذلك التخفيف، لم يجد صاحبه راحة لأجل مصلحة لصاحبه. والمسلمون حالهم ظاهر والله على ما نقول وكيل.

اللهم احفظنا في جهاتنا الستة بما حفظت الصالحين قبلنا، واحفظنا من الخناسين، وعافنا من الوسواسين، وأعنا بآلة تذودهم عنا أجمعين، واشغلنا بمالك علينا، وزودنا فيه الإخلاص يا ودود يا مجيد، ياعلي أعنا إعانة من ارتضيته، وأكرمنا كرامة من قربته، واجعل ذلك مالنا

عندك، و أعنا على مواساة خلقك بما يرضيك عنا وعافنا مما هم عليه من ظلم، انك سميع الدع
آمين آمين آمين.

1) ب : حذفت الحسبلة من الأصل
2) ب و خ : إلى زائدة
3) ب : ساقطة
4) ب : على
5) ب و خ : البردي و الحري
6) ب : ولا الجسم زائدة
7) ب : المستثنية
8) ب : في زائدة
9) ب : في زائدة
10) ب : كذا في الأصل
11) ب : ساقطة
12) ب : أربعة أوجه

الباب الرابع والعشرون:

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.(1)

...والعلم: الواو، واو العطف، وبيان لعظمة المعطوف عليه، والألف، ألف لوجوب العلم لمن هو له وهو الله، واللام: لام الوقف على أن العلم لله، وتبين حد العلم واتساع علمه وإحاطته بكل شيء، والعين عين العفو عما يعلم وستره على فاعله واتقاؤه لما يكره عليه، وإمهاله له على ما هو عليه و إثباته للعقل في جوف كافر فلا يسلبه، حلما منه. أو اللام لام العلم المحيط، والميم ميم العلم وعين الرحمة وميم الملك وبيان حد المملوكين.

الميم فيه ثلاثة ألفاظ، أولهم أنه حد حروف العلم، والثاني أنه ميم الملك، والثالث أنه الميم المحتوي على كل جوهر فرد، فأحرى ماهو اكبر منه، محتوي على الصغير والكبير والعرض والجرم. ولا تتحرك ذرة ولا تسكن أخرى ولا ينطق قول ولا يصنع فعل، إلا وهو صانعه ومحيط بالفعل وفاعله وقصده قبل في الأزل.

والعلم وصف الله المتقن به صنعه والذي (2) سخر به خيره لخلقه، ومنصف بعلمه في كل ماسواه، ومثبت ما لكل أحد بعلمه، ومزيل لكل أحد أراد الله إزالته عما هو عليه.

والسمع: الواو عطف وبيان عظمة السمع، و الألف وصل اللام وبيان لبداية السمع. واللام لام السمع وتبيين ماهية السمع المبين حده، ومصرفه حد الميم، والميم ميم الإحاطة بالأصوات، والعين حد السمع ومعرفة المسموعين ولبيان خطابهم لما يحتاجون إليه.

وأما بيان الحروف في حق الأوصاف هو من باب الكمال لله والنقص في غيره.

والسميع: السين سامع لكل نطف وتجمجم أو تغمغم، أو ما يتحرك كالعرق واللحم المرتعد. والعين إعانة المسموع على السمع حتى يصير يعي ما سمع، ويحصل علم المسموع لمن سمعه.

والحياة: وصف يكون(3) الموصوف بها يوصف بالأوصاف المؤثرات، أما أن تؤثر إيثار الأصل وصنع الجميل وهذا هو الله.

اللهم قنا شر نفوسنا واحمنا بجاه أهل الجاه من خلقك، وفرج عنا تفريجا مستمرا وارزقنا حسن المستقر واجعلنا في نفس كل مؤمن أمرا منتظرا إنك أنت المالك المقتدر وعافينا من كل ما نخاف(4) دنيا و أخرا انك قدير.

يا من يرى كل مخلوق بما عليه، اجعل رؤيتك لنا خيرا، وسمعك خيرا فينا، وبصرك كذلك، وعلمك كذلك، وأثر فينا بإيثار جميل، واجعله صلاحا لنا اليوم. واشغلنا بما يهمنا واكفنا ما يهمنا انك سميع الدعاء آمين آمين آمين.

---

1) ب : سقط الحمد إلى آخره
2) ب : الإجابة
3) ب : ساقطة
4) خ : بها زائدة

وإثبات إيصاله ببصرك، استقامة بصرك بمراشدك، وإعانة رؤيتك على ما تراه. ومن هنا يحصل لك تعلق البصر بالمبصورات، واثبات البصر ببصير.

والحياة بحياة قائمة بذاته العلية وهي وصف جامع للأوصاف وشرط في الكون والمكون. ومتكلم بكلام قائم بذاته العلية، وبلا حرف وبلا صوت وهو المحل لجميع المنطوق لأجل اتصاله بالمنطوقات.

اللهم اجمعنا وأحبتنا مع الملأ الأعلى، وأعنا على أفعال الخيرات، والمسارعات إلى الحسنات، والعفو عن الزلات، إنك سميع الدعاء، آمين آمين آمين.

---

1) ب : حذفت الحسبلة من الأصل
2) ب : يزيل
3) ب : غيره
4) ب : الذي
5) ب : كذا
6) ب : المنطوق

وإثبات إيصاله ببصرك، استقامة بصرك بمراشدك، وإعانة رؤيتك على ما تراه. ومن هنا يحصل لك تعلق البصر بالمبصورات، واثبات البصر ببصير.

والحياة بحياة قائمة بذاته العلية وهي وصف جامع للأوصاف وشرط في الكون والمكون. ومتكلم بكلام قائم بذاته العلية، وبلا حرف وبلا صوت وهو المحل لجميع المنطوق لأجل اتصاله بالمنطوقات.

اللهم اجمعنا وأحبتنا مع الملأ الأعلى، وأعنا على أفعال الخيرات، والمسارعات إلى الحسنات، والعفو عن الزلات، إنك سميع الدعاء، آمين آمين آمين.

---

1) ب : حذفت الحسبلة من الأصل
2) ب : يزيل
3) ب : غيره
4) ب : الذي
5) ب : كذا
6) ب : المنطوق

الباب السادس والعشرون:

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.(1)

واما معنى الألوهية، أن الإله غناه على الإطلاق، وحكمه على القدر، وقضاؤه على الإنفاذ، والتقدير على التصريف. والألوهية إثبات الملك لمالكه وعجز غيره عن ذلك الوصف، وأنه موجود، وتعريف وجوده عين حدوثك.

وتعريف قدمه ما أنت قابله من العدم الأول، وما بعده من الحلول، وبيان بقائه صرفك عما أنت عليه من وجود إلى عدم و ضعف بعد قوة وشباب بعد صبى، وشيخوخة بعد شباب، وغير ذلك من تبيين البقاء.

وتعريف مخالفته، اعتدالك في مشابهة غيرك وتمثيلك لكل ما سواه، الجامد لك فيه قافية، حين سكونك وموتك، والمتحرك لك فيه قافية حين حياتك.

وتعريف الغنى له هو إيجاده الأشياء، وعدم استقامتهم دونه، فلما ظهر لك وجود الأشياء منه، وعدم استقامتهم دونه في كل شيء، يظهر لك ملكه وانه محتاجة إليه النفس ومسلكها، والروح ومنافعها، والجسد وقوامه، والجماد وجموده، والمرتفع وارتفاعه، والعلي وعلوه، والسفلي و تسفيله، والأرض وبسطها، افتقارا اليه بالجزئي والكلي والجهات والسكون والحركة وما سوى ذلك مما تقوم به البنية.

ومن هنا تصير كل حركة وسكون تدلك على أنك مملوك بيد مالك يصرفك كيف شاء، فيدبر لك على مايصلح لك حيث شاء، ويصرف عنك ماشاء، ويدبر لك تدبير نفسك الذي تظن(2) أنك أنت المدبر لفعل مايرشدك، وأنه قادر على كل ما تجول فيه نفسك من مصلحة، ولا يؤدي ذلك إلى النقص في كماله. وكماله من غير مؤثر أثر له لأن الإيثار في المملوك، وأما المالك فلا يؤثر في نفسه ولا يؤثر فيه غيره، وإيثار الصنعة له وحده ومحال أن يؤثر فيها غيره تعالى، ولو طلب الغير الإيثار لا يجده ويهلك لأجل تجرئه على أمر خاص بمولاه. وإذا أراد الله ضلالة المرء يؤثر في نفس إبليس كيفية الضلالة، ويؤثر في نفس المضلل المتابعة لكيد إبليس المخلوق في نفسه.

وإذا ميزت غناه على الإطلاق، وفقر الغير إليه على العموم، فتنتج لك وحدانية بسبب غناه على الإطلاق، وهو غناه عن الإيثار في نفسه وعن إيصال الحاجات إليه بغرض يحصل، تكون منه الزيادة له. ومتنزه عن إثبات النهي الذي جعل على الغير إذا لم ينتهوا من حصول إثبات النهي، من حصول مضرة تحصل له، ويكون بها النقصان واحتياج الغير اليه.

وهذا معنى الوجود وما بعده من صفات الأحوال والوحدانية هي إثبات عين الألوهية وتعيين الإله عما سواه من المشهودات والمغيبات بالصمد الفرد والمخالف(3) والغني(4) والباقي(5) والقديم(6) والوجود(7) هو عين الموصوف بالأحوال المذكورة على القول الذي قال إنه عين الماهية، والقول الذي قال إن عين الذات هو الله.

والوجود وصف زائد على الأوصاف المعدودة تقول الله موجود، وعلى ذلك يتبين لك أن الوجود حال الغائب الذي لم تظهر لك معرفته وصرت تسأل عنه غيرك وقال لك الغير: الله، فقلت له ما حقيقة الله؟ قال : وصف لنا نفسه بأنه هو الله، واستخرجنا وصف الوجود من الله، ولهذا صار الله عين الإسم، والإسم تعريف عين المسمى الذي يسمى به، ولا يسمى به غيره، ويصير الوجود بمنزلة القديم، وغيره من السلبيات والله على ما نقول وكيل.

الله يا رحمن ارحمنا بما رحمت به من(8) واعف عنا بما عفوت به عمن طلب منك العفو، واجتهدنا في تحصيله وعجل علينا الفرج فيما أهمنا وعافنا في دنيانا وأكرمنا في آخرتنا،

وارزقنا البسط في دنيانا واجعلنا من أهل ودك و ألحقنا بالمودودين منهم، ويا مجيد اجعلنا من الممجدين(9) لك، وتقبل منا تمجيدك وأجرنا عليه إنك وهاب كريم، واجعلنا من الطالبين له منك، واعنا بوابل من سمائك قائده جبريل وميكائيل عليهما السلام آمين آمين آمين.

1) ب : حذفت الحسبلة من الأصل
2) ب و خ : أنت زائدة
3) ب : المخالفي
4) ب : الغنائي
5) ب : البقائي
6) ب : القدمي
7) ب : الوجودي
8) ب : سقط سطران من الأصل
9) ب : الممجدينك

الباب السابع والعشرون:

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.(1)

الحمد لله الذي جعل المريد سفينة، والشيخ بحرها، من ركب السفينة نجا ومن أراد إتيان ما في البحر من غير السفينة غرق ومن تعمد الغرق عرفتم سبيله، فمصيره إلى النار.

وأما قول الله اعبدوا ربكم:

العبادة أربعة أنواع منها عبادة الأجر والتجارة، ومنها عبادة أمن وسلامة، ومنها عبادة استسلام ومعرفة، ومنها عبادة تقرب ومنها ينتج القرب.

والأولى يكون بها الربح كتاجر يقلب ماله يطلب نتاج الكثرة أن(2) تحصل له، ولكن بلا معرفة تبقى معه اليوم ولا غدا. ودليل عدم المعرفة قوله تعالى: ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا(3). ودليل حصول الربح له قوله تعالى: إني لا أضيع عمل عامل منكم(4) وهو الجاهل المكثر في الطاعة طمعا في الجنة، والجنة تحصل له ولكن مع عدم المعرفة. والثاني خوفا من النار وأحرز نفسه مما يؤدي إلى النار وأستعمل العبودية على هذا الوصف، فحصل له الأمن، والسلامة تحصل له ولكن يوصف بوصف صاحبه الذي قبله، والثاني له فضل عليه لأجل الخوف من الله ومن عذابه.

والثالث هو العابد بوصف العبودية وهو جمع الخوف والرجاء والعمل، ويؤدي ماعليه لأجل الإستقامة بما أمر الله به، لا طمع جنة ولا خوف نار فهذا أمره الى الله وهو كافيه وسيرضيه من فضله الكثير إنشاء الله. والرابع هو المطبوع على الشوق إلى الله من غير طمع في شيء ولا خوف من شيء، ولا مؤد لشيء من باب الخطاب، مع أن الخطاب هو مداره، يمتثل الأعمال لأجل طلب المحبة، وطلب القرب من الله، وهذا أفضل خلق الله دنيا وأخرى. وعلامته انه لا يصمت عن ذكر الله ظاهرا أو باطنا، فإذا خلا عن الذكر في إحدى حالات الفكر، لا يخلو عن الأخرى والله على ما نقول وكيل.

والعبادة أجزاء، وكل جزء لا يكفي عن غيره. والجزء الأول: أن تعبد، والثاني أن تقر، وهو أول واجب، والثالث أن تعمل، والرابع أن تتيقن، والخامس أن تخلص لله، والسادس أن تفرق بين الأشياء من الحلال والحرام، والسابع أن تسلم أمرك لله، والثامن أن تواسيه بكل ماله عليك، والتاسع أن تتمسك بما عندك تمسك(5) تعاطف واستخراج ما عندك إلى محل النفع.

والعاشر: أن تعقد في نفسك انك رحمة لغيرك من الخلق، وغيره من هذا البحر الذي لا ساحل له.

وهذا كله يكفي عنه الخوف والمعرفة واليقين والثقة بما عند الله. وتفسير ربكم: هو من التربية صغيرا حتى يكبر، وتصريف جامد إلى حي، وحي إلى جامد، وتقليب الحالات في كل مخلوق على ما شاء، يصغر كبيرا وينمي صغيرا، إلى غير هذه الحالات التي يقلب هذا الرب من ربوبيته من عز وذل، وموت وحياة، وتربية وغير ذلك.

وتفسير الذي خلقكم: هو اختراع ممكن لم يسبق له مثل إلا في علم خالقه، و أخرجه من عدم سابق، والخلقة هي إيجاد شيء بوصف معلوم، ويبرز للمشهودات، ويصير مثلهم.

وكل مارأيت من المخلوقات فاعلم انه كان صغيرا مثلك ورباه خالقه. واعزم على ذلك الفن وثق بهذه المسألة، وعين التربية لربك، واستعن بها في كل ما يلقاك من عوارض الدهر، وسمي نفسك بأنك مربى بقولك ربي، وكررها وكلما رأيت صغيرا أو كبيرا قل - سبحان من رباك وأنت قبل كن، لم تكن، ثم كنت صغيرا ثم رباك حتى صرت على ما أنت عليه. وقل بسم الله على ما صنع ربي في نفسي وفي غيري، واقصد المخلوق الذي أنت ناظر إليه وقل بسم الله

على كل مخلوق إلا المؤذين، واختم عليهم عنا وعافنا منهم، واختم ذكرك بالصلاة والسلام على نبينا عليه السلام والله على مانقول وكيل.

اللهم اهدنا هداية أوليائك، وعاملنا بما عاملت به أصفياءك وأخرجنا من سبيل أنفسنا إلى سبيلك وأعنا عليه آمين آمين آمين.

---

1) ب : حذفت الحسبلة من الأصل وأثبتت في النسخة ع.
2) ب : لأن
3) سورة الإسراء الآية 72
4) سورة آل عمران الآية 195
5) ب : تعطف

الباب الثامن والعشرون:

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.(1)

قوله تعالى والذين من قبلكم. ومعنى الذين من قبلكم هو إضافة للخلقة أو إضافة إلى العبودية: اعبدوا ربكم كما عبده من قبلكم.

فن العبودية مضى تفسيره، والخلقة هي تحريك الممكن من عدم سابق، إلى مشهود وملاقات المقدور، وتصريف الأكوان من حال العدم إلى كون الوجود، ومن كون الوجود إلى حال العدم، وهذا تعريف الممكنات قبل وبعد.

الذين : جمع الخلائق إذا قيس بالخلقة، وإذا قيس بالعبودية، المسلمون ورسلهم والأنبياء، الذين قبل زمان محمد عليه السلام.

من قبلكم من قبل الساعة (2) التي وجدوا فيها، في ذلك المكان الذي نزلت عليه الآية والله على ما نقول وكيل.

وتفسير التقوى تقدم تفسيرها وهي هنا من الاتقاء، وهي السلامة من عذاب الله أو مكره الدنيوي غير الموت، وإن شئت قلت اتقوا لعلكم تتمسكون بما آتيناكم، من أجل التمسك تسلموا من وعيده.

وإن شئت صرفتها إلى من يتقي وهو المؤمن، وإن شئت قلت لا يجوز للمؤمن إلا التقوى، فان لم يتق لايتقى بما يخافه، وإن شئت قلت التقوى لكي ترزقون الإعانة من الله وإن شئت، قلت التوفيق بيد الله على التقوى.

والتقوى لها شطران: منها شطر الخوف، ومنها شطر اليقين بما عند الله من كل ما ذكر ومنها العبودية، ومنها الإستيطان بالله وهو التوكل، واجعله أمدك وهو الإستواء في طاعتك في الخلاء ووسط الناس.

ومنه تدبر الأمر الذي ينتج لك منه التقوى أو الذي ينتج منه(3) السخط.

ومنه الانحراف عن كل باطل، ومنه التمسك بالخير حيث كان، وغير ذلك مما يقبل صرفه وهو أصل في كل مدار خير، وعدمه هو أصل في كل شر. والتقوى هو(4) أصل في محبة الله، وهو اصل في المتابعة، ومن لايخاف لايتقى، ومن اتقى خاف، ومن خاف عمل، ومن عمل نجا ومن نجا سلم، ومن سلم اتقي مما يكره في الدنيا والأخرى.

والأصل في الأشياء الخوف والمحبة والتبريج وهو ما بين الخوف والمحبة، الخوف يجلب السلامة، ويجلب حسن الطبيعة، ويجلب الرضى باليسير ويجلب التدبير في الأمور وغير ذلك مما يترتب على الخوف.

اللهم اهدنا إلى أعمال الخوف ولا تبتلنا بحصوله، واجعله عرضا في نفوسها مادمنا أحياء، فإذا متنا فاصرفه عنا إنك سميع الدعاء آمين آمين آمين.

---

1) ب : حذفت الحسبلة وأثبتت في النسخة ع
2) ب : الذي
3) ب : منها
4) ب : هي

الباب التاسع والعشرون:

الحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم و هو حسبنا ونعم الوكيل(1)

الحمد لله الذي جعل العلم نورا يستضاء به.

وأما تفسير الذي، هي نعت للرب، الذي خلقكم، وإن شئت أعطفته على العباد أي اعبدوا الذي جعل لكم الأرض فراشا، وإن شئت قلت الذي خلقكم وخلق من قبلكم، عطف.

وتفسير الفراش هو من باب المعنى - أي جعل من باب الفاعل وهو من صنع الفعل، كأنك سألت عن كيفية الرب وقال فقيه ينبهك: هو الذي صنعك وصنع لك فراشا، وقال سائل وما كيفية الفراش قال له الفقيه: هو إنشاء المعتدل للعين في المدد، والمستوى للرجل في المشي، والمعتدل للجسم في الإضطجاع والجلوس، وقرة للعين بالإزدهاء، ومطيبة للنفوس بالحرث والأنعام والجنانات، واستناد الظهر بالأهل والولدان والجيران، ومحل تربية الصغار حتى يكونوا كبارا وموضع حصول الشهوات التي يترتب عليها ماهو أفضل منها في الدنيا وهي الذرية الصالحة.

وتسمى فراشا لأن الفراش منه مسبول ومرفوع، المسبول منه هو التراب وشبهها من الأسرة التي لاتوضع الا عليها كالحصير وشبهه المصنوع من عود أو حشيش وتجعله فوقك لأجل الضرورة إذا لم تجد ما سواه من ملبوس، أو تضعه عليك لتزيل به عنك ما حصل لك من الضرورات. ومن لم يجد غير المسبول كالحصير لستر العورة أو برد أو غير ذلك صارت حفرة من التراب أولى من غيرها من الملبوسات، فيحفر حفرة يغطي بها جسده إلا رأسه، يزول ما به من ضرر الجسم بإذن الله لأنها مأمونة على الإنسان ولذلك سماها فراشا والفراش منه مرفوع والمرفوع هو الأثاث المرفوع كاللبوس المصنوع من جلود الأنعام وغيرها من المواشي وما يصنع من أوبارها وما سوى ذلك من كتان، وقطن وغير ذلك مما ينسب لفراش البيت المسقف وبيت الأحجار كالكهف في الجبل وكالكواهي(2) في طوايا الأرض.

المرفوع مرفوع لأجل الغرض الذي في رفعه لأجل الشمس أو الريح أو البرد ولكن يسمى فراشا إذا جعل له.

وأما قولنا المرفوع هو البيت، ومَا حوى المسبول هو الأرض و كوامنها يكون فيه مرفوعا إن احتجت إليه.

وان شئت قلت الذي خلق لكم الأرض، وان شئت قلت هو الذي وهب لكم الأرض، وإن شئت قلت الذي قدركم وقدر لكم ماتسكنون فيه، وإن شئت قلت الذي أمدكم في الأرض، وإن شئت قلت الذي وضع لكم فراشا على قدر طاقتكم وأمدكم فيه بالمتاع.

والفراش لتبيين الإستقامة هو الهدي الى الرب، لأن من تفرش فيها ينتج له من تفرشها وجود من أفرشها لغيره، والفراش في الظاهر إذا وجدته مسبولا يدلك على سابله. والدليل يدلك على مدلوله. والفراش دليل يدل على فاعله، والتفكر تستخرج منه معرفة ربك أنه موجود، وإذا علمت أنه موجود ينتج لك حال الموجود من قدم، وبقاء، ومخالفة، وغنى ووحدانية، ومنها *استخراج الأوصاف من الأحوال*.

والسماء بناء: البناء ضد الفراش وهو مأخوذ من البنية، وهو ما يرفع فوقك وانت تحته، والسماء بناء لأجل ما فيه لنا من النفع وهو سبب الإستقامة في الأرض، وسبب النجاح فيما نجح، والسماء بناء لأجل العبرة لمن يعتبر، والنظر لمن له نظر، والسماء هو سقف مرفوع في الهواء على قدر الأرض، والأرض عرضها خمسمائة سنة على قدر سير الجاد بالسير، يمشي إلى الليل ثم يبيت ثم يبكر، حتى تمضي خمسمائة فيقدم إلى الحاجبين وهما حاجز الأرض وحاجز الأرض متصل بحاجز السماء على الحالة التي هو اعلم بها.

الباب الثلاثون

الحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل(1)

الفراش هو البسط، والبناء هو الرفع، والفراش هو المستوي، والبناء هو العلو والفراش هو الإستقرار والعلو هو الإسترفاع.

وجعل الرفع لعل إبن آدم يسعى فيما يرفعه عند الله غدا. والفراش لأجل الفطنة والتنبه على ما في الفراش من لذائذ الدنيا وزهوها واستقراره فيها كيف شاء لعله يجتهد في سبب الفراش الذي هو الفراش والنعيم.

والفراش معناه امتداد الأرض وتسبيلها لساكنها وتسخير نعمها لمن طلبها على أي وجه كان، ولها موارد كثيرة ولكن ذكرها كثير في القرآن. وإذا فصل مالها من الأسماء والتعيين(2) هنا، يكون وضع الشيء في غير محله. والبناء كذلك، وينال هنا ما يكفي قي قوله تعالى: وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم(3) والنازل هو نزول فوقي على تحتي، وإن شئت قلت هو نزول المطر على الأرض، وإن شئت قلت هو نزول السحاب وان شئت قلت قلوب الخلق مرضت بقلة اليقين بالرزق ودواء القلوب بنزول المطر، وإن شئت قلت انزل المكنى بالماء، وهو القرآن، المنزل الذي أخرج به الله الكفر من قلوب الكافرين قبل.

الثمرات جمع ثمرة وهي عطف على ثمرات الدنيا الكثيرة. وإن شئت أعطفته على أن الماء أي القرآن الخارج به(4) الكفر، وبه عطف على الماء، وعلى هذا تكون (5)الثمرات هي الإيمان المتضوع في قلوب أهله والمرزوقين به قبل في علم الله، فأخرج به أي الماء ما كان مخفيا عن المنزل(6) عليهم. وعلى هذا التفسير، المخرج المخفي هم الثمرات، الرزق نعت للثمرات، وإن شئت قلت الماء المنزل رزق لكم والثمرات رزق آخر، وإن شئت أعطف بعضهم على بعض، الماء ينزل جملة واحدة، ونوعا واحدا، وطعما واحدا، فإذا وقع في الأرض تنوع بتنوع الثمرات أبيض وأسود وأخضر وأحمر وكل نوع يسقيه الله بمثله. الأبيض يسقى بماء الأبيض، والأسود يسقى بماء الأسود، ثم كذلك الأحمر بالأحمر والأصفر بالأصفر، والأخضر بالأخضر، وهكذا. كما أن النطفة تنزل من أصلاب الرجال والترائب في النساء واحدة فإذا وقعت بأرضهن وهي الأرحام تنوعت.

والعاقل يتمثل في هذا الميزان، وإن قال من أين التماثل قل له: من ينقل النطفة دما وهي بيضاء ثم يجعلها لحما، ثم يصرف اللحم عظاما ثم يكسي العظام لحما، ثم يجري فيه ماله من صنع من عصب وعروق، ثم يكسي اللحم بالجلد ثم يجعل في الجلد شعرا، ثم ينقله إلى أصل الماء الذي هو منه قهرا أو لو شاء لجعله على حالة البياض أو السواد ولكن لايكون الا ما أراد وهو تقليب الأشياء إلى أصلها، والأسود يخرجه اسودا أو فيه معنى السواد، والأبيض يرجع الى البياض أو فيه معناه، وكذلك جميع الخلقة، ومن نظر في هذا المثل يخاف من تقلب الشقاء.

ولأن كل موجود يدور به من الأعداء القانطين من رحمة الله، يقنطونه من رحمة الله، ويعدونه بالعجز والكسل، ويسلطونه على الأقوال التي بها قبحه والأفعال التي بها قطعه.

والحاصل أن المذكور كالمطر، يقع على إنسان يظن أنه مستقيم، والحفظ من ذلك توبة من كل ذنب في كل يوم مائة مرة مع الكف عن النطق إلا بذكر الله وما يعلم به دينه من علم أوامر في هم دنياه التي بها قوام الدين، أو من لك عليه أمر من ولد أو مملوك أو خديم مؤجر أو تسابل المنافع بينكم.

الله انفعنا بحبك وعاملنا بحلمك، وخوفنا منك بلا أذى يحصل لنا منك، وأغننا بك غنى يطلبه كل غني، وعافنا عافية يطلبها كل معافى، وأعنا عونك لمن أخترت. وزودنا زاد المتقين

وعرفنا معرفة العارفين، واكفنا كفاية المستقيمين، إنك بنا رحيم، يارحيم عجل علي خصوصية تكف بها عني إذاية الخلق انك سميع الدعاء آمين آمين آمين.

1) ب : حذفت الحسبلة
2) ب : إذا حل زائدة
3) ب : سورة البقرة 22
4) ب : ساقطة
5) ب : ساقطة
6) ب : ساقطة

الباب الواحد والثلاثون:

الحمد لله ولا اله الا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم ونعم الوكيل(1)

والثمرات تشمل ماعندكم وما سواه من الأنواع الكثيرة وتشمل ثمراتكم وثمرات المخالفين لكم في الخلقة كالدواب والجن والوحوش والطيور.

والرزق جمع أرزاق بالعدد،(2) منهم من رزق بواسطة منه، كالإنسان، ومنهم من يجده بفمه وهو الأكثر ومنهم يحقنه كالفيل، ومنهم من يجده بدبره وهو نوع من سكان البحر، ومنهم من يأخذه برضاعة، وهو المربى صغيرا(3) أو من لا يقدر على مباشرة غير الرضاعة كالمريض. ومنهم من رزق بالشم كالجن للحم فقط، ومنهم من رزق من جانب دون الآخر والله على ما نقول وكيل.

قوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا وانتم تعلمون (4)، وتفسير الجعل والأنداد يثقل على الأقوال والأفعال، الجعل هو قول الكافرين لنبينا أجعل لنا وقتا نعبد فيه آلهتنا ووقتا نعبد فيه إلهك.

والجعل كمن صنع حرفة تمثيل لشيء بشيء سابق له، وكمن حكى مقالة كافر ولم يحرفها عن لفظه تكون نقصا في حق الحكيم، و ربنا حشاه وتعالى عن تمثيل القائلين والفاعلين.

الأنداد من قبل الفعل تشبيه ربك بشيء مما خلق، كأنك تقول قول الكفرة الأولين إن الله له جارحة مقطوعة أو متصلة و هو بوصف كذا أو على حال كذا، أو الدين وضع لكذا أو النهي عن الشريك لكذا، أو الدين لزيادة تحصل له، أو المعصية لنقص، وشبه ذلك. وهذا معدوم عند الذين لهم الحظ العظيم عند الله. كفى من الشبه الألفاظ التي(5) لاتقبل الصرف عن المحل الذي هي فيه، كقول الله لهم: الذين كفروا لهم عذاب عظيم، ونحن نعلم أن العظمة في حق الله عظمة تعظيم قدر، وتعلية، وتشريف وتكبير بالمدد والمدح. لا تعظيم جرم، ولا تكبير لذات ولا أعراض، ولا وصف شيء من هذا الفن. والمراد في قوله تعالى في العذاب، تكبير جرمه وتعظيم حره، وقال في حق الموحدين: وانتم تعلمون وقال في حق الجاهلين: إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة(6) الآية، وإيراد (7) أهل العلم هنا كأن المؤمنين سألوا نبينا صلى الله عليه وسلم عن حال الرب وماذا يفعلون في وحدانيته، فقال لهم عليه الصلاة والسلام، صفوه بما في القرآن، واللفظ المشتبه دعوا معناه(8) لله.

ومن هنا لا يجوز للعالم الذي يعلم مخارج الكلام ومداخله، وعالم بحقيقة الأوصاف أن يصرف مثل النقص والسوء إلا لنفسه أو نفس مريده الذي يتعلم عليه لأن الثبوت والنفي حاصل فيهما، لأنك كلما أثبت لنسك أثبت حاصلا، وكلما نفيتها عن حالة الربوبية تقبل النفي إلى حال غير الذي هو بها، لأن النفس دالة على منفسها والجرم دال على مجرمه والأعراض دالة على معرضها.

وكلما أعدمت حادثا مشهودا، إعدام أصل، ذلك دليل على سوء عقلك وكفرك بمن خلقك وخلق الحادث الذي كفرت بوجوده.

وكلما الزمت في حادث واحد مشهودا الزمته في جميع المخلوقات لأن من قال إن الجنة لم تخلق، والمعدودات معها، علمت أنه كافر. وكذلك كل معلوم صغير وكبير يجب الإيمان به لأنه من نفى شيئا مما شوهد أو تواترت عليه الأخبار نفى شيئا من العزة عن ربه حاشاه من ذلك، ومن نفى شيئا من كمالات الله كافر والعياذ بالله.

وفي نفس حادث مشهود، انسب النقص للحادث ولا تنسب لربك نقصان شيء من كمالات الله والآخر أثبت العدم له، وغير ذلك من الحل والربط والإثبات والنفي يؤدي إلى جولان النفس

في الشبهات، ويثبت لمريده لحن العقيدة، فيجره ذلك إلى اعتقاده في شطر الشبهات المنسوبات إلى من خلق كل شيء.

والذي يريد السلامة يضرب المثل في نفسه وفي مريده، تنتج له المعرفة الكاملة ويثبت أنه معظم لربه. والكيفية أذا مثلت لمريدك ووصفت وصفا من أوصاف ربك، وأردت تبيين الحال له قل له: تبيين وصف كذا فيك أن ربك خالقك، وخالق ما فيك من الجوارح، وكلما أردت الكمال فانسبه لربك، وكلما أردت نقصا انسبه لك أو لمريدك، واستخرج وحدانية ربك الى الكمال وانسبه له، والنقص لنفسك وللمتعلم منك.

اللهم قنا مما نخافه دنيا وأخرى، يا كافي اكفنا كل ما أهمنا وأعنا بما قصدت لنا وأخرجنا من ظلماتنا واهدنا إلى نورنا وسخره منك انك سميع الدعاء آمين آمين آمين.

1) ب: حذفت الحسبلة و لم تثبت في أس نسخة أخرى
2) ب : يحدها
3) ب : أو كبيرا زائدة
4) سورة البقرة الآية 22
5) ب : الذين
6) سورة البقرة الآية 23
7) ب : استبراد
8) ب و خ : الى

الباب الثاني والثلاثون

الحمد لله ولا اله الا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل(1)

وأما الألفاظ التي(2) تومئ إلى النقص في دين المرء فهي تشبيه حادث بقديم كقول بعض أهل الكلام: ولو لم يكن قادرا لكان عاجزا وهم يعلمون أنه خلق الحجز والقوة. وقولهم لو لم يكن سميعا لكان أصما(3) وهم يعلمون أنه خلق الصمم والأسماع. وقولهم لو لم يكن بصيرا لكان أعمى وهم يعلمون أنه خلق العمى والأبصار فيهم(4).

والسبب في إيراد الأوصاف تبيين ما يقال، والصواب عند الله، أن تضيف لنفس الموحد ما شابه للنقص، والكمال لمولاه.

والكيفية، قل لمن يتعلم عليك: يجب عليك(5) أن تعلم أن ربك له قدرة فإن قال لك: وما معنى القدرة قل له: قوة القادر على الإيجاد ومناسبتها فيك قدرتك على الشيء الذي تعلم صنعته، وهي قصد مخلوق فيك يتصل بقدرتك على الشيء الذي تعلم صنعه، والمحرك للأمر في نفسك حتى صار قصدا وأنتج القوة في أماكنها...(6)

وإذا كان الأمر هكذا لماذا تنسب النقص لمن خلقك؟ والحاصل انك تقول لمن أراد منك التعليم بأن ربك قادر وأنت عاجز، فإن أراد التعجير عجزه في نفسه و قل له: لو لم يكن ذلك لذهب ما معك من القوة، وأيضا لذهب ما شاهدته من الخلائق، وتصير رتقا لا مخلوقا يرى، ولا سماء تبنى ولا أرض تفترش. ولشوهد عدم القوة فيه في بعض الأوقات، وعدم القصد فيه في بعض الأمور، وصممه عن بعض الأصوات في بعض سوائعه، وكلله عن الرؤية في بعض رؤيته، وموته حين نومه، وعدم تمييزه لما يعلم ويختص فيه، وهو ضروري عنده إن تفكر، ومنع كلامه في محل خوف، وعند الغضب منه، أو يطرأ عليه مانع الكلام من الله وهذا ميزان السلامة. من أراد أن يسلكه ينجو من كل سوء، اليوم وغدا ويلقى خيره اليوم وغدا، والله على ما نقول وكيل.

ومن الأنداد، ألفاظ قول بعض الخلق لشيء مما يستحيل لفظه مثل وارث، والوارث هو الله سبحانه وما سواه موروث.

ومنه قول بعضهم بأسماء الجلالة كقولهم حامد، أو سالم، أو باطش وغيره من أسماء البطش، ولا يجوز من الأسماء التي تدل على الرب أن يسمى بها أحد نفسه وإن سمع أحدا تسمى بها يقول في وجهه اعلم انك تجرأت فقلب إسمك أو اسم ابنك على إسم جنسه وإلا فاعلم انك حاربت من لا تقدر على محاربته، ولا يجوز من هذه التسمية إلا إضافة عبد لربه.

ومنها إهانة الرسول صلى الله عليه وسلم وتفريد إسمه بلا صلاة وسلام وبلا مقارنة بالسيادة. والله على مانقول وكيل.

اللهم أسعدنا بالأسماء المسعودة و ألبسنا بالأوصاف المحمودة وقنا شر نفوسنا المعهودة وزودنا بخيراتك المبسوطة إنك بنا رحيم.آمين آمين آمين

---

1) ب : حذفت الحسبلة
2) ب : الذين
3) ب : صميما
4) ب : فيهما
5) ب : لك
6) ب : سقط سطران من الأصل حسب بانم

الباب الثالث والثلاثون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل(1)

الحمد لله الذي جعل النور مبينا للضالين عنه، وانه سيظهر لمن يطلبه بإذن ربه.

والحاصل أن الأنداد هم ما سوى الله مما يتوهمه الجاهل وما يتحرى العالم عقده من المثال الزائد كمناسبة سمع بصمم وغيره، من حل الأوصاف بمثل النقص وإيراد الشبهات على واردات العقل واستخراج الأوصاف الجميلة بالخسيسة ومحل اشبهة فيه ضرب المثل بالتمثيل، والمثل هو كمالات الله، والتمثيل هم الشبهات، والشبهات هي أوصاف الخلائق التي يشبه بعضها بعضا.

وإذا كان يحرم أن يوصف الخالق تبارك وتعالى بوصف مخلوق إلا مجازا فالأحرى ضرب المثل فيه بما هو نقص للمخلوق.

قل للمحب يدل بوحدة تركيبه على صمدية وحدة ربه، لأن وحدة التركيب لاياتي بها الا الصمد الفرد.

وان عجزك مخاطب يريد التعليم أو الإعجاز، أضرب له مثلا في نفسه ونفس جامد، قل له: ياتيك بمن يصنع هذه الصنعة المرئية أو يأتي بأحد من قبلكم أو ممن معكم أو سمع أحدا قال انه سمع مقالته الفاسدة.

ومن هنا يظهر لك ذلك إذا وجدت نفسك بالتركيب والحيز والزمان وما سواك من الخلق مثلك، وينتج لك حصول النقص فيك واثبات الكمال للرب وتصير تعبر كلام المتكلمين بعبارة تسمع وترى وهي أن (2) مارأيت يمثل سوء أو نقصا أنسبه لنفسك ولمريدك. والوصف الكامل أنسبه لمولاك سبحانه، والنقص أنسبه للمخلوقات والعيب أنسبه لنفسك ولمريدك.

وكل من (3) أتى إليك ممن أراد تعليم الوحدانية قل له عندي طريقان طريقة الإمام الأشعري(4) رحمه الله و أرضاه ومن معه، وطريق الشيخ الحضرمي ومن معه رضوان الله عليه (5) ....

---

1) ب : حذفت الحسبلة وأثبتت في النسخة ع

2) ب : ساقطة

3) ب : ما

4) ب : هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري نسبة إلى جده الأعلى الأشعر القحطاني وجده الصحابي الشهير أبي موسى الأشعري . ولد أبو الحسن سنة 260هـ بمدينة البصرة، تلقى العلوم على يد جملة من العلماء المحدثين من أمثال الحافظ زكريا بن يحي الساجي والجمحي وسهل بن نوح وغيرهم.كان أبو الحسن في أول أمره معتزليا إلى أن التحق بجماعة أهل السنة. يعتبر ابو الحسن أول متكلم سني جادل الفرق الإسلامية بالمنطق الكلامي وتغلب عليها . ألف مصنفات كثيرة أوضح فيها مذهبه و أوضح مذاهب خصومه وعيوبهم ويذكر ابن عساكر أسماء 73 من هذه الكتب. توفي أبو الحسن الأشعري سنة 324 هـ.

5) ب : سقطت البقية من نسخة الإمام المجذوب ، حسب باتم

الفصل الخامس: وجود الخلق معدوم مع وجود الخالق

الباب الرابع والثلاثون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.(1)

أما بعد يامريد، فها أنا أفيدكم من معرفة الله تعالى، فنقول:

الله تعالى أعلم بنفسه، ولا يعرف الله تعالى، إلا الله تعالى

ومن معجزات الأنبياء تسمية الله بتسميته لنفسه. وذلك أن الله لاتدركه الأبصار، وكأن الناس على جاهلية، فبقوا على شاهدهم، فعلموا أن الخلائق لها خالق، ولكن ما عرفوه.

فأرسل الله الرسل للخلق ليعلموا خالقهم. فكأنهم قالوا للرسل: ما إسم الذي أرسلكم إلينا فسموا لنا إسمه، وهل له إسم واحد أم له أسماء؟.(2)

فسمى الله نفسه بأسمائه، سمى نفسه بأسماء شتى، وذلك لحكمة.

فان قلت بين لي قلنا: إن عدد أسماء الله تعالى دل على وجوده. وذلك أن كل اسم كشاهد، فان كثرة الشهود على الشيء، تدل على وجود ذلك الشيء.

فنعت أسماءه في الخلق، وذلك فيه منة من الله تعالى على الخلق.

وذلك أن الحال والمقال تخاصما. فقال لسان المقال: ماسم الله؟ قال لسان الحال: هو الرحمن. وهل رحمت نفسك أيها الإنسان؟ فقال لسان المقال: لا.قال:الذي رحمك هو الرحمن الرحيم، فنعت نفسه في الخلائق.

ولم يكن في الوجود الا الله وخلائقه، والخلائق معدومة في نفس الأمر مع وجود الله.

فان قلت بين لي، قلنا:

ان وجود الخلق معدوم مع وجود الله تعالى، وحياتهم معدومة مع حياته وجميع صفاته، وذلك هو غاية المعرفة، لمن رآها، فان العبد إذا رأى وجوده معدوما مع وجود خالقه، اتكل على وجود ربه، لاعلى وجوده.

فان قلت كيف ذلك؟ فنقول:

اتكال العبد على وجوده غرور. ومعنى اتكال(3) العبد على وجوده، أن يتكل على علمه، وعلى قدرته وتدبيره وما بيده، فهذا غرور.

وأما اتكاله على وجود ربه، فذلك أنه يرى ربه موجودا قائما باقيا لا يفنى، وأنه عليم لايغفل ولا ينسى، ولا يجهل حال عبده، وأنه هو الرحمن الرحيم.

فإذا رأى وجود ربه اتكل عليه حق التوكل، وإذا اتكل على ربه انقطع عن غيره.

وثمرة التوكل على الله هي(4) طرد الشيطان، وقتل النفس، والإياس مما في أيدي الناس، وثمرة الإياس مما في أيدي الناس تورث عدم الطمع فيهم، وعدم سوء الظن بهم، والسلامة من منعهم إن منعوه.

والتوكل طاعة من طاعات الله تعالى، وهو خير للعبد، فيه علامات قرب العبد من ربه.

وذلك أن الله تعالى هو الكافل لجميع منافع الخلق، برهم وفاجرهم.

وإذا أحب الله عبدا قربه إليه، وقطع نظره عما في أيدي الخلق، وشوقه إلى ما في يد ربه. فإن وفقه بص له نور من الله حتى يرى أن ما بيد الخلائق إنما هو لله تعالى، إذ هم وما بأيديهم لله تعالى، وهو المنفق عليهم.

فيطمئن بما عند الله فما عند الله باق لا يفنى إذ منه النفع.
وإذا أراد الله بالعبد خيرا، رأى ما عند الله أقرب إليه مما بأيدي الناس. فالناس محتاجون لما عند الله، والله غني عنهم.
فكيف يطمئن بما بيد من هو محتاج، ويترك طمأنينته بما بيد ربه، والله هو الرحمن الرحيم؟
وكيف لا يطمئن العبد بما عند ربه وهو أرحم الراحمين، وهو أقرب إليه من حبل الوريد؟.
ومن جهل العبد أن يتطلب البعيد، ويترك القريب، وذلك من طمس البصيرة. فان البصيرة اذا طمست عميت، وإذا عميت قعدت عن حوائجها، لا قائدا يقودها، لاظاهرا ولا باطنا. ان العبد عليه أن يلزم معرفة ربه، فان العوارض كثيرة.
من غفل عن رعيته الأعداء حالوا بينه وبين الأحباء.
ومن تولى عن السلطان لحقته محنة.
ومن غفل عما عليه من الدين، استغرقته سيئة المملكة.
ومن توانى عن الخير لحقته الندامة
ومن احتقر الأواني والأوعية لحقته قلة الزاد
ومن تهاون ببواب الملك، ابتلى بعدم الدخول على الملك، ولم تلحق حجته الملك.
ومن أمن الدهر لحقته محنة.
ومن جاور الماء أمن من العطش.
ومن لم يدخل السوق كل يوم، فاته ربح الأيام.
ومن لم يتهم نفسه كلما اصبح وأمسى، غرته.
ومن أمن عدوه فلا يلومن إلا نفسه.
ومن خالط الناس بما أحب، نال من الناس مايكره.
ومن لم تكن له جنة بينه وبين الناس ضربته سهامهم.
ومن لم يتوكل على ربه، ابتلي بكثر الهموم، ومن أراد الراحة، فليلزم باب الملك.
والله الموفق للصواب.
اللهم رب السماوات و الأراضين، ورب العلوى والسفلي، وجامع الأولين والآخرين وقاطع حجة الخلق بالنبيئين والمرسلين، وجاعل أفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم و عليهم أجمعين، وجاعل رمضان أفضل شهور السنين، أغث قلوب أحبائي بمعرفتك، و أغث بلادهم، واغفر للمؤمنين أجمعين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، الأحياء منهم والأموات.
آمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد المرسلين والنبيئين.

---

1) ب : 33 ع : 38
2) ب : أسامي
3) ب : توكل
4) ب : هو

الباب الخامس والثلاثون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل. (1)

أما بعد يامريد، فخير ما يشتغل به المرء معرفة ربه، وذلك أن العبد مادام ذاكرا، محفوظ لا يقع عليه الذنب، ويغسل من الذنوب التي وقعت عليه.

وعلامة لقرب العبد من الله إذا كان ذاكرا له. فإن العبد إذا غفل عن ذكر الله فهو قريب من الشيطان وإذا ذكر الله طرد الشيطان، فلهذا نادي الله المؤمنين: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا.(2)

ولما كان الذكر خفيفا على اللسان، وكثير الأجر، حض الله عليه، وذلك من سعة الله على عباده المؤمنين. فانظر(3) قلة حروف الإسم العظيم الدالة على المسمى الذي لانهاية له، فخفف على اللسان وقت القول ليدرك المرء الخير كما خفف علينا عمل الصلوات الخمس.

فقول المرء لااله الا الله محمد رسول الله وسبحان الله وحسبنا الله فذلك كله خفيف الزمان كثير الإحسان. فإذا كرر العبد اسم الله على اللسان، فلم يزل يذكره حتى تطير أغيار القلب، حتى يرى للذكر حلاوة أحلى من العسل.

وذلك أن نور المعرفة إذا مزج في العروق واللحم، فإنه في هذه الحالة يرى العبد لذلك المزج لذة عظيمة، وتلك اللذة تكون كالطبيعة في الإنسان، فلا تحتمل تلك اللذة الحرام، فإن صاحب هذا الحال يشاهد الحلال والحرام، فان كان حراما تكون علامته ظلمة فهي عرض الحرام، كما أن عرض بعض الناس السواد.

والحلال عرضه الحلاوة، كما أن عرض بعض الناس البياض، ثم عرض الحرام المرارة والرائحة الخبيثة، وعرض الحلال الحلاوة والرائحة الطيبة، فإذا كان العبد في هذا المقام فقد ذاق الشريعة ذوقا وكشفا وهذا الكشف لايستغنى به عن النص، فلا يخرج النص من يده إذ النص هو الأصل.

وهذا المقام إنما ينال بكثرة التفكر، وكثرة الذكر، فكثرة الذكر فيها(4) خير كثير.

فالذكر هو سبب قرب الله تعالى، فقال تعالى: إن رحمة الله قريب من المحسنين،(5) وتلك الرحمة هي معرفته، فخير الدنيا والآخرة في معرفة الله تعالى. فإذا عرف العبد ربه اجتهد في خدمته فإذا اجتهد في خدمة ربه دفع علة غرضه في خاصيته، فخير العباد من يؤثر رضى ربه على رضى نفسه.

وذلك أن العبد إذا أعطاه الله كثرة المال، وأعطاه الكرامات، فإنه إذا كان موقنا لايلتفت إلى المال ولا إلى الكرامات، وإنما اجتهاده يكون في خدمة ربه.

وذلك أن العبد لا يأمن، ما أعطاه الله في الدنيا، فيخاف أن يكون هو حظه عنده غدا، فالمؤمن يؤثر حظ الآخرة على حظ الدنيا وذلك أن الحظ في الدنيا زائل لامحالة وحظ الآخرة باق.

وكذلك الدنيا لايأمن صاحبها فتنة نصيبه، وحظ الآخرة أخذه العبد بالأمن، فإن المؤمن خير ما يعطيه الله تعالى له معرفته، فان معرفة الله بشارة من الله تعالى للعبد، وهي علامة توبته في الآخرة، يثبت الله الذي آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.(6)

انظر إلى الملائكة مازالوا يسبحون الله تعالى، وجميع الخلق يسبحون الله تعالى في كل وقت، فان العبد لله عليه أن يسبحه في كل ساعة من ساعاته، ولا ساعة إلا ولله فيها على العبد حمدا وشكرا فقال: لئن شكرتم لأزيدكم إلى آخر الآية(7).

طالبكم بالعبادة، وطالبتموه بالرزق والجزاء، فأنتم عاجزون عما طلب منكم، ويكاد بعضكم يعجز ربه عما وعدكم وضمن لكم، فإنا لله وإنا إليه راجعون في كل شك في وعد الله وضمانه وحلفه.

فالعباد محجوبون في الشاهد، فهم على مراتب، منهم من تحكمت فيه شهوته فهذا محجوب عن ربه. ومن شاهد الحق وراه تحت حيطة ربه فهو عبد شاهد مولاه في كل حالة من أحواله.

لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، اللهم لاتفتن المؤمنين بعد لك. الهي ناجيتك بحالي ومقالي، وشفيعا لأحبائي وجميع المسلمين.

أنت الله الذي لطفك دام على عبيدك. ولولا لطفك ياللطيف ماقدر أحد على شدة، فعند الشدائد يظهر لطفك ياللطيف. وعدت بالغيث عند قنوط عبيدك، فهاهم اشرفوا على القنوط.

فيا رحمن ارحم عبيدك ضعفاء الإيمان، أغثهم غيثا يعينهم عاجلا، فبرحمتك يارحمن أغث بلادك فان الأرض اشتكت بلسان حالها ومقالها، فدبر لخلقك تدبيرا خيرا من تدبيرهم لأنفسهم.

عجل الفرج يامفرج الكروب، فغيثك غير مشروط بطاعتك، وتخلفه لايكون بسبب معاصي عبيدك، فأنت ذو الفضل العظيم الولي الحميد المجيد السميع البصير العلي الكبير الودود الحي القيوم وعلام الغيوب البديع الذي يخرج الخبء قهرا فيحصل الحاصل قهرا، وينزل الغيث فضلا منك يا أرحم الراحمين يارب العالمين.

اللهم إن عدلك لا يقدر عليه خلقك فجد برحمتك على عبيدك يا أرحم الراحمين يارب العالمين.

---

1) ب: 39 ع : 17
2) سورة الأحزاب الآية41
3) ب : قلل
4) ب و خ : فيه
5) سورة الأعراف الآية 56
6) سورة إبراهيم الآية 27
7) سورة إبراهيم الآية 7

الباب السادس والثلاثون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.(1)

أما بعد يامريد، تعلموا معرفة الولاية فإن معرفة الولاية من الأمر المهم، وذلك أمر، أمر الله بعمله فقال تعالى : فاعلم انه لا اله إلا الله.(2)

وكيف تطلب معرفة الولاية على الحقيقة وهل علم الولي يمتاز عن غيره، فنقول : إذا أراد الله قرب عبده فيكسبه من نوره، فيكون النور بمنزلة الطبائع الأربع، وذلك أن ما يميز الإنسان به حلاوة مطعمه ومشربه بطبيعته، ويميز بين حرارته ومرارته بطبيعته، فإذا قربه الله تعالى فينزل فيه النور، فإذا سرح النور مع لحمه ودمه فيكون الحلال والحرام يميزهما بالنور المودع فيه، ويجعل الحرارة في مقام النهي، والبرودة في مقام الأمر والحلاوة في مقام الأمر، والمرارة في مقام النهي، والرائحة الطيبة في مقام الأمر، والرائحة الخبيثة في مقام النهي.

وهذا تحت معنى قوله تعالى : مازال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها.(3)

وذلك أن من ادعى قرب الله تعالى فلا بد له من علامات تدل على قربه من الله تعالى. وتلك العلامات لاتصح إلا باتباع أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، فإن كان مجتنبا نهيه وتابعا أمره، فهو من المقربين.

وذلك أن الولي المتمكن أول تمكنه اتباع أمر الله بان يمتثل أمر الشارع، وعلامة تمكنه انه يوافق النص بالذوق، فقال صلى الله عليه وسلم : الحلال بين والحرام بين وما بينهما مشبوهات من تركها سلم ومن أخذها كان كالراتع حول الحمى يوشك أن يوقعه الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه.(4)

وأما الحلال البين، فتبينه بالنص وبالذوق، والحرام كذلك، والشبهات كذلك.

وأما الولي المتمكن فإنه يظهر له الحلال والحرام بإدراكاته، فيعلم الحرام فيكشفه بالظلمة، فإذا أراد الله أن يبين له الحرام فيجعل على ذلك المطعم أو المشرب ظلة كالدخان أو الرماد، فهو كالمتوضئ بالماء فيما يأكله ويشربه، فإذا رأى تلك الظلمة على الطعام أو الشراب - مثلا- فلا يترك مطعمه ومشربه لئلا تكون الظلمة من الحاسد الشيطان، ثم يشم فان خبثت كذلك، يتطعمها، فان وجد خبثا فلا يبنى عليه لئلا يكون الخبث من مرض فيه، فان استصاغها حلقه فوجد حرارة فهي حرام، فحينئذ يسأل عن اصلها حتى يوافق النص، فإذا وصل المعدة وقبلته فهو حلال وان لم تقبله المعدة فهو حرام.

فالولاية لاتقبل الا الحلال، كما أن اللطيفة إذا مرض صاحبها لاتقبل الا معتاد صحتها فالولاية مع صحة البدن تنفي الحرام.

والسر في ذلك أن المطعم والمشرب قوام البنية، وقوام البنية بانبات اللحم والشحم وفيضان الدم في العروق، فإذا فاض الدم في العروق عاش اللحم في الدم، وإذا عاش اللحم ينبت الشحم، فإذا اكرم الله الإنسان بولايته زوى عنه الحرام، فإن اللحم الذي نبت من الحرام استوجب النار، والذي نبت من الحلال استوجب الجنة.

فالولاية ليست من مقدور البشر، ولو قدرنا أن نفس الولي أرادت شيئا اشتهته من الحرام فتأبى ولاية الله تعالى عن الحرام كمن اجبر على دواء ولم توافقه طبيعته، لم يفد ذلك الدواء شيئا. وفائدة ما أقول لكم أن كل ولي وكل من يدعي قرب الله فميزانه أوامر الله تعالى ، فإن استقام على

الشريعة فهو ولي حقا، وان خالف أمر الله تعالى بأكل الحرام، واستقام على الحرام فهو من المذنبين و لعل الله أن يتوب ويعفو عنه.

فالولاية مقام صعب على النفس، وذلك في المثل كمن رأى جزورة بلغت غاية الشحم واللحم، وأخرى هزيلة ليس بها مخ، والسمينة للغير، والهزيلة ملك له.

فإن هو مال مع النفس على جزورة الغير وطعم منها على هواه، فالولاية لاتقبل الحرام طبعا، إنما تقبل الهزيلة.

والطبيعة النفسية لاتقبل الهزيلة، فصار صاحب الولاية في ضيق في تلك الحالة، والموفق يكون على حالة الولاية.

وهذا كله تحت معنى قوله تعالى: ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله،(5) واصل الهدى هو الولاية. والله الموفق للصواب. اللهم ياولي ياحميد يا كبير يا متعال يا ذا الجلال والإكرام، يا عالم ما غاب وما ظهر وما خفي ولا ينسى، اكرم أحبائي بالولاية العامة والخاصة. ياولي أنزل الغيث بأمرك يا ذا الجلال والإكرام. آمين آمين آمين.

---

1) ب : 20

2) فأعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك. سورة محمد الآية 19

3) ما زال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبته كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر ويده التي بها يبطش ورجله التي بها يمشي. ولئن سألني لأعطيته ولئن استعاذني لأعذته وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره إساءته (الفقه عند الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي ص 81).

4) متفق عليه

5) سورة القصص الآية 50

الباب السابع و الثلاثون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل. (1)

أما بعد يامريد، فها أنا أزيدكم من فوائد العلم النافع، فنقول:

من أراد القرب من الله، فليرحل عن حب الدنيا إلى حب الله تعالى، والمراد بالرحيل، الرحيل الذي باختيار العبد، لا ماكان من غير اختياره.

فإن قلت بين لي، قلنا: الهمة والعزم، بهما يرحل العبد، وبهما يقيم.

فإن قلت زدني إيضاحا، قلنا: ماكان للعبد من الله قد كان قبل بروز عينه، فإذا أراد الله أن يعطيه ما كان له، ويهديه إليه خلق له همة قوية، وتلك الهمة لها طرفان كطرفي الميزان، فتكون الهمة، تحرك الخواطر، فتضطرب الخواطر فينزل الأمر بإذن الله تعالى.

فإذا رجح الخاطر صاحبه، فيسمى عزما، فإذا عزم عزما قويا، عند ذلك يقبل على استخارة ربه فيصلي ركعتين يهديهما لربه، فإذا صلى يتوكل على الله توكلا قويا، بحيث لايشك فيما عند الله تعالى، ولا يظن بربه إلا خيرا.

ومن هنا يظهر معنى قوله تعالى: فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين(2) واعلم أن التوكل ركن من أركان التوحيد، ولا بد من معرفة التوكل.

أما حقيقة التوكل على الله فهي أن يتوكل العبد على ماله عند الله أولا، لا بالأسباب التي توجب إظهار ماكان له.

فكيف يتوكل على كده الحادث، ويترك حكم القسمة، فان التوكل هو الطمأنينة بالقسمة السابقة.

فإذا لاح له برق المعرفة، تبين أن الله تعالى قدر الأرزاق والآجال، فمن هنا يظهر له معنى قوله تعالى: وكل شيء فصلنا تفصيلا،(3) وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه.(4)

والطائر الذي ذكر الله هو حظ الإنسان، لايزيد ولا ينقص. وأما الحكمة في لزوم العنق دون الجوارح الأخرى، فنقول: القرآن نزل بلسان العرب، والعرب كانوا إذا تحمل أحدهم أمرا أو أراد تحمله يقال له - اعلم انه في عنقك، أو يقول - أشهدكم انه في عنقي.

وذلك أن العنق هو الحامل للرأس وان العنق إذا قطعت حققت موت صاحبها بخلاف الأعضاء الأخرى.

والمعني: إن لم تأت بهذا يقطع عنقك. ومعنى قوله تعالى: ألزمناه طائره في عنقه: أن الله تعالى الزم الإنسان ماله وما عليه من خير وشر، فلا بد له منه، كما لابد لصاحب الدين والعهد من الوفاء بهما.

فإذا كان الشيء، في العنق، فاجتهد يا صاحب العنق في خلاص عنقك.

ومحل توكل العارف كتابه، وثمرة التوكل هي(5) استراحة العبد من مهمومات الدنيا(6) التي يقذف بها الشيطان في قلب العبد، فأينما جاءه الشيطان بقلة الرزق، فيدفعه بالقسمة السابقة. فان قلت كيف تكون مجادلتهما؟ فنقول: يقول الشيطان للإنسان ويحك قطعت وبقيت بلا شيء، قم فاطلب ما في أيدي الناس، أو أسرق أموالهم، أو اغتصب منهم.

فان كان متمكنا منه وهو معدوم التوكل، يوقعه في المهالك، وان كان عارفا فيقول له: لا يأكل أحد منا حظ الآخر، فان تأخر عني حظي في هذه الساعة، فسيأتيني في الوقت الذي يريده، إذ هو حين القسمة. هو الذي قدر الأقوات في الأوقات ولكن الإنسان عجول. فأي دليل يا ملعون تأتيني به، وأنا آتيك بدليل، فقد قال تعالى: وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم

مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين،(7) والكتاب يالعين، سبقني، وربي أعطاني عطية وأنا معدوم، فكيف لايعطيني وأنا موجود...؟.

يالعين، قربي اقرب منك، فقال تعالى : ونحن أقرب إليه من حبل الوريد،(8) يالعين، توكلت على الحي الذي لايموت، وحظي الذي عند ربي محقق، فلا أخاف أن ينسى الوقت المقدر، ولا أن يسهو عنه، ولا تحمله كثرة الخلائق على أن ينساني، فلا ينسى أحدا من خلقه، ولا يشغله شأن عن شأن ما لكل منا، فسبحانه، انه لا اله الا هو.

يالعين طردتك باسم الله الذي تحت عيطته معاني الأسماء، لا اله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

يالعين، منذ خلق الله الخلائق وهو ينفق عليهم، ما مات أحد منهم وبقي له شيء مما كتب له، ومخزنه لايفني، وملكه لايبلى، وهو رب الآخرة والأولى، وأن سعيه سوف يرى، فلا بد من لحوق الآخرة، كلحوق الأولى، وان هذا القرآن لعجب، فيه مافي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى. فعجيب نظمه، الشاهد فيه مع الغائب، فيه نبأ الأوائل والأواخر وعلى الله قصد السبيل، واليه الرحيل، فسبحانه لااله الا الله محمد الرسول الله عليها مدار نجاة العبد، فلا اله إلا الله بها نفتح الجنة، وبها نغلق أبواب النار، وبها النجاة من عذاب القبر، وبها يكسب العبد نور الإيمان، وبها يطرد الشيطان، وبها ينال الغيث من السماء، وبها بركة الأرض.

وعلى الإنسان أن يدوم على ذكرها لعل الله أن يكرمه بأنوارها، ويأخذ حظه من أجورها، فالعاقل لايغفل عنها ساعة، فهي كلمة يسعد بها الإنسان في المواقف العظام.

اللهم كما عظمت كلمتك، وجعلتها علامة السعادة، فلا تسلبها منا حتى نلقاك وهي معنا، أنا و جميع أحبائي وجميع المؤمنين آمين يا رب العالمين.

---

1) ب : 41 ع : 30
2) سورة آل عمران الآية 159
3) سورة الإسراء الآية 12
4) سورة الإسراء الآية 13
5) ب : ساقطة
6) ب و خ : ساقطة
7) سورة هود الآية 6
8) سورة ق الآية 16

الباب الثامن والثلاثون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.(1)

أما بعد يامريد، فخير ما يعلم المرء معرفة ربه و معرفة نفسه، وذلك أن كل ما لا نهاية له يحكم له بعجز طالب نهايته.

فنحن طالبون معرفة من(2) لا نهاية لمعرفته، وذلك أن النهاية تؤدي إلى الإحاطة بأسمائه وأوصافه، وهو تعالى لا يحاط بأوصافه، إنما المضمون العجز عن إحاطة وصفه.

نحن طالبون معرفته ونهاية طلبنا عجزنا. ومن لم يطلب معرفته عصى، ومن طلب الإحاطة كفر.

ثم ننقل الكلام إلى معرفة العبد لنفسه، فنقول: الحكمة في خبر الله لنا بدأ بالنطفة، وثنى بالعلقة، وثلث بالمضغة، وأخيرا أنه كسى العظام لحما، وذلك إنما هو تنبيه لنا على أن أوليتنا ضعيفة، فلا لها قدرة ولا سمع ولا بصر، وأخر الحواس في الخلقة، وأخر دخول الروح التي بها يتصف بالقوة وغير ذلك من محاسنه.

فإن الله نبه على ضعفنا، وإذا كان الأصل منا ضعيف، من أين للإنسان القوة؟.

ولأن أوليتنا ضعيفة نبهنا على تحسيس، بأن النطفة ضعيفة في نفسها، ونقلت، ءال ذلك إلى عدم بقاء النطفة، وانتقال العلقة إلى المضغة ءال إلى عدم بقاء العلقة، وانتقال المضغة، إلى كسوة العظام لحما، كذلك.

فإن قلت مالحكمة في كسوة العظام لحما؟ قلنا : ذاك من حسن الخلقة، ومنة من الله على العبد ولو كان الحي عظاما بلا لحم لكان شنيئا، ولكن كساه لحما ثم كسى اللحم بالجلد حتى أحسن صورته، فسبحانه لا اله إلا هو الذي أتقن كل شيء خلقه.

والمعنى أنه ما بقي لمخلوق حسن في خلقه من وراء ما علم الله فيه، وأراده وقدره. فبناه بنيانا مستقيما، وممن احسن صورته آدم وبنيه. فبناه بنيانا وصوره أحسن تصوير، فجعله كبنيان صرح له أبواب، وفيه ملك يحكم.

فإن قلت ماهي أبواب هذا الصرح ومن هو ملكه؟ فنقول: العيون المنفتحة، والسمعان المقسمان، والفم والأنف.

فإن قلت ما هي(3) أبواب تهويبة هذا الصرح؟ قلنا : المعدة.

فإن قلت ومن هم أعداء هذا الملك؟ قلنا : الشيطان. ومن هم وزراؤه؟ قلنا: الملائكة. وما من أمير إلا وله بطانتان، بطانة تأمره بالخير، وبطانة تأمره بالشر،(4) والمعصوم من عصمه الله.

فإن قلت، وما لكل باب من هذه الأبواب؟ قلنا : كل موجود إما قديم أو حادث، وقد قسم الله المعرفة قسمين، قسم متعلق بمعرفة الخلائق، وقسم متعلق بمعرفة الرب، ولا ينظر القسم إلى ما نظر فيه القسم الآخر، أما السلطان الأكبر فمعرفته متعلقة بمعرفة الرب.

أما القسم الذي لا يعرف الرب فهو خاص بمعرفة الخلق، وهو الحواس، المتعلقة بأحوال الخلق. فكل حاسة خاصة بمعرفة حالة من حالات الموجود الحادث. وحاسة العبد انحصرت في الألوان والأصوات والملوسة والخشونة والبرودة والحرارة.

وأما العينان فتتعلقان باللون والحركة والسكون والطول والعرض والكرم والشجاعة والهزال والسمنة والصحة والمرض.

والأذنان، بالصوت، وتميزان الكلام بين عجيبه وغريبه، وتميزان كلام كل جنس عن جنس، و هذه الأوصاف عن بعد.

وأما التي لا تميز إلا بالقرب، فهي(5) الذوق واللمس.

فإن قلت، مالحكمة في أن البصر والسمعين يميزان(6) عن بعد، والذوق واللمس لا يميزان ألا بالقرب فنقول: ذلك، إن الله لما ادخل الروح في الجسد جاءت بأكمل نور، فبدأ الرأس بها، فنال من نور الروح على سعة من نورها، فلما نزلت في الجسد، انتقص من نورها، وذلك أنها(7) حين دخلت اخذ الرأس حظه، أولا من نورها، واشترك مع الجوارح في نورها حين تدخل، فصار غيره من الجسد، بعيدا عنه الإدراك، ولا يدرك الا بالمباشرة.

فإن حققت بهذا، فتعلم أن ما أتته سعة الإدراك إلا من الروح. واعلم أن الجوارح خاصمت الرأس فتحاكموا إلى الرب. فقالت الجوارح: نحن اكثر عددا من الرأس، وقد حاز عنا نور الروح. فقال الرأس: يارب، أنا ادفع عنهم، وادفع عن نفسي، فإن أبصرت نفعا على بعد فأدركه قبل أن يدركه غيري، وذلك لنفعهم اكثر مني، وان أبصرت عدوا(8) هربت منه، فإن ظفر بنا فأول ما يقطع -انا-فان قطعت هلكوا بهلاكي. وان قطع منهم واحد، نجوت بالباقي، وان هلكت أنا هلكوا كلهم، فالإدراك لي . وان بقيت بلا إدراك، فلا جلب لمنفعة، ولا دفع لمضرة. فحكم الله له بسعة الإدراك.

فقال: يارب، إن حكمت علينا بالموت فاجعلني آخر من يموت. قال: ولم؟ قال: يارب أنا محل اعتبار آياتك المشهودة وأنا ناقل آياتك المتلوة، وأنا متلي حروف كلماتك، فاجعل ذكرك لي أنيسا، وان كانت حقوقا فأنا أوصى بها، فأنا رئيس الجوارح.

فعند ذلك جعل الله الحكمة إن الموت تبدأ بأطراف الرجلين، وهي في المثل في الجسد أي الروح كمن يلبس قميصا، فبداية القميص بالرأس، فإذا أراد أن ينزعه، فيبدأ النزع من أسفله، والرأس هو الأخير في النزع، فاللباس في المثل كالروح.

اللهم أنت الحي القيوم وأنت المدبر القدير، وأنت السميع البصير، وأنت على كل شيء وكيل، وأنت الحميد المجيد وأنت الودود، وأنت حسبنا ونعم النصير، انصر أحبائي نصرا دائما لا تزلزله ذنوبهم، وكن لهم في الرخاء والشدة وافتح عليهم أبواب الرزق، وافتح يا فتاح آمين آمين يا رب العالمين.

---

1) ب : 71

2) ب : ما

3) ب و ع : هو

4) يقول الإمام الغزالي : اعلم أن البدن كالمدينة، والعقل اعني المدرك من الإنسان كملك مدبر لها، وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنود، وأعوانه وأعضاؤه كرعية ، والنفس الأمارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته، ويسعى في إهلاك رعيته، فصار بدنه كرباط ، وثغر، ونفسه كمقيم فيه مرابط .(إحياء علوم الدين جزء: 3 ص 7.بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنية).

5) ب : فهو

6) ب : ساقطة

7) ب : إنه وع: ساقطة

8) ع : فأبصرته زائدة

الباب التاسع والثلاثون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.(1)

أما بعد يامريد، فها أنا أزيدكم إيضاحا(2) للفرق بين الذات والروح، فنقول:

مثل الروح والذات في الشاهد مثل الأوعية وما تصلح له.

فإن وعاء اللبن فيه فائدة، مادام جازر اللبن، فإذا أخرج منه اللبن، فلا فائدة له، كذلك كل وعاء، إنما جعل لما يحرز من منافع.

وكذلك الإنسان، ذاته وعاء. فإذا كانت ذاته حارزة للخير فإن الذات تمدح بمدح ما أحرزت، وتذم بذم ما أحرزت. وخير ما تحرز الذات معرفة الله تعالى . فإذا أحرزت ذات العبد معرفة الله، يتولد منها حسن الخلق، وخير ما يمدح به المرء معرفة الله وحسن الخلق.

وقد ورد أن حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة،(3) فمن حسنت أخلاقه، أمنت بوائقه، ومن أمنت بوائقه رسخ إيمانه، ومن رسخ إيمانه انقاد لشريعته، ومن انقاد لشريعته جد في سبيل نجاته، ومن نجا لا شك في سعادته.

والروح مدار العبد عليها، فهي التي اخذ الله عليها العهد،(4) وهي مخفية لا تعلم، وقد اكتسبت ذلك من رؤية الله تعالى، واكتسبت البقاء بذلك . فهي التي عليها مدار الإنسان، وهي المخاطبة أزلا. وذلك أن الروح طائعة لله تعالى، فهي كالشمس، فكل ما سوى الجن والإنس طائع لله تعالى. كانت الروح طائعة لله تعالى، ولما دخلت البنية اكتسبت العصيان،(5) وذلك أن الأرض سبق في علم الله تعالى أن يعصى عليها. فإذا خرجت، خرجت بما اكتسبت من الخير والشر.

ألم يتفكر الإنسان في طاعة الشمس لله تعالى، بالطلوع والغروب، وكذا النجوم، والليل والنهار.

والأشجار طائعة لله تعالى بما يخرج منها لرزق العباد والخلائق، فلا يعصون الله تعالى.

والإنسان يعصي ربه في أمر أمره به، أو نهي نهاه عنه، والإنسان فوق الأرض، وعليها عاش، والسماء فوقه، ومنها ينزل سبب رزقه، ومع ذلك فهو عاص لربه. عظم الله المؤمن التقي على جميع العلوي والسفلي ولا نال ذلك إلا بمعرفة ربه.

العالم كله سوى الثقلين طائع لله . ورزق الله جميع الحيوانات بطاعتها لله تعالى، ورزق الإنسان وهو يعصيه، فلم يمنع الله رزق الإنسان بعصيانه له.

القلوب كالأرض، والعلم كالماء النازل على الأرض. والقلوب منها ما ينفتح للعلوم والمواعظ حتى ينشط للأمر، وينتفع بالذكر. والإنتفاع إنما هو بتذكرة الآخرة، والتجافي عن الدنيا، والإقبال على الله تعالى . فإذا عاشت الروح بالإيمان انكشف الغيم والظلمة.(6)

فالإنسان بين ظلمة الليل، وضوء النهار، والجثة هي الظلمة-فقابلت ظلمة الحس، والنهار قابلته الروح بنورها، فالإنسان تطلع عليه ظلمتان، ويطلع عليه نوران، فالنور المعنوي قابل النور الحسي، والظلمة كذلك. والمؤمن يحس بطلوع المعاني كما يحس بطلوع الحسيات، ويكون على معرفة من ذلك . والنور هو الذي يرى به المؤمن. ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور(7)، والنور لا يصدر إلا من معرفة الله تعالى.

والنور كالنور، فالنور الحسي ينكسف بالغيم، والسحاب، والنور المعنوي ينكسف بالذنوب. فإذا كسفت الشمس أو القمر، فبادروا بالصلاة حتى يتجليا، كذلك إذا كسف نور المعاني فبادروا بالتوبة والإستغفار، استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا.(8)

فدواء ذنب المؤمن الإستغفار، كما انه إذا أمرضته بلية يطلب لها دواء العادة.

ومن حمق الإنسان انه يمرض وهو لا يعلم انه مريض، وذلك من جهله بالله تعالى. ترى المريض يكثر الشكوى من المرض الحسي، ولا يحس بالمرض المعنوي. وتراه ينفق ماله في الدواء الحسي، ويمنع من الإستغفار الذي هو دواء المعاني.

اصل كل شر من جهل الله تعالى، واصل كل خير من معرفته تعالى.

الأعمى، من عميت بصيرته، وخسرت سريرته، وفسدت أخلاقه.

من لم يعتبر فيما هو فيه، وما يرجع إليه، وما هو مالكه، فقد أمن مكر الله، وحقق انه حر، لا مالك عليه. ومن حقق انه عبد مملوك، ولا يدري ما يفعل به مالكه، فهذا مشوش فيما يفعل به مالكه. الإنسان الكامل، هو الذي يسد ثغوره بمعرفة ربه فإن العبد إذا عرف ربه وعرف نفسه وعرف زمانه، وعرف مبدأه ومآله، فقد سد ثغوره .

العاقل إذا خوف خاف، وإذا أمن لا يأمن، وإذا طلب منه التداين لا يتداين، وإذا طلبت منه الأمانة لا يأتمن.

العقل الكيس، هو الذي لا يأمن نفسه، فهو جارح لنفسه أبدا، ولا يكون أساسه إلا ما علم الله فيه، لا ما علم الناس، ولا ما علم هو في نفسه، ممتثلا قوله تعالى: هو أعلم بمن اتقى(9). اللهم يا عظيم يا كبير يا حكيم يا عزيز، يا وهاب هب لأحبائي هبة يدوم نفعها، ويدوم سترها آمين آمين، آمين يارب العالمين.

---

1) ب : 12

2) ب : بين زائدة

3) أخرجه البزار والطبراني

4) يذكر أبو القاسم الجنيد، في هذا المعنى : أن أرواح البشر آمنت منذ الأزل بالله، وأقرت بتوحيده وهي لم تزل بعد في عالم الذر، وقبل أن يخلق الله العالم والأجسام المادية التي هبطت تلك الأرواح إليها.

5) انظر تفسير أبي القاسم الجنيد، للآية التي تسمى آية الميثاق : وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم إلى إنا كنا عن هذا غافلين. الأعراف الآية 172

6) راجع : النفس عند إبن سينا . تسع رسائل ص 163

7) سورة النور الآية 40

8) سورة نوح الآية 10

9) سورة النجم الآية 32

(ملحق الباب : والروح هي التي يدرك بها لذائذ الأطعمة والأشربة، والنفس لا يدرك بها شيء وهي معنى من معاني الحياة ، فلا يتصف بالحياة مع عدمها وقد يتصف بالحياة مع عدم الروح كحالة النوم مثلا . والنفس مخفية في الروح والروح مخفية في النفس، فلذلك الميت لا يدرك بإدراك النفس ولكن يدرك بإدراك الروح. فالنفس تختص بأمور مذمومة وحقيقتها أحوال السوء، وشاهد ذلك قوله تعالى: إن النفس لأمارة بالسوء.

وإن الروح هي التي تمازج العقل والنفس لا مدخل لها في العقل. فإن قلت من أين النفس لا مدخل لها في العقل؟ قلنا : لأن النفس موصوفة بالسوء، والعقلاء لا يتصفون بالسوء إذ العقل كرامة لمن وهبه الله له . ألا ترى الجليل خاطب العقلاء بكلامه فقال تعالى : إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون، فلا يصح العقل إلا من حي، ولا تصح الحياة إلا من نفس ولا يصح الكل إلا من روح .فالروح سفينة للنفس والنفس سفينة للروح، وإن نظرت إلى الأصل تجد الروح هي الأصل لأنها حالة تلازم الحياة والروح قد لا تلازم الحياة. ومحل الإشكال في الأشجار المنعمة وهل يحكم لها بالحياة، لسبب تنعمها أو لا يحكم لها بالحياة لعدم الروح والنفس، وهل حقيقة الحياة لا بد لها أن تمازجها الروح أولا وذلك بحر لا يخاض ساحله والله أعلم.)

الباب الأربعون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.(1)

أما بعد يامريد، فها أنا أنبهكم على معرفة الله تعالى، فان الفائدة للإنسان في معرفة الله ومعرفة نفسه.

ولما كانت معرفة الله تعالى مصعوبة، لا تدرك حقيقة، نبه الشارع عليها فقال: من عرف نفسه فقد عرف ربه(2)، وذلك فيه معنى لا يدركه إلا العالمون، العارفون بعوم بحر التوحيد.

فنقول: أما معرفة الرب فلا نهاية لها، وحيث عجز العبد عنها فهي معرفته، وذلك أن معرفة الشيء هي استناد الصفات إلى الذات، فانتهت المعرفة إلى الذات.

ومن ذلك أن معرفة الشيء بالمثل الموافق له، أو ضده المضاد له. وربنا سبحانه لا مثيل له حتى يعرف بمثله، ولا ضد له في نفس الأمر، حتى يعرف بضده، وأما علمنا به انه ليس له مثل ولا ضد ولا نظير، فحققنا وجوده بآثاره المشهودة.

ثم ننقل الكلام إلى معرفتنا لأنفسنا، فنقول:

إذا عرفت نفسك، فأولها وجودك من نطفة، وجودك نشأ من شيء، ووجود خالقك يستحيل عليه الحدوث، ووجودك يستحيل عليه القدم، فقد عرفت وجود ربك بوجودك بالوصفين المستحيلين عليه وعرفت ربك بأنك مريد ولك اختيار ينقض،وربك مريد وله الاختيار ولا ينقض. وعرفت إرادة ربك بإرادتك، واختيار ربك باختيارك، وأنت مقهور له، وهو ليس عليه قهر. وأنت البصير، وبصرك له البداية والنهاية والتخصيص، وربك بصير، ولا بداية ولا نهاية ولا تخصيص له.

إذن، فقد عرفت بصر ربك ببصرك، والسمع كذلك، وجميع صفاته وأسمائه الكاملة، وصفاتك وأسماؤك ناقصة. ومن هنا يتضح لك معنى قوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه.

وأما معرفة النفس، فأصلها من الطين والماء والريح، وذلك، لما أراد الله إنشاء آدم أمر الملك فأخذ حفنة من تراب ثم عجنها بالماء، ثم أحماها، ثم أرسل عليها الريح حتى تصلصلت، ثم انشأ منها آدم، فكان التصلب منه من التراب، والرطوبة من الماء، وحركته من الريح. وبناه بناء مستقيما، فإذا سكن يسكن على طبيعة التراب، وإذا تحرك، تحرك على طبيعة الريح، وإذا جاد يجود على طبيعة الماء. وخلق الله فيه مجرى الريح ومجرى الماء، فإذا شرب يشرب على طبيعة ري العروق. وقسم الله عروقه بين الأكل والشرب، وخلق فيه إدراكات فإذا جفت عروق مجرى الماء عطش، وإذا يبست مات، وكذلك عروق لذة الطعام، إذا جفت قتله الجوع.

وخلق الله لذة طبع عليها، وخالف بين الطبائع فكل جنس طبعه على لذة مشربه ومأكله.

والبهائم تجد لذة لمشربها ومرتعها، والذي منع الله عنه الرزق منع لذته، فالحمار يعيش بالحنظلة، ويتلذذ بها، والإنسان ممنوع منها، فإذا أراد الله له المنع، خلق له المرارة.

وإذا أراد العطاء خلق له اللذة.

والناس مختلفون في طبائعهم، وهذا كله سبيل إلى أن يأكل كل أحد رزقه، فان الإنسان إذا أراد الله له ما في نفس الأمر يخلق له لذة فيشتاق إلى ماله.

فأهل الطاعة يشتاقون إلى الطاعة حتى ينالوا نشاطا ولذة، كذلك أهل المعاصي يشتاقون إلى معاص الله، وذلك كله بنسبة التوفيق والخذلان، فينبغي للعبد أن يفني عمره بين معرفة ربه، ومعرفة نفسه. فأنك إن عرفت ربك حق المعرفة خفت منه، فان قربك عرفت انه قربك، وان

جافاك علمت أنه جافاك، وان أغناك علمت أنه أغناك، فعند ذلك، انقطعت من الخلق إلى الحق وزال الحجاب بينك وبين ربك، فصارت الخلائق عندك، كمثل، حيث لانفع إلا منه سبحانه فينبغي للعبد إن يشتغل بمعرفة الله دائما، وخدمته حينا بعد حين، والمعرفة ليس لها إلا الدوام من دام على معرفة ربه، سقاه من رحيقه العذب الذي لا يجهل من شرب منه.

ولمعرفة الملك علامات، منها الكرامات التي تظهر على العبد، من غير اكتساب منه فمن خالط باب الملك، تكون عليه علامات ما عنده من الخير، وبالمجاورة ينال الجار من جار الخير خيرا(3)، ومن جاور الشر فشرا، وإنما تضرب الأمثال لذوي العقول.

اللهم أنت الملك الحق المبين، وأنت الحي القيوم، وأنت على كل شيء شهيد، وأنت على كل شيء وكيل، وأنت الغني عن كل شيء، ويفتقر إليك كل شيء، أغث أحبائي بالغيث النافع الوابل الذي لا ضر معه، وادفع عنهم بلاء الدنيا والآخرة هم وجميع المسلمين.

---

1) ب : 44 خ 83

2) نسبه ابن سينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم : رسائل في أسرار الحكمة، جزء3 ص 34 تحقيق الأستاذ مهرن. ونسبه أيضا فخر الدين الرازي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر أنه جاء في الكتب المنزلة : يا إنسان أعرف ربك تعرف نفسك . النفس والروح لفخر الدين الرازي ص 48 تحقيق د. محمد صغير حسن المعصومي.

3) يقول ابن سينا : إنه الملك الذي مهما حصلت في خاطرك جمالا، لا يخالطه قبح ، وكمالا لا يشوبه نقص ... من خدمه فقد أغتنم السعادة القصوى ومن حرمه فقد خسر الآخرة والدنيا، رسالة الطير : 43 – 47 أسرار الحكمة المشرقية.

(ملحق الباب : ... فهو النور قال تعالى : الله نور السماوات والأرض، وذلك ان الإنسان بناه فجعله بيتا فيه مصباح يتوهج يرى به أوصاف المكون الذي حجب عن كل شيء وظهر له كل شيء، وهوالذي أظهر كل شيء، وهو الواحد المتفرد عن كل شيء ، وهو عليم بكل شيء.

كيف ظهور المكون مع عدم المكون؟ كيف تصوير المكون مع عدم المصور؟ كيف وجود المعدوم من غير وجود الموجد له؟ كيف مشاهدتك للمشهودات من غير إشهاد الشاهد؟ كيف تغرك المشهودات بشواهدها وبواطنها مغشوشة؟ يذهب الظاهر عن أعين الناظر ويبقى الغش مع الندامة، والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون .

إن أقامك في مقام مدح فلا تطلبه الخروج منه، فعسى وقت اختياره لم يحن . وربك يخلق ما يشاء ويختار، فإن التأني منه والتعجيل من الشيطان. إرض بالمقام فإن لم ترض تكن قائما فيما أقامك فيه، ويبقى وزر عدم الرضى. فلا تغرك زهرة النفس التي هي أمارة بالسوء. قد تخرج من مقام الإحسان بغرتها، وتاويك إلى مقام الإساءة بشر منها. قد تسخرك بلذائذها الطبيعية، وتاويك إلى المنازل الخبيثة. إن دعتك إلى لذائذ الشهوة المكسلة للأعضاء، ادعها إلى خدمة الطاعة التي هي رأس مالك. إن دعتك إلى مواطن الهلاك، ادعها إلى مواطن النجاة. إن غرتك بالأمراض والسقم ادعها إلى الصحة لأن الأعمال لا تؤخر والصحة وقت مودع لا تدري متى يمضي. فإن حاجتك بامتداد الوقت،فإن كل وقت لله عليك فيه طاعة، ثم الوقت لا تدري مداه. إن مرضت فسيعذرك فيما استطعت من عبادته وساعة الصحة لا عذر لك فيها. وحينئذ لا تبقى لها حجة تغرك بها. وأيضا إن أورد الله عليك وارد طاعته في وقت فاسع لطاعته ولا تؤخرها، فلا تدري هل يورده عليك في الوقت الذي تريده أو يمنعك مانع عن العبادة. الإعراض عن الخير بعد من الله ، والإقبال على الخير قرب من الله. إذا أورد عليك وارد الخير فلم تأخرك عن الطاعة ؟ قد يعطيك في هذه والتي بعدها، فمنه الإعانة في جميع هذه الأحوال والله اعلم.)

الباب الواحد والأربعون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.(1)

أما بعد يا مريد، فها أنا أفيدكم في الفرق بين الوجود الحكمي والوجود العيني.

فأما الوجود الحكمي، فهو الوجود الذي اقتضته القدرة، فهو بالنظر إلى تمكن الفعل، فتمكنها في فعلها أزلا وأبدا هو الوجود لحكمي، وهذا الوجود يجب اعتقاده. ووجود العيني هو الذي له الحدوث.

فإن قلت لا بد أن تبين لي الوجود الحكمي في الشاهد، فنقول:

تجد الوجود الحكمي في المعرفة، فإن معرفتك للموجود لاتنعدم منك بانعدام عينه، فتبقى معرفتك به معك بإعراضه وحيثيته كلها. وهذا الوجود هو الذي ينتج عنه وجود الصور والخيالات كرؤيتك لصور الموتى، وصورة الغائب، وغير ذلك. وما كان من وجود عيني إلا وصدر من وجود حكمي.

وما حكى الله عن الخلق، إلا عن وجودهم الحكمي. فإذا تأملت كتاب الله يحكى عن خلقه، تجد كلامه قديم، وما نسب لهم إلا بوجودهم الحكمي، وان أهل البعث لهم الوجود الحكمي لما وعد الله ببعثهم، فصار لهم وجود حكمي بالنظر إلى ما لقدرة الله فيهم من الإمكان.

وكذرية الرجل في صلبه، فإن الإبن له الوجود الحكمي في أبيه، وذلك أن الوجود الحكمي للإبن حبس عن الموت حتى يخرج منه، وإن الموتى لا قيام لهم حتى ينقضي الوجود الحكمي في الأحياء.

وإن الإنسان مثلا، إذا أراد أن يزرع زرعا أو يحفر بئرا وهو قادر ولم يمنعه مانع، فهذا الفعل يسمى: الفعل الحكمي، فإذا نفذه يسمى: الفعل العيني، وإن الزرع قبل دخول الزرع فيه، فزرعه حكمي لاعيني.

ولا ترى وجودا عينيا إلا من وجود حكمي فإن قدرة الله تمكنت في الفعل تمكنا يستحيل أن يمنع منه مانع التمكن.

وإذا تأملت قوله تعالى: أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم(2)، فوجود خلق المثل هو وجود حكمي، فحكم القدرة التمكن في الفعل أبدا، فلا تقدر لها ساعة تتخلف عن التمكن في الفعل، إنما الترك والفعل في الوجود العيني.

وما نبهتكم على هذا إلا لتعلموا أن هذه الجوهرة هي مزلة الأقدام، فليفرق العارف بين الوجود الحكمي والوجود العيني، حتى لاينسب العزم للعليم، أو ينسب الحدوث للقديم، ويفهم الفرق بين الوجودين.

ثم ننقل الكلام إلى الفائدة التي تفيد المرء في نفسه فنقول:

إن النطفة والمضغة والعلقة جمعهم كل حي، وذلك أن البنية لابد لها من الماء والدم واللحم، فإذا فتق عن المضغة تميز الجنس عن الجنس، والأنوثة والذكورة، لجمعهم لإمكان الحدوث والتغير.

فإن النطفة تغيرت دما، والدم تغير لحما، وأصل كل حي بالتغير فهو متغير الأصول والفروع والأمكنة والأزمنة. فإذا كان الإنسان خلق من التغيير، فكيف يتعجب من تغير أحواله؟ والله تعالى خلق الدنيا للتغير، تأتي بوجه، وترجع بوجه، فمثلها كمثل من يمشي بين الأعداء، يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه.

كذلك، تأتى الدنيا تارة بوجه الصداقة، وترجع بوجه العداوة. وهكذا فإن العقلاء لا أمن لهم بوجه جاءت به، لأنها لا تثبت على وجه واحد.

والدنيا وصفها الشارع بالغرور. أما محل الغرور، فهي الدنيا التي يقدرها الأمل للعبد، والأمل دونه الموت، فتاتي دون الدنيا التي يأملها الإنسان.

وأما الدنيا التي تصلح معيشة العبد فهي محمودة، نعم المطية، الدنيا للمؤمن، بها يبلغ الخير، والشر.. نعم المال الصالح للرجل الصالح.

من عرف علم الشيء نال من خيره وجنب شره. فلا مكان في الأرض ولا في السماء إلا وله مسلك وسبيل يهدي إليه.

هل يكون ملك يهتدى إليه إلا وله طريق تهدى إليه.

الخير والشر، كل له طريقه، فمن أراد طريق الخير، فليطلب أهل الخير فيهدوه إلى الخير، ومن أراد أهل الشر كذلك. من يزرع خيرا، فيحصد خيرا، ومن يزرع شرا، فيحصل شرا.

اللهم أنت الملك الحق المبين، الحي القيوم بديع السماوات والأرض، وأنت العلي العظيم، وأنت على كل شيء قدير، فرج عن أحبائي كرب الدنيا والآخرة. والحمد لله رب العلمين.

---

1) ب : حذفت الحسبلة من الأصل

2) سورة الإسراء الآية 99

(ملحق الباب: الحمد لله الذي أزال الحجاب عن قلوب العارفين حتى شاهدوا قدرة الخالق، بتنجيزها للمخلوقات، وتمكينها للمعدومات في قوله تعالى : أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم. فالسماوات منجوزة بقدرته والأرض كذلك، ومثلهم تمكين. فإن كانت الخلائق لهم بداية ونهاية فباختياره، لا عجزا منه، فما أوجده تنجيز، وما هو معدوم تمكين. فإن شاهدت قدرته على هذه الحالة لم تر قدرتك شيئا. ولو لزمت نهاية قدرته للزم عجزها فيما تناهت عنه وللزم عجزها فيما اخترعته، وأيضا إن صح عجزها بطل اختياره وإن بطل اختياره فيصير مقهورا، وهذا عليه تعالى محال (...ضاعت بقية هذا الباب من الأصل).

وإن الروح أعطيت التصور، فتتصور في كل صورة، ولم تدخل صورة إلا وصفت بالحياة.

ومن لم يعرف حقائق الأشياء حجب عن الفوائد. فإن الإنسان عليه أن يعرف نفسه، ويعرف ربه فما كان إلا الرب وخلائقه.

فإن حققتم بهذا فلا عجب لتغيركم فيما أنتم فيه، فرحيلكم من النطق إلى العلقات دل على رحيلكم من النعمة إلى القحط، ورحيلكم من القحط إلى النعمة، ورحيلكم من الحياة إلى الموت. ومن كان رجوعه إلى الفناء، فلا عجب أن تتغير أعراضه.

اتقوا الله الذي خلقكم ورزقكم، وجلب لكم النفع ودفع عنكم الضر، وأصبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة. أفلا تحمدونه على نعمة الإيمان ونعمة الإحسان ونعمة العافية؟.

ومن حقق رحيله من هذه الدار تجنب فيها أسباب دخول النار، ووقي عرضه من العار، وتجنب صحبة الفجار، وصاحب الأبرار، وهذا يكون إن شاء الله مع أهل الدار التي وعد الله المؤمنين بالجزاء فيها.

اللهم لك الحمد على ما تعطيه من نعمك، ولك الحمد على ما تدفعه من نقمك، فألهم أحبائي حمدا يكون سبب عطائك لهم في الدنيا والآخرة، عطاء دائما غير مقطوع عنهم. آمين يا رب العالمين.

---

1) ب : 13 ع : 14

2) يقول فخر الدين الرازي : إدراك غير المتناهي محال. كتاب الأربعين ص : 220 – 221. ونسب إلى سيدنا أبي بكر الصديق قوله : سبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته.

3) سورة البقرة الآية 255

4) نجد هذا البرهان عند الرازي حيث يقول: إن بدن الإنسان ليس ثابتا مستمرا فهو يتزايد تارة ويتناقص أخرى. ومع ذلك فإن الإنسان هو، هو في الأحول كلها. وفي ذلك دليل على إثبات النفس ومغايرتها للبدن. المباحث الشرقية ص: 224-225

(ملحق الباب : الحمد لله الذي غيب الكائنات، وجعل عليهم مانع منع مشاهدة ذاته العلية ونعوت أوصافه الجلية . سبحنه متنزه عن مانع يمنعه، ولو لزم أن يمنعه مانع للزم تقدم ذلك المانع (...) رؤية الله في الدنيا لأنه قادر على إزالة المانع ، وان كل موجود تصح رؤيته . فإن قيل إنها تستحيل ، فيلزم أن يكون من المعدومات لأن المعدوم هو الذي يستحيل أن يرى . ومولانا جل وعز موجود أتم الوجود فهو سبحانه لاعليه ، وإنما هو سبحانه له ملكوت كل شيء ، وإنما هو الواضع للمانع فتكون الأشياء منعها مانع عنه فهو سبحانه قديم بما له من كمال الصفات، قد كان ولا شيء معه فهو على ما كان عليه، فلا تجوز عليه الأمكنة ولا الأزمنة ولا الحالات المختلفة . كيف وهو المخصص للأزمنة والأمكنة فيكون مخصوصا فيها . غيب الكائنات حتى لا قدرة لهم على مشاهدته ، وحققهم لوجوده بآثاره المشهودة المختلفة والمخصوصة بالأزمنة والأمكنة النائرة المظلمة المنتقلة من حال إلى حال، سبحانك ربنا ما خلقت هذا باطلا ، فخلقت الأشياء لتدل عليك بأنك رب واحد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك في ملكك والقادر على كل شيء من وجود وعدم . فأنت المختار فلا مقهر عليك لوجودها ولاعدمها، طلبت من عبادك أن يعبدوك ويوحدوك في أقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم ، فوحدانية الأقوال بأن يقولوا لا اله إلا الله محمد رسول الله فعند ذلك تحرم دماؤهم وأموالهم، ووحدانية الأفعال بأن لا يكون لهم غرض ولا يراؤون بأعمالهم ولا يروا لأنفسهم تأثيرا اثروا به أعمالهم فيروا الأعمال كلها له ، ويروا التأييد والتوفيق منه . إياك نعبد وإياك نستعين، بأن لا قدرة لشيء ما إلا بك، تفردت بالوحدانية وتفردت بالعلم المحيط الذي لا نهاية له وتفردت بالإرادة التي خلقت بها الموجودات، فجعلت الشاهد على الغائب، بك علم الغيب وبك إزالة المانع، ولو شئت لم تعص، ولو شئت لم يظلم الظالم ولكن ذلك باختيارك وبمرادك وبعفوك على الظالم لقولك تعاليت وتباركت: ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة .)

الباب الثالث والأربعون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يا مريد، فها أنا أفيدكم من المعرفة، فنقول:

كان الله ولا شيء معه، وهو على ما عليه كان، فإذا تأملت معنى كتابه تجد ذلك، فإن كلام الله تعالى لا يختلف.

فإن قلت ما معنى قوله تعالى: وكان الله غفورا رحيما. وكان الله سميعا بصيرا. وكان الله عزيزا حكيما. وكان الله عليما حكيما، وما السر في تكرار - كان، وما السر في تكرار القصص، وما السر في تكرار خلق السماوات والأرض، وكلام الله لا يختلف..؟ فنقول:

أما كان، فإنها كلمة تدل على وصف قدمه تعالى، لا معنى كان، الذي كان ثم زال، فهذه لا محل لها في وصف الله فيقال: كان فلان رجلا صالحا أو فاسقا. وتكون على وصف المدح: كان فلان كريما، ما دام حيا. ويقال ذلك للميت، كان فلان الميت كريما.

وأما كان الله ولا شيء معه، جميع صفاته، ودلت كان على قدمه. وذلك أن القرآن هو كلام الله، واحد، من رب واحد. أما الحروف فإنها حروف تدل على معنى كلي، وإنما تعددت الحروف لأجل (...) (1) فإن الإنسان لا يقدر أن يفهم إلا بالحروف، وذلك من سعة علمه تعالى.

فإن قلت، بين لي قلنا : تجد حرفا واحدا يدل على معان شتى، وهو حرف واحد.

فإن قلت بين لي وزدني إيضاحا، فنقول: لما خلق الله آدم، وعلمه جميع الأسماء، خلق له النقطة التي هي أصل الحروف، فجعلها في قلبه.

فإن قلت كيف علم آدم النقطة؟ قلنا: كتبها الملك نورا، فلم يقدر أن يخرج شيئا. فزادها الملك ألفا، أي صورة من نور، فلم يزل الملك يلهمه الحروف حتى نطق بجميع اللغات. فكل ابن آدم نطق بلغة، فهي من آدم، والأبناء تابعون لآبائهم.

كذلك كل جنس نطق بلغة أبيه، فالحمار نطق بلغة أبيه، والكلب كذلك. وذلك أصله من تعليم الله للأرواح، فإن الله تعالى لما خلق الأرواح أولا، فصل ما فصل وعلم من علم، وألهم ما ألهم في سر لايعلمه إلا هو سبحانه.

ولما خلق أصول الأشياء، نطق الأصل بما كان أولا، فإن آدم نطق بجميع لغات بنيه التي علمها الله لأرواحهم، وهذا سر من أسرار المعرفة، وما قلته لكم إلا لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، ولتعلموا أن الأرواح هي الأصل.

وذلك أن الدنيا على حالتين، دنيا الأرواح، ودنيا الأشباح، ولكل منها إيمان، والأرواح إيمانها إيمان العهد.

فإن قلت بين لي، قلنا: لما خلق الله الأرواح، أخذ عليها العهد فآمنت(2)، فضمن لها أرزاقها، وأجل الآجال. وهذا معنى قول الشارع: فرغ ربك من الخلق، وهذه دنيا تسمى البرزخ. وإن الأرواح هي الأصل، ولما أراد الله خلق الذوات، خلق العرش من نوره، وذلك أن الله خلق بحرا من نور، وذلك النور هو النور الحسي، فخلق منه العرش فكل ما خلق الله من الحسيات تمثاله في العرش. وخلق بحر ماء، فتموج بقدرته تعالى على قدر السماوات والأرض والكرسي، فجمد ما جمد وبحر ما بحر، وهذه هي أصول دنيا الحسيات.

فلم تزل الدنيا خضرة تزدهر بالأنوار، و أثمرت ثمارها، فلم تزل هكذا قدرا لا يعلمه إلا الله تعالى، حتى نزل أبو الجان وغير وغوى، فأرسل الله جندا من الملائكة فشتت الجان، فصاروا في البحار.

ثم هكذا في قدر لايعلمه الا الله تعالى، حتى خلق الله آدم. فقالت الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء،(3) وما قالت الملائكة ذلك على علم غيب من آدم، ولكن قالوه على ما علموه من أبي الجان الذي أفسد في الأرض. فجرى بين الملائكة وربهم ما حكى الله في كتابه. ثم لما خلق الله آدم، وأدخله الجنة، وتسمى دنيا الرحمة، كانت الأرض وما عليها جنة، فعذب ما فيها من الماء، وطاب ما فيها من الثمار، ثم هكذا في قدر لا يعلمه إلا الله تعالى.

ثم عصى آدم ربه، فخرج من الجنة، ونزل إلى الأرض، وتسمى دنيا التكليف. ولما هبط آدم من الجنة، عرض الله الجنة على غير آدم، فلم يقبلوها مخافة عصيان الله. وندم آدم على خروجه من الجنة (...)(4) وهنا جوهرة أفيدكم بعلمها وهي أن خروج آدم من الجنة إنما هو لتفاصيل ما في ظهره(5) من شقي وسعيد، وذلك أن آدم عليه الأمر والنهي في الجنة.

فإن قلت بين لي قلنا: حين أمره أن يأكل من جميع ثمارها، فهذا أمر، ونهاه عن أكل الشجرة، فهذا نهي.

ولما عصى آدم ربه أخرجه من الجنة، وذلك أن السعداء حظهم الجنة كلها، وأن حظ الأشقياء أكل الشجرة، واختبرهم الله بابيهم آدم، فكل سعيد له حظ من الجنة الإرث.

فإن قلت وكيف ذلك الإرث؟ قلنا: الجنة جنات، فجنة الإرث هي التي خرج منها آدم، وهي التي تكون ثواب الفرائض كالصلاة، ورمضان، والزكاة، وبر الوالدين.

وجنة الدرجات هي جزاء النوافل، والشاهد يدل على الغائب، وهذا كله أفضل منه جنة الرؤية، وجنة الرؤية هي جزاء المعرفة.

وما نبهتكم على هذه الفوائد إلا لتجعلوا همتكم في معرفة الله. فالملائكة الذين لازموا ذكر الله تعالى، ويفعلون ما يؤمرون، طيب الله سماواتهم، وجعل موطنهم فيها. ومنها تنزل الرحمة على أهل الأرض.

ذهب العارفون الممتثلون لأمر الله بخير الدنيا والآخرة، والله الموفق الصواب.

اللهم يا حي يا قيوم، يا رحمن يا رحيم، يا عليم يا حكيم، يا علي يا عظيم، يا مدبر يا قدير، يا سميع يا بصير، يا وكيل يا حميد، يا مجيد يا ودود، يا فعال لما يريد يا ذا الجلال والإكرام، فرج كرب أحبائي، وادفع عنهم بلاء الدنيا والآخرة، واجمع شملهم على - لا اله الا الله محمد رسول الله . آمين يا رب العالمين.

---

1) ب : بياض في النسخة الأصلية

2) يذكر الجنيد، أن النفس الإنسانية مطبوعة منذ الأزل على التوحيد قبل وجود النفس واتصالها بالجسم، واستشهد بالآية : وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى – إلى – كنا عن هذا غافلين. عفيفي التصوف ، الثورة الروحية في الإسلام ص 317 – 318. وهي الآية التي تسمى آية العهد ، أي أن الله أخذ من نفوس البشر هذا العهد فأخذوا به وعاهدوه عليه. سورة الأعراف.

3) سورة البقرة الآية 30

4) بياض في النسخة الأصلية

5) ب : ما في بطنه

الباب الرابع والأربعون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يا مريد، فها أنا أفيدكم من العلوم، بما ينتفع به من أراد الله نفعه، فنقول:

خير العلم ما أفادك في النجاة، فإن نجاة المرء في معرفة ربه. فإن معرفة الشيء خير من جهله، وإن معرفة الأشياء ينال منها الخير، فإن كانت خيرا تزداد في مخالطتها، وإن كانت شرا عرفت أن المصلحة في تجنبها.

إن علم الشيء أفضل من جهله ، وأول مصلحة العبد أن يعرف ربه ويعرف نفسه . فإذا عرف ربه حق المعرفة ، إذا خوفه خاف ، وإذا طمع فيه طمعه ، وإذا وعده حقق وعده ، فلا يأمن مكر ربه ويرجو رحمته، فذلك نفع العبد من معرفة ربه فمن حقق معرفة الله لا يلتفت إلى قنوط الشيطان، فإن أكثر ما يأتي الشيطان للعبد من جهة القنوط ، وذلك أن الشيطان قنط من توبة الله عليه ويريد أن يكون العبد قرينه في القنوط مما عند الله .

العبد العارف بالله تعالى متحير فيما بينه وبين الله تعالى ، فلا يدرى ما يحكم الله به ، ولا يقنط من رحمة الله تعالى ، فإن قنوط المؤمن مما عند الله هو من الشيطان .

وهنا حكمة ، أنبهكم عليها وهي أن المؤمن لا يظن بربه إلا خيرا ، والرب لا يعمل إلا خيرا في المؤمنين وذلك أن كل معصية عصى بها المؤمن ربه ، فإن الله يعلم أن مرجع ذلك إلى الشيطان، فأينما غوى الشيطان المؤمن ، تعقب الله مراد الشيطان ، لأنه واش بين العبد وربه وهكذا الأمر .

فالمؤمن على حالتين ، مؤمن كلما وشى الشيطان بينه وبين ربه ، يستعيذ ويطلب الإعانة من الله ، فهذا طرد الشيطان عنه بربه ، ولا يكون ذلك إلا بعد معرفته بربه تعالى .

والمؤمن الذي إذا وشى الشيطان بينه وبين ربه ، يوقع في قلبه بينه وبين ربه، فهذا هو العبد المفتون ، وذلك أن الفتنة أصلها من عدم معرفته بالله تعالى .

فأصل الخير يأتي للعبد من جهة معرفته بالله تعالى ، فإن المؤمن العارف مع ربه على كل عدو .

والشيطان أصل كل شر، والعبد لولا الشيطان لكان كالملائكة الذين لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولكن الشيطان هو سبب الشر وهو سبب الخير على العبد .

فإن قلت بين لي، قلنا: سبب الشر أنه يريد إغواءه ، أما انه سبب الخير ، فإن العبد يذنب ذنبا ، والشيطان هو سبب وقوع العبد فيه ، ثم يتوب الله على العبد ، بسبب توبة العبد من ذلك الذنب ، وذلك أمر بين الله تعالى وبين الشيطان ، فالشيطان طلب التسليط على العبد ، وأعطى الله التوبة للعبد ، وهكذا إلى يوم الفراق ، فنعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ومن شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ، ومن شر الواشي الذي يوشى بين الناس ، فيوقع بينهم العداوة والبغضاء .

وما نبهتكم على هذا إلا لتعلموا أن معرفة الله هي أصل الخير ، فإذا عرفتم ما لله هانت عليكم الدنيا كلها ، ولو كانت في أيديكم جميعها ، لكانت يسيرة فيما عند الله . كيف تكون شيئا بعد قوله تعالى : وما عند الله خير و أبقى .(1)

العبد تشبعه القرصة وملء القدح ، ويقنع بملء الإناء حتى لا يجد مسلكا لشربة ، ولو عرضت عليه الدنيا كلها لجمعها بأمله وطمعه.

لا يقنع ابن آدم إلا معرفة ربه ، أما المال فلا يقنع به ، ولو ملك الدنيا كلها .

فدواء الطمع معرفة الله تعالى ، ولا تكون المعرفة في قلب المؤمن ، ويكون حب الدنيا فيه، فآفة العبد في الدنيا حبها (2).

وذلك أن الدنيا غابة الأعداء ، فإذا تركت الغابة لسكانها سلمت منهم ، وإن دخلت عليهم غابتهم فبحفظ الله تحفظ منهم . احفظ الله يحفظك ، احفظوا أمر الله ، ما أمركم به ، وما نهاكم عنه يحفظكم من الشياطين ، فإن الشياطين هم أعداؤكم .

من له أعداء فليوصد(3) الثغور التي تأتى منها الأعداء . أعداؤكم الدنيا والشياطين ، فالدنيا لابد لكم منها ، فإنها خلقت لكم ، والشيطان معكم يجرى منكم مجرى الدم ، وساكن في صدوركم . والمعصوم منكم من عصمه الله تعالى من هؤلاء الأعداء الذين لا يفارقونكم إلا عند الموت . اللهم كما سلطت إبليس وذريته علينا ، نسألك الحفظ منه . وكما جعلت الدنيا سبب الفتن فلا تفتن أحبائي بإقبالها أو إدبارها ، وحقق لهم ما عندك حتى لا يفتنوا بما عندهم .

نسألك اللهم النجاة مع الدين في هذا الزمان الذي بان فساده ، وكثر فسقه ، وقطعت أرحامه وكثر سفك دمائه ، فلا حول ولا قوة إلا بك .

يا محول الأحوال ، حول حال السوء عن أحبائي دنيا وأخرى . آمين يا رب العالمين .

---

1) سورة القصص الآية 60
2) ب : ساقطة
3) ب : يرصد

الباب الخامس الأربعون

الحمد لله ولا اله الا الله الله اكبر ولا حول ولاقوة الا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل .

أما بعد يا مريد، فها أنا أفيدكم من علم المعرفة ، فإن معرفة الله أصل وغيرها فرع ، فإن عرفت الأصل هانت عليك معرفة الفرع .

فنقول : إن من فائدة معرفة العبد لله أن تورثه الخشية منه فقال تعالى : إنما يخشى الله من عباده العلماء .(1)

فإن قلت هل معنى الآية أنما يخشى الله العلماء ، ومن لم يكن عالما لا يخشاه ، فنقول : إن الخشية أمر زائد تكرمة من الله ، فتلك الكرامة لا ينالها إلا العلماء .

فإن قلت وهل هذا العلم علم الأوامر والنواهي أو علم المعرفة فنقول : القرآن كلام الله والله أعلم بمعنى كلامه ، فهذا يفسر بقوله تعالى : شهد الله انه لا اله إلا هو والملائكة وألوا العلم قائما بالقسط لا اله إلا هو العزيز الحكيم (2).

فألوا العلم هم العالمون بالله وأوامره . وفسر هذه الآية بقوله : ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات .(3) فهذه الآية جمعت حالة أهل إرث الكتاب ، ثم فسرت بقوله تعالى : الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ،(4) فتساوى المؤمنون في الخروج من الظلمات إلى النور . ثم فسرت بقوله تعالى : ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون (5). فإن الأولياء ، الذين خافوا ربهم ، فهم على معرفته أمنهم من خوفه أي أمنوا من خوف العقاب، وأما أمانهم من الحزن فإن من شفعوا له شفعوا فيه ، فإن الشفيع إذا لم تقض حاجته حزن .

فإن الناس على مراتب في المعرفة ، فمنهم القوى ومنهم الضعيف ، والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.(6) فإن معرفة الله لانهاية لها ، فإن الأنبياء متفاوتون في المعرفة والصالحين متفاوتون فيها ، والكل يختبر الله معرفته بالبلاء .

فالأنبياء أشد الخلق بلاء والأمثل فالأمثل، وذلك أن قوي المعرفة أصبر على البلاء من ضعيف المعرفة، فإن أيوب عليه السلام اختبر الله إيمانه بالبلاء ، فاختبره بالمال ولم يتزلزل إيمانه، واختبره بموت الأبناء فلم يتزلزل إيمانه، واختبره في دينه فلم يتزلزل إيمانه، وذلك كله بإعانة الله وتوفيقه لنبيه. فإن البشرية رجوعها إلى الفناء ، والمال كذلك والأبناء كذلك، فحفظ الله إيمان نبيه وكذلك جميع الأنبياء لاسيما أولوا العزم منهم، فاختاروا حفظ إيمانهم على حفظ أموالهم وأبنائهم وأنفسهم.

ألم يان للمؤمنين أن تكون لهم أسوة بالأنبياء فيصبروا على البلاء كما صبر أولو العزم؟

إن ما ترون من القحط والأمراض والكدر إنما هو اختبار الله تعالى لعبيده حتى يتبين الصادق والكاذب.

فإن الصادق لو ابتلاه الله تعالى غاية البلاء ما زعزع ذلك دينه، وضعيف الإيمان يزعزعه شيء خفيف من البلاء. فالله أعلم بمصالح عبيده. فمن الناس من لو دام عليه البلاء لكفر. ومن الناس من لو دامت عليه النعم لكفر. ومن الناس من لو افتقر لكفر. والله أعلم بمصالح عبيده فإن الله لا يعترض عليه في فعله وحكمه. فقال تعالى: لله الأمر من قبل ومن بعد.(7)

لو أراد الله بالناس خيرا لشغلوا بخوف ربهم الذي خلقهم ورزقهم، فكيف يكون القنوط من العبد بعد قوله تعالى: وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان (8) وكقوله تعالى: وهو الذي ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد.(9)

وقال تعالى: إن رحمة الله قريب من المحسنين.(10)

العارفون بالله إذا أنزل الله عدله يرجون رحمته، وإذا أنزل رحمته يخافون عقابه، فهم آخذون بالرجاء والخوف.

والجاهلون يأخذون بالشاهد على أية حالة كانوا، وذلك من نقصان معرفتهم بالله تعالى.

العالم العارف أخشى لله من غير العارف، فالمعرفة لها فوائد منها: أن الله إذا علم من العبد معرفته قربه إليه ومنحه التوفيق الذي هو أصل القبول من الله تعالى.

ومنها أن يقويه على صبر البلاء حتى ينال من الصبر درجات، فإن الصبر من وراء الحوائج . فإن الإيمان عطية من الله تعالى ولا يعطيه إلا للسعداء. فإن الله إذا أكرم العبد بمعرفته زوى عنه الدنيا التي تلهيه، عن معرفة الله، فيظن العبد أن انزواء الدنيا إهانة من الله له، بل هو أكرمه بانزوائها عنه، وذلك أن الإنسان لا يعلم رزقه في الدنيا، وما زاد على رزقه فهو لهو له، فإنما بيد العبد من الدنيا غير رزقه فهو رزق غيره. فإذا أحب الله عبده لا يلهيه برزق غيره، فالدنيا كلها خلقت لأرزاق الخلائق وقسمتها بين خلائقه، فمنها الرزق، ومنها الكسب، فالكسب بين الخلائق والرزق غير مشترك..

فالعارفون الحامدون لله تعالى استراحوا من خدمة الخلق ولم تفتهم أرزاقهم.

الرزق مضمون والعبد مجبور في قالب المختار، يقلب قلوب الخلائق حيث شاء، والله الموفق للصواب.

اللهم يا حكيم يا عليم، يا غفور يا شكور، يا حي يا عظيم، يا وكيل يا عزيز، يا علي يا عظيم، يا كبير يا متعال، يا ذا الجلال والإكرام، يا رحمن يا رحيم، يا وهاب يا هادي اهد أحبائي على طاعتك واجعلهم في كنف، وجد عليهم من فضلك الواسع يا ذا الفضل العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فأنت العليم بجميع الأقوال والأفعال وأحوال أهل الإضطرار، أزل اضطرار المضطرين من أحبائي وتب على المذنبين من أحبائي ومذنبي أمة محمد صلى الله عليه وسلم آمين والحمد لله رب العالمين.

---

1) سورة فاطر الآية 22
2) سورة آل عمران الآية 18
3) سورة فاطر الآية 32
4) سورة البقرة الآية 257
5) سورة يونس الآية 62
6) الحديث ورد في صحيح مسلم
7) سورة الروم الآية 4
8) سورة البقرة الآية 186
9) سورة الشورى الآية 28
10) سورة الأعراف الآية 56

(ملحق الباب : الحمد لله الذي حقق قلوب العارفين فتجردوا عما سوى الله (...) ترى الواردات من الله ، والتقالهم من الله . فان حققت بهذا فلا ترى إلا الله، فإن أقامك بين الناس أنت من جنسهم فلا تأثير لهم، ولكن من الله عليك إن منعك منهم، وإن ألهمك الشكر على رزقك التوفيق والطمأنينة على العبادة فاعلم أنه أشار عليك بالقيام معهم وأما التجرد في الفلاوي فلا تلزم منه الطاعة، ألا ترى السارق يرق عادة في خلوته؟ ألا ترى لصوص الوحوش تجردوا في الفلاوي.

فحقيقة التجرد، من تجرد مع الله فيتأنى به ويتقوى به ولا يتكل على غيره .إن تجردت لله فلا حرج عليك في القيام بين الناس فيعصمك من الناس، وإن تجردت عن الناس بما ترى منهم فقد تجردت لغير الله، إن عصمك كفاك متجردا وغير متجرد. إذا كنت له فهو حافظك ، إن عملت له أخضع لك رقابا لم تستقيم عادة إلا بالسيوف القاطعة . إن خضعت له رفعك فوق ظنك وعلى غيرك، فلا رفع مع ترفعك على الغير، إن رفعت نفسك مع عصيانك جعلك من أسفل السافلين ، وإن تواضعت له جعلك من أرفع المرفوعين . رفع الله تبارك وتعالى هو الرفع الحقيقي ووضعه هو الوضع الحقيقي . وحقيقة الوضع له أنك إذا نظرت إلى أصل ما أنت فيه بأنك نطفة ثم رجوعك إلى جيفة منتنة ، فتتواضع له حين نهرك ونهاك وأمرك. إن الذوات كلها من نطف ورأيت أنها فانيات حينئذ لم يفضل ربك ذات على ذات الا من قطع لها بالفضل.

ألا ترى الأنبياء هم أفضل الخلق ومع ذلك يخضعون ويدارون غيرهم ويحسنون الأدب ويتجاوزون عمن جفاهم، وذلك كله حكمة جعلها الله فيهم، ينال منهم الخير فهم منشأ الخير وقد نور الله بواطنهم وظواهرهم فخضعوا لربهم، فلذلك رفعهم الله وجعلهم فوق خلائقه. ان نجوت بالله وتواضعت بمحبته باتباع أمره ونهيه رفعك إلى منزلة لا تدركها الأبصار ولا تمثلها النظار. خضوعك له حين شعرت نفسك وضم سمعك وعمي بصرك ولم يبق إلا هو.)

الباب السادس والأربعون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يا مريد، فمن يطلب منا الدعاء فعليه أن يتقي الله تعالى، فإن الدعاء باب من أبواب الطاعة، وما من حالة من أحوال العبد إلا ولله باب يقابل تلك الحالة، وباب الله واسع.

وتلك الأبواب مفتوحة ومغلقة، فإذا أراد الله فتح باب من تلك الأبواب، فيفتح قلب العبد فيتسع وينتشر فيلهمه الدعاء كي ينال العبد الدخول في تلك الأبواب.

وإذا أراد الله غلق باب من تلك الأبواب فيغلق قلب العبد ويسلبه الإنشراح ويكبل لسانه عن الدعاء. فمن أراد الله له الخير فيلهمه الدعاء فإن الدعاء في المثل كالسهام المرمية، تارة تصيب وتارة تخطئ. ودعاء المؤمن الخالص لا يخطئ إما أن يجعل له في الدنيا، أو يتأخر له إلى الآخرة، وذلك بحسب مقامات العباد عند الله، منهم من يختار الله له تعجيلها في الدنيا، ومنهم من يدخرها له في الآخرة.

فالعاقل إذا طلب ربه بالدعاء حاجة ولم يعجلها له في الدنيا، فلا يظن بربه إلا خيرا في جميع حالاته. فحسن الظن بالله واجب. فإن العبد إذا ألح على ربه فإن الله تعالى يفرج عنه بسبب ذلك الإلحاح، ومنه إذا أظهر فاقته لربه.

وعادة الداعي إذا دعا ربه أن يكون محتاجا إليه، فإذا علم العبد انه محتاج إلى ربه وعلم أن احتياجه لا يزيله إلا ربه، فصار عبدا مقرا بربوبية ربه.(1)

ومنها رجوع العبد إلى ربه، ورجوع المخلوق يدل على انقطاعه عن الخلق فقال تعالى: وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له (2). فهذه حكمة جعلها الله تعالى، وهي أن العبد إذا انقطع عن الخلق، وأناب إلى الله كفاه الله ما يخاف من عدو وفقر. قال تعالى: ومن يتوكل على الله فهو حسبه.(3) أي كفاه من مهام الدنيا والآخرة.

واعلم أن الله تعالى أقرب إلى العبد من كل شيء، ولا يمنع العبد من قرب الله إلا ذنوبه. وأما الله سبحانه فإن بابه مفتوح لكل من أراد الدخول فيه. ولكن ما كان التوفيق للدخول إلا بتوفيق الله تعالى .

ومن أراد أن يستجاب له في الشدة فليدعو الله في الرخاء. إن لله ساعات لا يرد فيها الدعاء، وتلك الساعات مخفيات ولكن تلتمس عند فراغ المطيعين من صلواتهم، وعند انتباههم من نومهم فذلك موطن الإجابة.

فإن قلت بين لي قلنا: إذا صلى العبد صلاته على ما أمر به الشارع فتلك هدية أهداها العبد لربه. وحاشا الله أن يخيب ظن من أهدى إليه هدية.

والقيام من النوم هو في المثل شبه البعث، فإذا نام الإنسان فقد مات الموت الأصغر، فإذا أيقظه الله تعالى من نومه، فليحمد الله ويدعو لعل الله يستجيب له . فخير ما يطلب العبد من ربه التوفيق، فإن العبد إذا وفقه الله تعالى سلم من خسران العمل. وعلامات التوفيق الدوام على العمل الصالح، بحيث لا يتكاسل(4) وتقوى همته على عمله وذلك كله بيد الله تعالى. فقال تعالى حاكيا عن نبيه: وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب.(5) ثم ننقل الكلام إلى التناجي فنقول: قل للسائل يدعو ويناجي بهذا الورد المبارك وهو: يا الله الكبير المتعال، احفظ الأقوال والأفعال، وثبت القلوب والألسن عند السؤال وجد علينا من فضلك وأغننا عن السؤال إلا لك، يا ذا الجلال

والصبر والحمد وزدنا منه زيادة الرب الكريم، لعبده الضعيف، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم اعل قدرنا واحفظ أنفسنا وأموالنا من حسد حاسد يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعال لما يريد أنت الولي الحميد أرنا نعمتك بدوامها علينا، وعرفنا نفوسنا حتى نرجع إلى أوامرك، ولا تهملنا مع نفوسنا وشياطيننا، وكن لنا في الرخاء والشدة وألهمنا الإصابة ووفقنا للإنابة.

يا هادي اهدنا فيمن هديت ولا تفتنا إن ابتليتنا، وأدم علينا منة الإيمان ونبهنا من غفلاتنا حتى نذكرك ذكر الذاكرين، ونخشع لك خشوع الخاشعين، ونركع لك ركوع الراكعين، ونسجد لك سجود الساجدين، ونتقيك تقوى المتقين، ونصلي لك صلاة المقربين، وننفق لوجهك نفقة المنفقين، هذا كله مع توفيقك لنا يا رب العالمين يا أرحم الراحمين ارحم واغفر وتب على الزائر وعلى جميع أحبائي وجميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم آمين.

---

1) ب و خ : قطوعه
2) سورة الزمر الآية 54
3) سورة الطلاق الآية 3
4) ب : يكسل
5) سورة هود الآية 88

الباب السابع والأربعون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل. (1)

أما بعد يا مريد، فها أنا أفيدكم من أسرار المعرفة فنقول:

لا اله إلا الله هي أصل معرفة الله تعالى. فلا اله إلا الله احتوت على أسرار المعرفة، فلذا قلت حروفها، وكثر معناها. فإن حروفها تحتها من العلوم ما لا يعلم منتهاه إلا الله تعالى.

والطريق إلى الله تعالى على مراتب منها:

طريق السالكين، وهي طريق الشاهد فيستدلون بالخلق على الخالق، فأول ما يستدلون به تغير الخلق، وكل متغير حادث، والحدوث هو منتهى علم صاحب النظر، وكل حدوث فلا بد له من محدث أحدثه.(2)

والطريق الأخرى هي طريق أهل المعرفة، فيستدلون بأسمائه تعالى عليه فإن الإسم يدل على المسمى.

فإن قلت بين لي واشرح لي فنقول:

العلم يدل على العالم، والعالم يدل على العلم، والعلم صفة يتصف بها العالم بعد ثبوت حياته فلا يكون عالما إلا حيا، ولا يكون قادرا إلا حيا، وهكذا في جميع المعاني. فإن الحياة هي الجامعة لصفات المعاني، فإن العبد سميع بصير قادر مريد، والأسماء المشتركة هي التي جمعت الحياة. وإن الله حي قديم، والعبد حي حادث، والله عليم قدير قديم، والعبد قادر عالم وحادث.

فإن الحدوث والقدم هما الموصفان اللذان يفصلان بين العبد وربه في الأسماء المشتركة، فالمعرفة سلم شتى.

ثم ننقل الكلام إلى الفرق بين أسماء الجلال والكمال والجمال فنقول:

أسماء الجلال هي الأسماء التي لم ترد على الخلق، والأسماء الواردة هي أسماء الجمال لكن الأسماء في نفس الأمر واحدة. فإن قلت بين لي قلنا:

أما بالنظر إلى قيامها في الذات فهي واحدة، وأما بالنظر إلى ورودها على الخلق فليس عليهم إلا أسماء الجمال، فإن الإسم إذا أفاد اتصف به الرب، وإذا لم يظهر له معنى في الغير فهو إسم الجلال.

وما نبهتكم على هذا إلا لتعلموا أن لا اله إلا الله احتوت على أسماء الجلال والجمال، فإن الإسم الجامع للمعاني هو الإسم الذي به الإيمان، فإن من فوائد حروفها أن الألف به خروج الحروف فإن الحرف المنطوق لا يتحقق خروجه إلا بالألف، فإن الألف لها معنى في جميع جهاتها.

فإن قلت في كلامك: فاء فهاهي أخرجت الفاء، وإن أردت جزم الحرف فأرجعه على الحرف ثانية فتقول: أف، أك، وهكذا في جميع الحروف.

فلام الإسم تفيد الملك لصاحبه إما حاضرا أو غائبا، تقول في المثل: لي ملك كذا، ولك ملك كذا، ..وفعلت ذلك الأجل كذا...وتقوم مقام الجواب، أفعلت كذا.. فتقول في الجواب: لا. وتكون العاقبة للشيء والعاقبة للمتقين. فهذا كله من العلوم والإفادة التي تحت حيطة هذا الإسم الأعظم.

ومنه هاء هذا الإسم، فكل هاء دل على الجمع والتشبيه فهو إسم الهوية أي حرف دل على غير الشيء .

فإن قيل ما وصف فلان فتقول هو كذا وكذا.. وقال تعالى: الله لا اله إلا هو(3)، ولم يظهر له معنى، فخرج نعته بقوله تعالى: هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.(4)

هو الذي خلكم من طين(5) .هو .. هو.. فما أبهمت هو ظهر باسم الإشارة، وهو الذي أنزل من السماء ماء.(6) وهكذا إذا تأملت نعوته تعالى تجد نعته خرج تحت معنى الإسم الأعظم. فالألف واللام حرفان من اسمه الله، والحاء والميم والنون خرجوا من الرحمن. فالنون نون الورود وهي نون التكوين، أي كون رحمتي لعبدي. وقال تعالى : إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.(7) فكل ألف أو لام أو هاء فهو دال على هذا الإسم.

وكل كاف ونون هما كاف التكوين ونونه. وكل حاء وياء فهما حرفا الحي، فالحروف تدل على الأسماء وتعريفها بإسمه الأعظم.

فإذا تأملت هذا السر يظهر لك معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله. فإن الحروف كلها أصلها من حروف إسم الله تعالى. لا اله إلا الله تنفي الفقر، لا اله إلا الله تجلب الخير، لا اله إلا الله بها غنيمة الدنيا والآخرة، لا اله إلا الله تهدم الذنوب هدما، لا اله إلا الله تبطل الكهان، لا اله إلا الله وصف المنان، لا اله إلا الله قديم الإحسان.

لا اله إلا الله الحي العظيم، لا اله إلا الله رب العرش العظيم، لا اله إلا الله وصف الكريم، لا اله إلا الله تقي من نار الجحيم، لا اله إلا الله عليها مدار الإسلام.

لا اله إلا الله خير الكلام، لا اله إلا الله الحي القيوم، لا اله إلا الله الذي لا يشغله شأن، عن شأن، لا اله إلا الله الحميد المجيد، لا اله إلا الله الودود، لا اله إلا الله الواحد الأحد الصمد، قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد. لا اله إلا الله الواحد في السماء والأرض، لا اله إلا الله الواحد القهار، لا اله إلا الله الرزاق الفتاح.

لا اله إلا الله الولي الحميد، لا اله إلا الله المحيي المميت.

لا اله إلا الله الذي لا يغفل عن شيء، لا اله إلا الله الذي لا ينسى، لا اله إلا الله واسع العلم، لا اله إلا الله الخالق للفهم، لا اله إلا الله العفو الغفور، لا اله إلا الله الشكور.

اللهم بجاه أسمائك الحسنى وبحق لا اله إلا الله وعظمتها عندك عظم قدر أحبائي عندك وفرج عنهم كرب الدنيا والآخرة هم وجميع المسلمين آمين.

---

1) ب : 43

2) يقول الرازي : العالم أعيان وأعراض، لا يخلو عن الاعرض، والأعراض من حركة وسكون واجتماع وتفرق أو ألوان أو طعم – حادثة، وحدوثها ثابت بالحس والمشاهدة، وكل ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، وكل حادث لابد له من محدث أحدثه: المباحث الشرقية ج : 2 ص 450

3) سورة البقرة الآية 255

4) سورة الحديد الآية 3

5) سورة الأنعام الآية 2

6) سورة الأنعام الآية 99

7) سورة يس الآية 82

(ملحق الباب:الحمد لله الذي سطع نور الحق في قلوب أوليائه فاستدلوا عليه بالنظر، منهم من سلك بنظره بالخلائق على الخالق، ومنهم من استدل بنظره بالخالق على الخلائق.

الخلائق .

والمجذوبون استدلوا بالخالق لأن الفعل لا يعقل فعلا إلا بعد معرفة فاعله (...) وحقيقة الأشياء هو علمهم وإلا لم تعقل. فإن عرفت حقيقتك، عرفت ربك لقوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه.

الحمد لله الذي قام به كل شيء حسي ومعنوي، فإن عرفت مالك على الحقيقة فتجب المنة عليك حين أوجدك من عدمك، فإن قلت فما حقيقة المنة؟ من عليك بأن أوجدك ولو لم توجد لما عرفته. ومعرفته هي المنة التي لا تحصى. ثم علمك بعد جهلك، فنفس المنة بأن علمك بعد جهلك، ومعرفته هي نفس المنة. ولو كنت معدوما أو جاهلا ما عرفته. ثم نورك بكل ما به تسمع وتبصر وكلمك ولم تكن متكلما ومنته بأن كلمك، وهو من أوصافه بأنه كليم. فكل ما جاد عليك بأوصافه ونقلك من أوصافك، فقد قربك إليه ومن عليك بالنعمة التي لا تحصى. وجودك منيحة لتعلم أنه لا اله إلا هو، والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون. فأي نعمة وأي شكر تستحقها هذه المنيحة التي هي سبب المعرفة. ولو لم ينور فؤادك ما عرفت قدمه ولا عرفت بقاءه، ولا عرفت حدوثك، ولا سمعت وعظا ولا شاهدت آية فاذن، محل النعمة والشكر معرفته بأنه واحد لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

ليس معه أحد حتى يكون العطاء لغيره، ولا موجود على الحقيقة إلا هو حتى يتصف أحد بالوجود، ولا عالم على الحقيقة حتى يتصف أحد بالعلم غيره. فأين موجود غيره؟ وأين قادر غيره؟ وأين سميع غيره؟ وأين بصير غيره؟ وأين حاضر أقرب منه؟ وأين عالم أعلم منه؟ وأين قادر أقدر منه؟ وأين سامع أسمع منه؟ وأين بصير أبصر منه؟ وأين متكلم ككلامه؟ فما هو إلا هو لا اله إلا هو بديع السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.)

الباب الثامن والأربعون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يا مريد، فها أنا أفيدكم من فضائل ذكر الله تعالى فنقول:

العلم يشرف بشرف المعلوم، فإن أفضل العلوم علم المعرفة. فإن قلت بين لي قلنا: من فضائل المعرفة أن العبد متى ذكر الله خالصا تحتت(1) ذنوبه. وإن الذاكر يأمن الصواعق، فإن الذكر حصن للعبد لأن الشيطان لا يتمكن في الذاكر، فإن إسم الله كامل المعنى، حصن للعبد من البلاء.

والسر في ذلك أن إسم الله لا يقدر عليه الشيطان، فهو كالشهاب في السماء. وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا(2). فإن كثرة الذكر تنفي الفقر في الدنيا والآخرة، فان الإنسان في نفسه ذاكرا لله. وإن من شيء إلا يسبح بحمده.(3) فهو من الأشياء. ولا يغفل عن الذكر إلا من مسه الشيطان، فإن الإنسان إذا تمكن فيه الشيطان لا يقدر على سماع الذكر، قال تعالى: وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون(4)، فالعزل الذي ذكر الله هو عزل الشياطين عن سماع الوحي من السماء فإذا تمكن في الإنسان يعزل عن الذكر لعزل قرينه.

واعلم أن الغفلة عن الذكر إنما هي من الشيطان، ولولا الشيطان ما غفل المؤمن عن ذكر الله تعالى ولا (5) كانت الملائكة اكثر منه ذكرا، ولكنه مفتون بالشيطان. فالمؤمن على حالتين، حالة يكون أسير الشيطان، وحالة يكون مجاهدا والمجاهد تارة، بتارة. والكافر استحوذ عليه الشيطان، فصار عبدا للشيطان. وأما المؤمن الذي أسره الشيطان فلا يأسر منه إلا لسانه، وقلبه مع الله تعالى، وكذلك فإن أسير المؤمنين إذا أسره الكفار يكون قلبه مع المؤمنين، كذلك أسير الشيطان.

وأما المجاهد فإن الله يعينه على مجاهدة الشيطان.

فإن قلت: هل أعظم مجاهدة الشيطان من مجاهدة الكفار فنقول:

إن مجاهدة الكفار أعظم أجرا، فإن أجر العامة أكثر من أجر الخاصة، ولكن مجاهدة العداوة الدائمة للشيطان لا تدفع إلا بالذكر، والذكر لا منتهى لثوابه، وما نال الناس تمكن الشيطان منهم إلا من غفلتهم عن مجاهدته، فإن من غفل عن عداوة عدوه يسعى في تمكنه منه، وإن الشيطان لا يغفل عن عداوته للإنسان، فهو مسلط على الإنسان.

وقد طلب إبليس التسليط على آدم وذريته، وطلب آدم الإعانة من الله تعالى، فأعطى الكل منهما حاجته. فإبليس مسلط والإعانة له من الله، وابن آدم مفتون بتسليط إبليس عليه وأعطاه الله الإعانة عليه، وتلك الإعانة لها سر. فإن قلت : بين لي قلنا: إن إبليس عدو يجري من الإنسان مجرى الدم(6) في العروق، ولا يرى ولا يغفل، ولا يقدر عليه ابن آدم وحده، فجعل الله إسمه الكامل مصاحبا لابن آدم، فإن الإسم يدل على المسمى، فكأن المؤمن مع الله على مجاهدة إبليس. والمعية مع الله ثابتة بقوله تعالى: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا.(7)

فإن قلت ما السر في بداية معية الله تعالى بالرابع دون الثالث والثاني والواحد، فنقول الله أعلم بمراده، وأنا أقول: إن الرابع يزيل وحشة الثالث، والثالث يزيل وحشة الثاني، والثاني يزيل وحشة الواحد ومنشأ الوحشة في الوحدة، فبدأ بالرابع الذي يزيل الوحشة.

والمعني، إذا كان مع الرابع والخامس والسادس فأكثر، فكيف بالثالث والثاني والواحد، وهذا من أسرار المعرفة، فلذا أخبرهم في آخر الآية: ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا.

فإذا كان الإنسان قد حقق معية الله تعالى، وحقق معية الشيطان، فعليه أن يستعين بالله تعالى على عدوه.

فالمؤمن على نور من ربه، حتى يفتنه الشيطان، فقال تعالى: يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة.(8) وقال تعالى: واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة.(9) فإن المؤمن ما نسب الله له الكفر، وإنما نسب له الفتنة لما يعلم الله من سبب فتنة الشيطان. والله الموفق للصواب.

اللهم أنت الملك الحق وأنت على كل شيء قدير، وأنت على كل شيء وكيل، وأنت الحي القيوم، أحيي قلوب أحبائي بمعرفتك وأنقذهم من فتنة الشيطان الرجيم، وألهمهم علما نافعا ووسع عليهم أرزاقهم، وكن لهم في الرخاء والشدة واحفظ أديانهم وأبدانهم وأموالهم من الجوائح والصواعق والمهالك وادفع عنهم بأس من له باس من عبيدك، وامنحهم من فضلك الواسع ما يسكنون به نفوسهم وارحم بلادهم وأسطع أنوارهم واغفر لهم ولجميع المسلمين آمين آمين يا رب العالمين.

---

1) ب : كذا في الأصل
2) سورة الأحزاب الآية 41
3) سورة الإسراء الآية 44
4) سورة الشعراء الآية 210
5) ب : لم
6) ب : ساقطة
7) سورة المجادلة الآية 7
8) سورة الأعراف الآية 27
9) سورة الأنفال الآية 25

(ملحق الباب : الحمد لله الذي جعل القلوب وعاء العلوم بحيث يعقل العالم علوم الباري وذلك أن القلب له ثلاث حالات إحداها أنه يملكه إبليس وجنوده فلا تقطر عليه قطرة نور ولا يكتسب من الخير شيئا فدخل في جملة الذين قال الله فيهم: أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم وأولئك هم الغافلون.

والثاني أيده الله بشيء من نوره يرى به فهذا اشتد حربه مع إبليس تارة يأخذها منه وتارة يعصم منه فهذا من جملة الذين قال الله فيهم : خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم . وبما أن المؤمن يذنب ثم يتوب، فهذا اشتدت مبارزته مع النفس وجنودها. والثالث أورد الله عليه أنواره وأيده بإمداد النور، وأزال عنه الظلم فهو محفوظ بإذن الله. فهذا لما وصل وشهد المكون بعين الحق، صارت الخلائق معدومة عنده فعصمه الله منهم بأنه توكل على ما شاهد وأمن مما خاف فاستراح، لأنه رحل وترك للأعداء حماهم بلا مقاتلة معهم على شيء. ترك لهم الدنيا ودارا بها فلا مختل للأعداء ولا قتال لهم والحرب على الدنيا، فلو تركوا الدنيا لاستراحوا من أعدائهم ولكن أحبوها فوقعوا في رياض الشيطان فأهلكهم.

الجوارح تدلك على ما في القلب، فمن أراد أن يبارز النفس والشيطان فليلازم ذكر الله بالمعرفة إذا ذكره بأنه عارف له.

نسأل الله أن يعصمنا وأحباءنا والمسلمين والمسلمات ويخص من زارنا ويرفع بنوره من كان محبا لنا آمين يا رب العالمين.)

الباب التاسع والأربعون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يا مريد، فهنا فائدة أردت أن أفيدكم(1) بها وهي أول الذكر، الذي منه تعرفون أول الحروف ومنشأ البركة، فنقول: أنا الله لا اله إلا أنا.(2) فإن قلت ما السر في هذه الكلمة المنفصلة عن محمد الرسول الله، وكان أولها أنا، وكلمة الشهادة المتداولة أولها لام النفي، وقرنت بالشهادة على رسالة الرسول فنقول:

ذلك أنه(3) لم يكن في الوجود إلا هو، فقال مقرا بوحدانيته، أقر بنفسه لنفسه، لقوله: لمن الملك اليوم لله الواحد القهار.(4) فلما اقر بنفسه لنفسه بدأ الكلام بالألف وختم بها فقال : أنا الله لا اله إلا أنا، فبدأ بأنا وختم بأنا.

ولما خلق العرش وهو أكبر المخلوقات فتعاظم العرش في نفسه فنزلت كلمة الوحدانية، لا اله إلا الله فسكن العرش بإذن الله. فلما خلق الملائكة ألهمهم سبحان الله، فلما خلق آدم ألهمه الحمد لله، فلما دخل إبراهيم النار ألهمه حسبنا الله، ولما حوصر نبينا ألهمه حسبنا الله ونعم الوكيل، ولما كثرت الخلائق وظهرت الجبابرة أنزل لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فهؤلاء تلاد الذكر. فالألف هي(5) أول الحروف ونون أنا هي نون التكوين.

فإن قلت لم أبدأت بلام النفي فنقول: لما كثرت الأصنام وعبد أهل الأرض غير الله تعالى، بدءوا بالنفي وأخرجوا الإثبات، وتوحيد الله لنفسه بدأ بنفسه، وأخر نفي غيره فقال: أنا الله لا اله إلا أنا، كأنه قال: أنا الله مقرا بوحدانيتي الإيمان خلقي، لا اله إلا أنا. ثم فسر الضمير كأن قائلا قال: من أنا؟ فقال أنا الله.

فإن قلت من هو الله؟ قيل : هو الرحمن، فان قلت من هو الرحمن؟ قيل : هو الرحيم، فأسماء الله نعوت كلها لأسمه الله تعالى، والله نعت لاسمه أنا، وأنا هو توحيده لنفسه، واسمه الله هو توحيد خلقه، فمن قال لا اله إلا الله، وقال سبحان الله، وقال الحمد لله، وقال حسبنا الله وقال الله اكبر، وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فقد شارك أهل السماوات والأرض في ذكرهم، وشاركهم في أجورهم، وقدر التحديد لا يعلمه إلا الله، وتحديد الأجر لا يكون إلا من الشارع، فهذه الكلمات محتوية على علم كثير.

ثم ننقل الكلام إلى الذب عن الأنبياء وتفسير ما نسب إليهم في الظاهر ليدل على نقص مراتبهم لمن لا يعلم العلم حتى يثبت لهم النقص.

من ذلك ما نسب لسيدنا يوسف عليه السلام حين هم بالمرأة، فنقول:

الهمة هنا همتان، همة الطبيعة الراسخة وهمة الإختيار، فإن العبد إذا رأى ما يحبه تحركت همته طبعا، هذه الحركة ليس عليه منها شيء. والتي بعدها همة الاختيار، فهذه هي التي عليه فيها أمر الله، كالنظرة الأولى لك ، والثانية عليك.

وهمة يوسف عليه السلام هي همة الطبيعة، ولم يهم بعدها، لولا برهان ربه لهم بها(6)، ولكن من الله عليه بالعصمة من همته الثانية، ولذا فسرها الله تعالى بقوله: ولولا برهان ربه، إلى .... كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء.(7)

واعلم يا مريد أن الله تعالى يمن على أنبيائه بالتوفيق، إذ لولا توفيقه لهم لكانوا كالخلق، ولكن لما اختارهم لرسالته وفقهم لطاعته.

وأما ذهاب يونس عن قومه فلا تظن أنه خرج عاصيا، ولكن خرج ظانا أن عذاب الله سيصبح عليهم وجهل أنهم يؤمنون، وجهله بتوفيق الله لأمته بالإيمان، وهذا لا مدخل له فيه، فإن

يشاء(8). وأما دعاؤه سبحانك إني كنت من الظالمين(9)، فنسبة الظلم لنفسه لا توجب له ذنبا أذنبه، وذلك أن خضوع الأنبياء وفعلهم مع ربهم، يعاملونه بأنهم ظلموا أنفسهم لا توجب لهم ذنبا أذنبوه، وذلك أن خضوع الأنبياء وفعلهم مع ربهم يعاملونه بأنهم ظلموا أنفسهم بالتقصير فيما طلب، وأن حقيقة الصلاة التي طلبت منهم جهلوا مراده فيها فكذا صيامهم وجميع ما أمرهم به ونهاهم عنه، فإن مراد الله تعالى فيما طلب من العباد لا يعلم حقيقته إلا هو. فلم يدروا ألحقوا مراد فيما أمرهم به أم لا. فلذا ينسبون الظلم لأنفسهم فجعلوا تقصيرهم في العمل خطايا ولذا يطالبون منه العفو في التقصير كما يطلب المذنبون العفو من الذنوب.

وذلك أن الأنبياء لما استكملوا معرفة الله، فعليهم أن يكملوا الخدمة. فالناس من غير الأنبياء يقبل منهم التقصير في العمل ولا يقبل من الأنبياء إلا كمال العمل، إذ هم أعلم بالله وكل من هو أوسع علما بالله أكمل عملا. فالأنبياء يخافون من تقصيرهم في العمل كخوف غيرهم من وقوع الذنب، فلذا قال يونس، لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين(10)، أي في تقصيري فيما أمرتني به من رسالة وطاعة، لا على ذنب أذنبته، فلذا قال تعالى: فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين،(11) من غم الذنوب إن هم تابوا.

وهكذا يطلب الأنبياء من ربهم الغفران من(12) التقصير، ويطلبون من الله تعالى بالإستغفار من الذنوب التي عصمهم منها. فإن الإستغفار طاعة على العبد سواء غفر الله له أم لا إذ هو كالصلاة ولا يلزم من عدم(13) قبول العمل من الله، تركه ما دام حيا ولا تلزم العصمة للأنبياء ترك الإستغفار فالإستغفار من العبد لله طاعة عليه، والغفران فضل من الله تعالى.

اللهم أنت الملك الحق، وأنت على كل شيء قدير، وأنت على كل شيء وكيل، فرج كل كربة عن أحبائي وادفع كل شدة وبلية عن أحبائي في جوارحهم وجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين.

---

1) ب : أفيدها لكم
2) سورة طه الآية 14
3) ب : إنه زائدة
4) سورة غافر الآية 16
5) ب : ساقطة
6) ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه، سورة يوسف الآية 24
7) سورة يوسف الآية 24
8) سورة القصص الآية 56
9) سورة الأنبياء الآية 87
10) سورة الأنبياء الآية 87
11) سورة الأنبياء الآية 88
12) ب : ساقطة
13) ب و خ : ساقطة

الباب الخمسون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يا مريد، فها أنا أفيدكم من أسرار العلوم، فنقول:

الحروف تدل على المعنى، فإن المعاني كالبحر، وذلك أن الله خلق بحرا من نور، وذلك النور في الباطن، وكؤوس ذلك النور هي الحروف، فكل حرف تحته معنى من المعاني ولنور المعنى حرف يدل على المعنى. فالألف، يدل على الوحدة التي لا تقبل التقسيم، وأصل الحروف من الألف، وأصل الألف من النقطة، فالنقطة إذا كانت وحدها لا تعطي معنى من المعاني، فإذا خرجت ألفا صوت القائل أما النقطة فلا يقدر أحد أن يصوت بها. فإن الألف صدر من النقطة فخرج - أ- فالهمزة التي على الألف هي نقطة، والنقطة هي التي تظهر الحرف، وذلك أن حرف الحاء إذا كانت معه النقطة، إما أن يسمى خاء أو جيما، وإظهار الخاء في الخلق بها، وإظهار الجيم بها، فإظهار الخاء بها يتولد من إظهارها له ألفا، وإظهارها للجيم يتولد من إظهارها له باء. فالنقطة بها ظهور الحروف، وذلك لما دلت على وحدة الذات في الإسم.

والله تعالى له حروف تدل عليه، كالنقطة والألف واللام والهاء والباء والنون، فهؤلاء بهم تعرف الحروف في الكلام، وذلك من سر قدرة الله تعالى، الكامن الذي لا يطلع عليه إلا من شاء من عباده.

والألف هو أول حروف إسم الله الأعظم، واللام والهاء. والباء هو أول حروف البسملة، والنون هي(1) آخر حروف إسمه الرحمن، وهي(2) نون التكوين.

والألف واللام والهاء جمعت في إسمه - الله- فلما جمعت في هذا الإسم خرج المعني في الباء التي في أول البسملة فخرج المعنى: الله به كل شيء، فإذا زالت الهاء وعوضت باء، خرج المعني بي الأمر، بي الملك، وبيدي الخير.

ثم ننقل الكلام إلى المعاني التي تحت باء البسملة فنقول:

معناه، بي نزول المطر(3) من السماء، بي النبات الخارج من الأرض، وبي خروج اللبن الخارج بين الفرث والدم، وبي إثمار الثمار، وبي الجوائح، وبي تحويل النطفة من حال إلى حال، وبي الأمراض التي تقع، وبي القحط، وبي الإحياء وبي الممات، وبي النصر، وبي الذل، وبي العز، وبي أمر الدنيا والآخرة، وبي تصريفات الدهر، وهذا كله معنى الباء.

والقرآن كله معناه تحت الفاتحة، ومعنى الفاتحة تحت البسملة، والبسملة تحت معنى الألف، والألف معناها، تحت نقطة الباء، والباء هو النون، ولا فرق بينهما إلا بالنقطة، فإذا كانت فوق تسمي نونا وإذا كانت تحت، يسمى باء.

والفاء هو القاف، ولا فرق بينهما إلا بالنقطة، فإذا انتبهت لهذا تجد أن الحروف تتوالى في الوضع، والنقطة للإسم واللفظ.

فإن قلت بين لي، قلنا:

مثل الباء والنون والفاء والقاف والراء والزاء، والحاء والخاء والجيم الخ. وإن الهمزة والألف متواليان، والهمزة امتازت عن الألف بالنقطة.

فإذا عرفتم أصول الحروف، وعلمتم المتوالي منها، تجدون فيها(4) أسرار المعاني، والإنسان إذا لم يعلم ما تحت الحروف من المعاني صار كالبهيمة ينطق بما لا يعرف معناه.

فإن قلت ما أصل الحروف؟ فنقول:

لما خلق الله تعالى، آدم ألهم له جميع لغات بنيه، ولما ولد بنوه قسم الله اللغات عليهم فكل أحد ألهم لغته مع حروفها، فتناسلت على القسمة الأولى، فكل مولود يولد يلهمه لغة آبائه، كما أن لكل جنس من الحيوانات صوت مفهوم بإذن الله تعالى، وهذا تحت قوله تعالى: وعلم آدم الأسماء كلها.(5) فكل ما يرى بنو آدم بحواسهم وعقولهم أو ينتفعون به، ألهموا أسماءه، وذلك من تعليم الله لهم.

فإن قلت هل تعليم الله لآدم خاص به وحده، أم علم بنيه كما علم أباهم؟ فنقول:

بل ألهمه الله جميع اللغات، وعلم أبناءه لغات آبائهم، فآدم علمه جميع اللغات، وبنوه على القسمة الأولى، وهذا من سعة لطف الله تعالى، وسعة علمه. والسر في ذلك أن الله علم عبده. وإذ أراد الله أن يعلم عبده يعلمه في ساعة واحدة، والله على ما يشاء قدير.

فسبحانه لا اله إلا هو الحي القيوم بديع السماوات والأرض العلي العظيم، الكبير المتعال الودود الشهيد الغفور الرحمن الرحيم الهادي الفتاح.

اللهم أفتح الأنوار على قلوب أحبائي، وافتح عليهم السماء بالمدرار، وغير الأطوار وبارك لهم فيما ينزل عليهم في الليل والنهار، وأنزل الرحمة العامة المباركة التي تزيل جوع الجائع وجور الجائر، وتكون العافية بين المسلمين شرقيها و غربيها، وأدناها وأقصاها، طولها وعرضها، برها وبحرها.

آمين، آمين، آمين، يا رب العالمين.

---

1) ب : هو
2) ب و خ : هو
3) ب : في
4) ب : فيهن
5) سورة البقرة الاية 31

الباب الواحد والخمسون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يا مريد، فها أنا أفيدكم من أسرار لا اله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول:

معنى لا اله إلا الله لا منتهى له، وذلك أنه كان الله ولا شيء معه. فمعنى لااله إلا الله كان الله واحد لا اله معه فهو الآن على ما كان عليه أولا ليس معه اله. كان الله ولا شيء معه، ليس معه نظير في الملك. كان الله ولا شيء معه، ليس مع الله في تدبيره ولا في اختياره ولا في قهره أحد، و إنما هو اله واحد كان مدير المكان، ومكون الأكوان، ومرتب الزمان، فهو واحد كما كان لا اله إلا الله محمد رسول الله.

ثم ننقل الكلام إلى الفائدة التي تحت الكلمة، التي هي أعلى الكلمات، فمن فوائدها أن الله سماها كلمة التقوى، وسماها كلمة طيبة، وسماها الحسنى.

فإن قلت بين لي وزدني من فوائدها فنقول:

أولها أنها تنفي الشرك، لا يكون معها الشرك، فإن الكافر تنجيه من ذنوبه كيوم ولدته أمه. وذلك إذا ألبس الله الإنسان قميص الإيمان نزع عنه قميص الكفر، فإن محبة الله لا تجتمع مع محبة غيره.

وقد ورد، أنا أغني الشركاء عن شركتي أنا الله غني عن الشركاء أن أشترك معهم في عبادة عبيدي،(1) فمن أراد به الخير من عبيده نزعه من يد الشركاء، فيلهمه لا اله إلا الله محمد رسول الله.

وأي نعمة على العبد أعظم من خروجه من الكفر إلى الإيمان وخروجه من الذنب إلى التوبة، فأصل الخير هو إلهام الله لعبده لا اله إلا الله محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. ومن فوائدها إذا أكثر الإنسان من ذكرها طارت أغياره وسطعت أنواره وزكت أفعاله.

وعلامات قبول الله منه إرسال الأنوار الساطعة والشموس الطالعة، والظلمات الذاهبة والأعداء المهزومين، وما يعلم جنود ربك إلا هو(2). ألا أن حزب الله هم المفلحون.(3)

أما الفائدة الثانية أنها كلمة طيبة، فإن الإنسان إذا أكثر من ذكرها طابت أفعاله وخلصت نيته، فإن الطهارة تسمى طيبا. فإن الإنسان إذا أكثر من ذكر لا اله إلا الله محمد رسول الله فهي في المثل كغيث أنزل من السماء على أرض مقحوطة تراها ميتة، فتحيى بإذن الله. كذلك إذا أكثر الإنسان من ذكر لا اله إلا الله ينتور بذكر ربه ويشتاق إلى مولاه.

فإن قلت زدني فهما وعلما قلنا:

الروح منورة فهي ملكية خلقت من نور الله فإذا أنزلت في الذات التي أصلها الأرض صارت محبوسة في الذات.

فالذات المنعمة بالهواء والأكل والشرب فهي مسكن إبليس، والملك الموكل مع الروح، فالإنسان إذا ذكر الله بقلبه ولسانه وتقبل الله منه اشتعل نور الروح بإذن الله، وإذا غفل أو أذنب أمسك الله النور الموهوب.

فإذا تاب اشتعل نور الروح، فنور الروح الأصلي، هو أصل النور الكسبي، فإذا دام على الذكر، فلم يزل يزداد نوره حتى إذا عم نوره رحل عن مقام بشريته(4) وقربه الله، فكان في حضرة الله أبدا. فلذا يكاشف الله له المعلومات والمبصورات والمسموعات وهذا معنى قوله

تعالى: فلم يزل عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر با ويده التي يبطش بها.(5)

فإن قلت بين لي معنى كنت سمعه، فالله لا يحل في المسمعات ولا المبصرات ولا يحل في المبطشات قلنا: الله تعالى إذا نور العبد يكون هو المتولي سمعه، أي يسمع العبد من الله سمعا غير سمعه المعتاد، ويبصر مبصورات غير عادته ويبطش بطشا غير عادته.

وذلك أن السمع والبصر من أسمائه المشتركة مجازا لا معنى، فمثل الله بالأسماء المشتركة، ومن هنا يظهر معنى قول الشارع: خلق الله آدم على صورته.(6) أي آدم حي والله حي، وآدم سميع وبصير، والله سميع وبصير، فإنما يستحيل قطعا التشبيه بالذات وأما الأسماء الواردة على الخلق فلا تضر تسمية الله بها إذا كان مجازا.

فإن قلت زدني فهما وعلما قلنا إنما ذلك الحكم على العبد وأما الله فلا حكم عليه، فإن الله قال: كنت سمعه الذي يسمع به ، إلى آخر الكلام، ولا يجوز للعبد أن يقول ذلك الكلام في حق الله، فقد حلف الله بالشمس وبالقمر وبالليل، ومنع الحلف بغير إسم الله تعالى.

وأما تسميتها بالحسنى، فقال تعالى: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة،(7) فنقول: هي لا اله إلا الله، أي تحسن أعمال العبد. فلولا لا اله إلا الله ما حسن للعبد عمل واحد ولما حسنت، عصمت ذمته ودمه وماله، فالحسن يأتي بمعنى الحفظ.

فإن قلت بين لي قلنا:

قال الله تعالى: وأحسن كما أحسن الله إليك(8) معناه؛ أحفظ ودائعك أيها الإنسان كما حفظك الله من الشيطان والجن و الصواعق وغير ذلك من الآفات التي لولا حفظه لهلكت بسرعة.

فلا اله إلا الله هي أساس العلوم، فكل ذنب جاء به العبد ومعه لا اله إلا الله فيرجو من الله الغفران، وكل عمل صالح ليس معه لا اله إلا الله فهو مردود. فعصيان مع إخلاص لا اله إلا الله خير من عمل ليس معه الإخلاص فقال تعالى: مخلصين له الدين حنفاء(9)- إلى- القيمة.

لا اله إلا الله هي النجاة في الدنيا والآخرة، بها ينجو العبد من الشر وبها يبلغ الخير والله الموفق للصواب وعلى الله حسن المآب.

اللهم يا عزيز، يا كبير يا وهاب، يا حكيم يا مجيب، يا غفور يا شكور، يا رؤوف يا رحيم، يا عليم يا سميع يا بصير، يا علي يا عظيم، يا ودود يا قدوس، يا مهيمن يا حي يا قيوم، أحيي قلوب أحبائي بنور معرفتك وأحييهم على قول لا اله إلا الله.

---

1) رواه مسلم
2) سورة المدثر الآية 31
3) سورة المجادلة الآية 22
4) يقول الإمام الغزالي : إن الصوفي قد يترقى في المشاهدة إلى ما يضيق عنه نطاق النطق. إحياء علوم الدين ج:1 ص 60 ويقول ابن سينا: إن النفوس السليمة التي هي على الفطرة، إذا سمعت ذكرا روحانيا غشيها غاش، شائق لا يعرف سببه، وأصابها وجد مبرح مع لذة مفرحة يفضي بها ذلك إلى حيرة ودهش. جميل صليبيا، من افلاطون إلى ابن سينا ص 131.
5) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول
6) الحديث
7) سورة يونس الآية 26
8) سورة القصص الآية 77
9) سورة البينة الآية 5

(ملحق الباب: الحمد لله الذي أنعم علينا بالتوبة في كل ذنب أكتسبناه قصدا منا، ولم يواخذنا إن نسينا أو أخطأنا، منة منه علينا. ومن رحمته الواسعة علينا أن ضاعف لنا إحسانا أحسناه لأنفسنا بعشر أمثاله، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز عنا.

=ولما عرف الله ضعفنا وقلة إعتنائنا وكثرة أعدائنا الذين زاحمونا ضاعف الحسنات ليتم عملنا الذي قصرنا عن فعله، وتجاوز عن السيئات رغم انف الأعداء الذين مقصدهم ضلالتنا، فأكرمنا بهذه الكرامة التي ما أعطاها لغيرنا، فنلناها من بركة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي هو الرحمة، ورسول، الله الذي هو الرحمن الرحيم. اعلم أنك إذا تاب الله عليك فإن لذلك علامة، أولها أن ترعد رعودك، وتبرق بروقك، وتمطر أمطارك، وتهدر أوديتك، ويزهو نبات أرضك، فإذا حصلت لك هذه الحالات فاطلب سلامة نبات أرضك من نطح يفسدها أو آفة من الآفات التي تفسد النبات. فهذه إشارة لمن يفهم الإشارات نبينها لمن قصر فهمه :
أما الرعد، فهو إضطراب القلب كما روع رسول الله ما لقيه في غار حيراء من الملك.
وأما النبات فهو العمل المجبور فيك، وأما أرضك فهي قلبك، هو الأرض لأن المطر النازل من السماء تحته الأرض. وكذلك العلوم المنزلة من عند الله لا يحصيهم إلا القلب، وإنما تضرب الأمثال لذوي الألباب وقد قال تعالى: وما يذكر إلا ألو الألباب.
أكثر من ذكر الله تكن محفوظا من الشيطان الرجيم، واستكثر من ذكر الموت تكن مواظبا على العمل فقد قال تعالى : اذكروني أذكركم. وفي القول: من تقرب إلي بشبر تقربت إليه بذراع ومن أتاني ماشيا أتيته هرولة ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه والله الموفق للصواب. اللهم كما أحسنت إلينا بالإيمان فلا تنزعه منا واجعلنا من الذين أكرمتهم به، ولا تجعلنا من الذين سلبتهم أمين يا رب العالمين.

الحمد لله ولا إله إلاّ الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، لا اله إلا الله هي أساس بين العبد وبين ربه فإن قلت بين لي حيثية أساسياتها فنقول:

هي أساس المعاني، وحروفها هي أساس الحروف. وأما أساس المعاني فهي قائمة الوجود، وذلك أن الموجودات كلها، قبل الحدوث كانت في علم الله تعالى موجودة بالنظر إلى ما علم الله.

ولولا، لا اله إلا الله محمد رسول الله ما فتحت الموجودات. وهذا تحت معنى قوله تعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون.(1) أي إلا ليوحدون.

ولما خلقهم شهدت صورهم بلا اله إلا الله، فلسان حالهم شهد بأن لا اله إلا الله وأن محمد رسول الله. ولما أنشأهم وبلغوا مبلغ التكليف طلب منهم ماشهدت به أرواحهم(2). فصاروا على فرقتين فرقة لها التوفيق بالسعادة، وفرقة لها التوفيق للشقاوة. ففتحت لا اله إلا الله محمد رسول الله باب التوفيق لأهل الطاعة فدخلوه بأمر الله، فهي مفتاح طاعتهم لله تعالى.

ثم في المثل، الطاعة كالمدينة، ذات البيوت، في الشاهد، باب الصلاة وباب الزكاة وباب الحج وباب الصدقة وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وباب التوبة، وتلك الأبواب كلها في حصن محيط بالباب الأكبر، وفتح تلك الأبواب كلها موقوف على فتح الباب الأكبر، والسلطان على الباب الأكبر وبوابه على تلك الأبواب فلكل باب من أبواب الطاعة مفتاح وتلك المفاتيح هي لا اله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والمعنى أن جميع الطاعات كلها ليس لها قبول من(3) الله إلا لمن معه لا اله إلا الله محمد رسول الله. فمن لم يقل لا اله إلا الله، لا تفتح له الأبواب المغلقة. فمن قال لا اله إلا الله فتح باب القرب بينه وبين الله تعالى.

فإذا قال العبد لا اله إلا الله محمد رسول الله خالصة من قلبه، واعتقد طاعة ربه في أوامره ونواهيه فإنما أدى جميع ما عليه من الطاعات.

فإن قلت كيف تتوب لا اله إلا الله عن جميع الأوامر والنواهي قلنا:

حيث نفى الشريك عنه دخل تحت النفي، نفى معصية الله، والإثبات أثبت أمره فصارت لا اله إلا الله احتوت على جميع الأوامر والنواهي بالنية الخالصة لله تعالى وحينئذ إذا طرأت عليه معصية قابلها بالتوبة، وموجب التوبة لا اله إلا الله محمد رسول الله. وموجب الشكر على الطاعة لا اله إلا الله محمد رسول الله، فإذا فتحت لا اله إلا الله باب الطاعة سدت باب الخذلان، فأول الطاعة لا اله إلا الله محمد رسول الله. وأول ما تسد ظاهرا أنها تحمي ذمته وعرضه وماله، وهؤلاء سبب حياته في الدنيا، وتفتح باب الطاعة، ولو نقص من أعماله التي جعل الله عليه لسدت مواقع نقص أعماله.

فلا اله إلا الله تسد فجاج أعمال العبد. ولو ترك الأعمال كلها وبقي مع لا اله إلا الله لكان يرجوا رحمة الله. فإن لا اله إلا الله هي باب الله الأعظم، والله أجل من أن يعذب من دخل في بابه، وإنما يرجى له العفو منه إن شاء الله.

وأما حروف لا اله إلا الله محمد رسول الله. فكل حي وجامد له سر فيها، ولما خلق الله أصول الأشياء، وفصل بين الجمادات والحيوانات، فتق العيون والمسامع والألسنة بلا اله إلا الله، واسكن الجمادات بلا اله إلا الله وحرك المحركات بلا اله إلا الله.

فإن قلت زدني إيضاحا قلنا:

حروف لا اله إلا الله أولها ألف وآخرها هاء، ففتق القلب بالألف والهاء فخرج - أه- فانحصر، فزاد اللام فخرج -اله- فبقي تعظيمه وتفخيمه فزاد اللام الثانية فخرج تعظيمه وتفخيمه، فصار الألف في أول الإسم والهاء في آخره، فقسم الألف واللام والهاء بين تعريف الإسم ونعوته، الله الرحمن الرحيم الملك القدوس الحي القيوم المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر.

والهاء هو الأول والآخر وهو بكل شيء عليم. وهو على كل شيء قدير. وهو الذي أنزل من السماء ماء، وهكذا.

فإن حققت بهذا تعلم أن لا اله إلا الله هي أساس كل شيء.

أحبائي، أكثروا من قول لا اله إلا الله محمد رسول الله فهي قليلة الحروف كثيرة المعنى. ومن فوائد حروف إسم الله أنك إذا بدأت بالألف يستقيم المعنى، وإذا بدأت بالهاء يستقيم المعنى إن شئت قلت: الله هو الحي، الله هو الصمد، وإن شئت بدأت بالهاء تقول - هو الأول هو الآخر هو الظاهر هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا.

اللهم بحرمة لا اله إلا الله، وبحرمة ما احتوت عليه من المعنى وبحرمة كل من نطق بها حالا ومقالا، إفتح لأحبائي بها باب الطاعة، وباب الرحمة، وباب التوفيق، وافتح باب الغيث عليهم يا مغيث المستغيثين ويا مجيب المضطرين، ويا أرحم الراحمين ويا توابا على المذنبين، إفتح السماء بالغيث النافع على أحبائي وجميع المسلمين.

---

1) سورة الذاريات الآية 56

2) ب : جوارحهم

3) ب : من عند الله

(ملحق الباب : ...الحروف كلها منحصرة في الألف واللام والياء، والحروف منحصرة في اسمه الله، والله هو الإسم الأعظم. فانحصرت الخلائق كلها تحت الهاء فإذا ابتدأنا بالألف بقولنا الله لا اله إلا هو الحي القيوم وثنينا باللهم بأن نسبنا له كل شيء لأنه له ما في السماوات والأرض وما بينهما. وثلثنا بالهاء بأنه هو الأول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، وهو على كل شيء شهيد، ثم إن أمعنت النظر لهذه الحروف تهدرت أوديتك بقدرة انوار من المولى الكريم تحت إسمه الأعظم وذلك الإسم في حجاب جعله الله على إسمه فجعل كنز معرفته تحته وغمضت الأبصار عنه، وولولت القلوب. وذلك تراه في وجودك، إذا كان وجودك فبالله، إذا كان استنادك فعلى الله، فما اشتكاؤك إلا لله، ومبدؤك من الله ومرجعك إلى الله فالقدرة لله والإرادة لله والعلم بالله والحكم لله، فما يتصرف بالعلوم إلا بهذا الإسم فهو كنز الأولياء. فأينما احتاج العلم يرونه فيه، فكل كلام لم يبدأ به فهو قليل البركة، فهذا الإسم واسع لجميع العلوم دنيا وأخرى إن خلوت منه ساعة واحدة فقد غرقت.

إذا كنت عاملا لمولاك وقاصدا له فهو الله المعين على الأعمال، وإن كنت ترجو توبته فالله هو التواب، وإن كنت لم تر إلا هو فالله هو الواحد، وإن كنت مستغن به فالله هو الغني، وإن كنت مستكف به فالله هو الكافي، وإن كنت مبتلى فالله هو المبتلي، وإن كنت عالما فالله هو المعلم، وإن كنت قادرا فالله هو القادر، وإن كنت مريدا فالله هو المريد، وإن كنت حادثا فالله هو المحدث، وإن كنت محسنا فالله هو المحسن، وإن كنت رحيما فالله هو الرحمن الرحيم، وإن كنت ذا نعمة فالله هو المنعم، فانحصرت الخلائق تحت كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم كما جعلتها رأس الدين وأركانه و أساسه، ودعوة أنبيائك ورسلك، جعلتها دليل معرفتك، وجعلتها شرطا للوصول اليك، وثمن جنتك، وإقرار عبوديتنا لك فاسعدنا بها يا ربنا كما أسعدت بها أنبياءك، واجعلنا مسعدين بها فائزين مجتازين على الصراط ناظرين لك بحيث لا مانع بيننا و بينك واصلين إليك مع جميع احبائنا ووالدينا والمسلمين آمين يا رب العالمين.)

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فها أنا أفيدكم من فضل لا اله الا الله محمد رسول الله، فنقول:

لما خلق الله البحر الذي خلق منه الأرض والسماوات، ماج البحر بقدرة الله تعالى، ماج بالذكر ولم يسكن ذلك البحر إلا باسم الله تعالى.

ولما خلق الله العرش خلقه بالذكر وفاض نور العرش فلم يسكن إلا بالذكر. فكل موجود سوى الله تعالى ماسكن إلا بالذكر ولا تحرك الا بالذكر، فإن الذكر هو أساس الدنيا والآخرة، فلا اله إلا الله هي(1) النجاة في الدنيا والآخرة. وذلك أن الأشياء كلها إنما ظهورها بأسمائه تعالى، فإن السماوات والعرش والكرسي وما بينهم وما فوقه وما تحتهم ما سكن إلا بأسماء الله، فهم ذاكرون لله تعالى.

فإذا كان ذكر الله تعالى حال العلوي والسفلي وهم دائمون على الذكر أبدا، فإن العبد إذا ذكر الله في ساعة واحدة تعدل ذكرهم.

فإن قلت كيف تعدل ساعة واحدة من الذكر من ابن آدم ذكر العالم العلوي والسفلي؟ قلنا: ذلك من فضل الله علينا. فان قلت بين لي قلنا:

لما طلب الله منهن حمل الأمانة، فأبين أن يحملنها و أشفقن منها وحملها الإنسان، فأشفقت الأشياء من تحمل الإنسان الأمانة، فكأنهن أردن أن يستقيل ربه، فقال إنما تحملت ذلك بالله تعالى، فإنه هو الذي يوفقني للخير ويحبسني عن الشر . فرأى ربه وتوكل عليه فأعطاه أنه إن عمل عملا يسيرا أثابه ثوابا كثيرا. فإذا علم الله من العبد الإخلاص أعانه على طاعته، فإن الإنسان إذا ذكر ربه ضاعف له الأجر أكثر مما عمل، فإن العالم كله سوى الثقلين يذكر الله، ولا عليه دفع عقاب ولا جلب ثواب، بخلاف الثقلين فإن كل عمل عملوه لله خالصين له، فإن الله يضاعف لهم فيه.

والعمل منه ماهو عقيم ومنه ماهو ذو نسل، فذكر العالم عقيم وذكر الثقلين ذو نسل، وذلك أن الخلائق أخذت بالسلامة، والثقلين أخذوا بالربح، والفريقين متفاوتين في معرفة الله تعالى ففرقة أخذت بقهره وعظمته وجلاله وأنه شديد العقاب، وفرقة أخذت برؤية الرحمن الرحيم، وبرؤية العفو، وبرؤية الثواب، وبرؤية اللطيف، فكل عبده برؤيته لأسمائه تعالى.

فالعالم العلوي عبده بأسماء الذات، والمكلفون عبدوه بالأسماء الواردة، فكل عبده في جميع ذلك. وذلك في المثل كاختلاف أهل المذاهب في مذاهبهم فكل ذي مذهب على حق.

كذلك معرفتنا بنو آدم مع معرفة العالم سفليه وعلويه، فنحن وإياهم نعبد اله واحدا فكل يعبده على أسمائه.

وذلك أن آدم أعرف بالله تعالى من غيره، فقالت الملائكة لا علم لنا إلا ما علمتنا(2).

فتحمل آدم الأمانة دل على معرفته بالله تعالى، ففاز آدم بالتوكل، ورأى عجزه، ورأى قدرة القادر فطمع فيما عند الله من الخير، ولم يمنعه تحمله للأمانة مما عند الله.

ورأى أنه لو عجز عن حمل الأمانة، ما منعه عجزه مما عند الله من الخير، ورأى أنه(3) إذا عجز رحمه، فهو الرحمن الرحيم، ورأى أنه إذا أذنب تاب عليه، ورأى أنه اللطيف.

وغيره خاف من أنه إذا ما عجز عن تحمل الأمانة يعذبه. فصار آدم أعلم بالله تعالى، فلذا حاز الفضل.

ثم ننقل الكلام إلى تضاعف الأجر، فمن أين خص آدم وذريته بذلك، فنقول: ذلك أن الله حاج الخلق بتفضيل آدم فقال لهم: لو سلطت عليكم عدوا يفتنكم عن ديني ما عبدتموني ساعة واحدة، ولعصيتموني دائما.

فآدم سلطت عليه إبليس ومع ذلك أطاعني وعبدني، وما جاهده إلا بي، وذلك لعلمه أني غفور رحيم. ما تحمل ما تحمل إلا بي، وتوكل علي في جميع أموره، فحقق معرفتي ولا ظن بي إلا خيرا، فوجد ظنه بي حقا، فهو أعلم بي من خلقي.

ولما عرف آدم ربه سخر له ما في السماوات والأرض لأجل معرفته بالله تعالى، ولا نال آدم الشرف إلا بمعرفة الله تعالى.

فالعاقل منكم(4) يطلب الشرف من حيث ناله أبوكم آدم، فورث بنوه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معرفة الله تعالى منه ثم الأولياء.

فإن كل كرامة أصلها من معرفة الله تعالى، ما نال أحد من فضل الله شيئا إلا وأصله من معرفته تعالى، وهل أحد مدحه الله بالدنيا..؟.

اللهم رب السماوات والأراضين ورب العرش والكرسي ورب العالمين، افتح السماء بالبركات على أحبائي، وافتح الأرض كذلك، وفرج كل شدة وبلية ومجاعة، واجعل البركة في الريق فيكون يسد ما يسده القوت، وعجل الرحمة على أحبائي وجميع المسلمين آمين آمين.

---

1) ب : هو
2) سورة البقرة الآية 32
3) ع : ساقطة
4) ب : اليكم

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فها أنا أزيدكم من فوائد لا اله إلا الله محمد رسول الله فنقول:

الله هو المعلم، فأولها ثبوتها بالإسم الكامل بكماله ظاهرا وباطنا، فالألف هو الحرف الدال على الذات، ونشأة الألف من النقطة التي منها جميع الحروف فبدأت من الحرف و خرجت ألفا بتكرارها، فكانت ألفا فخرج الألف فتكرر فخرجت منه جميع الحروف .

فالألف دل على وحدة الذات، واللام الأول دلت على الصفات واللام الثانية دلت على استناد الأسماء والصفات إلى الذات، بحيث لا الوصف عين الموصوف ولا هو خارج عنه.

والهاء دل على انحصار المعلومات في العلم، وانحصار الإرادات بالإرادة، وانحصار المقدورات بالقدرة، وانحصار المبصورات بالبصر، وانحصار المسموعات بالسمع، وانحصار الكلمات بالكلام.

فلذا عظم الله شأن هذا الإسم لأنه انحصر معنى الأسماء تحته، وانحصرت الخلائق تحت معاني الأسماء.

لا اله إلا الله ترجح الميزان، لااله إلا الله قام بها العرش والكرسي والجنة والنار، لااله إلا الله بها تجري الشمس في مجاريها، وبها ظهور الليل والنهار والقمر والنجوم وبها نزل الغيث من السماء إلى الأرض وبها الدنيا والآخرة، كلمة أتى بها الرسل من عند الله إلى الخلق، إما بالعافية وإما بالشر.

فإن قلت بين لي قلنا:

إن لا اله الا الله محمد رسول الله قولها يجلب العافية من عند الله لقائلها، ونكرانها يجلب العداوة من الله . وذلك أن العبد إذا قال لا اله إلا الله خالصة من قلبه، وعلم الله منه الإخلاص نشرت له الملائكة أجنحتها فأحبه أهل الأرض.

فإن قلت كيف يبلغ الخبر أهل السماء من أهل الأرض؟ فنقول:

الأمر سابق، فكل قول وفعل مسطور في اللوح، ووكل الله على اللوح المقربين من الملائكة. فإذا أراد الله هداية العبد فيقول الله لهم أشهدوا أني هديته، فعند ذلك ينطق العبد بإذن الله، وكذلك في جميع الأشياء. فقال تعالى: فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم.(1)

فإن خبر أهل الأرض، أهل السماء أعلم به. و ذلك في المثل كمن كتب لوحا، فلما كتبه جاء الآخر فصار يعرضه على الكاتب، فإن الكاتب سبق بعلم ما في اللوح.

ثم ننقل الكلام إلى معنى لا اله إلا الله، فمعنى لا اله إلا الله ما كان موجودا إلا الله وأفعاله. والمعنى أن الله واحد ليس في الوجود غير الله وفعله، والمعنى لا فاعل غير الله.

فإذا كان لا فاعل غير الله تعالى ينتج منه الرضى والتسليم بالقضاء وتحقيق الوعد. وينتج من ذلك راحة العبد في نفسه وينقطع طمعه عما في أيدي الناس، ويرى ما عند الله. فالأنبياء والرسل أمناء الله على أممهم فيما يأمرون به، وهم معصومون من الشيطان ووساوسه.

فإنهم أمناؤه ولا يتعدون على الله فيما أمروا به من قول وفعل .

وكل خبر بالنظر إلى ذاته محتمل الصدق والكذب إلا الخبر الذي جاء به معصوم. وذلك أن وصف البشرية يجوز على الأنبياء من نسيان ومرض وغير ذلك مما يقع على البشرية سوى النسيان لما أرسلوا به إلى الخلق، فلو كان يقع عليهم النسيان لعطل ذلك رسالاتهم، وإنما يقع عليهم النسيان في أمور الدنيا.

فإن قلت موسى نسي حين طلب العلم من الخضر قلنا: النسيان من صاحبه يوشع بن نون ولم يكن حينئذ نبيا.

وعلى التقدير أن النسيان من موسى، فإنما هو لخبر الزاد ولا نسيان الرسالة. والتعلق بالنسيان أمر يهدي إلى الرشد، وهو الهداية على الخضر ليتم ما طلب موسى، فصار هذا النسيان ليس من النسيان الذي يفوت به المقصود بل هو المقصود.

ومن فوائد لااله إلا الله، أن الإنسان إذا نسي شيئا وقال لااله إلا الله يتذكره.

وذكر أن صاحب موسى كان ذاكرا لله، فلما أراد الله نسيانه غفل عن الذكر . فلما ذكر الله تذكر أنه نسي الحوت.

وروى أن الحوت كان ميتا وهو زادهما، فلما ذكر الله صاحب موسى قال: أيحيي هذا بعد مماته فتفكر ونسي انه يراه حيا بعد موته، فأحيى الله الحوت للإعتبار ولتحقق البعث وليكون سبب لقاء الخضر وموسى، فإن الحوت سبب الخير، زاد في السفر وكان هاديا إلى الخضر، وكان آية تدل على البعث.

لااله إلا الله هي خاتمة الملك، فإن مملكة السلطان في الشاهد، العارفة بخاتمه، لا تشك إذا كان مع رسوله فيما أرسل إليهم. فإن كل عبد أتى بلااله إلا الله فهي علامة جاءت من عند الله تعالى. فإن لااله الا الله لا يلهمها الشيطان . فإن إسم الله محجوب عن الشيطان فقال تعالى: وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون(2).

فبركة القرآن من أسماء الله تعالى فإذا رأيت آية من القرآن كثرت فيها الأسماء فهي آية الحجاب. فإن آية الكرسي إنما جعلت للحفظ من الشيطان وغيره، بالأسماء التي في أولها والأسماء التي في آخرها. والأسماء: الله لااله إلا هو الحي القيوم إلى وهو العلي العظيم، فافهم هذا السر تظفر بالمراد.

اللهم أنت العلي العظيم، وأنت الكبير المتعال، وأنت ذو الجلال والإكرام، وأنت على كل شيء شهيد، وأنت على كل شيء قدير، أنت للحوائج أقضى وأنت للمؤونات أكفى، وأنت للأمور أقوى، وأنت للدين أقضى وأنت بالأحوال أعلم وأشهد وأقرب، وأنت ارحم الراحمين وأنت رب العالمين، ارحم بلاد أحبائي بالعافية، واقض ديونهم واكف مؤوناتهم واقض حوائجهم دنيا وأخرى آمين آمين.

---

1) فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم، سورة البقرة الآية 37

2) سورة الشعراء الآية 211

الباب الخامس والخمسون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فها أنا أزيدكم من فوائد لا اله الا الله فنقول:

ومن فوائدها أن حروفها أثني عشر حرفا، وأن حالات الإعتدال اثنتى عشرة ساعة، وأن البروج أثنى عشر، وأن السنة أثنى عشر شهرا، فالسنة على الأهلة والأهلة على الليالي، والكل على لا اله إلا الله.

والسر في ذلك، لما أمر الله بإنشاء الموجودات الكائنات، ولم يكن ليلا ولا نهارا، يوجد فيه الموجود والتكوين، جعل مقدار التكوين لا اله إلا الله، فكأن الدنيا والآخرة صدرتا من الله ورجعتا إليه، فلا اله إلا الله تحتها الموجودات الكائنات وذلك أن لا اله إلا الله هي(1) أصل كل شيء وهي ظاهرة، وباطنة.

إن الخلائق كلهم ملك الله، ولما خلق الله الأرواح أولا، ما خرجوا من الحالة التي لا يعلمها إلا هو إلا بلا اله إلا الله.

ولما خلق العرش ما سكن إلا بلا اله إلا الله، فلا اله إلا الله أثنى عشر حرفا، ولا كان بناء في الأرض ولا في السماء ولا له جهات إلا وكل جهة قابلت لااله إلا الله، فلا اله إلا الله هي التي بها السماء. فلا اله إلا الله هي(2) التي بها السماوات والأرض، فإن الهاء حل على انحصار الكائنات بلا اله إلا الله، فلذا إسم الله لم يتسمى به أحد من خلقه لأن جميع معاني أسماء الله تحته، والموجودات الكائنات تحته.

كان الله ولا شيء معه، فخلق الدنيا وما فيها من النعمة، وخلق الجنة وما فيها من النعائم، وخلق النار وما فيها من النقم، فجعل لا اله إلا الله مفتاح الجنة لمن يدخلها ومفتاح لمن يخرج منها. ومن رحمته على عباده أن من دخل الجنة لا يخرج منها، ومن دخل النار يخرج منها بلا اله إلا الله. فجزاء لا اله إلا الله لمن أخلصها دوام في الجنة. وجزاء من منعت منه في الدنيا، الخلود في النار.

فإن أهل الجنة يدخلون الجنة برحمة الله ويقتسمون نعائمها على قدر أعمالهم، ودوام مقامهم فيها هو جزاء لا اله الا الله، ومقام المطيع على قدر جزائه.

ونفس الدخول في النار لإظهار عدله، والخروج منها جزاء لا اله إلا الله محمد رسول الله.

فإن قلت بين لي قلنا: إذا أجدبت الأرض سبحت لله، وذلك التسبيح هو لا اله الا الله، ولكن لا تتكلم بحرف، وتشتكي إلى الله، وتفتح ما عنده بلا اله إلا الله محمد رسول الله.

ومن ذلك أن بني آدم هم العاصون لله تعالى فإذا أصلحوا ما بينهم وبين الله تعالى فيشفعون لمن في الأرض، فيقبل الله شفاعتهم. وذلك أن أهل الأرض غير عاصين فإذا رضي الرب عن بني آدم جاد على أهل الأرض بسبب بني آدم، وإذا غضب على بني آدم فتشفع الملائكة لبني آدم فيقول الله للملائكة: إنهم تابوا فقبلت توبتهم، فأنا الرحمن الرحيم سبقت رحمتي غضبي.

فإذا كانت لا اله إلا الله هي مفتاح الأرزاق ومفتاح رضى الله ومفتاح الجنة ومفتاح الخروج من النار، ومفتاح الدخول في الطاعة، ومفتاح الخروج من المعصية، فكيف يفتر المؤمن عنها ساعة؟ وإنما قلل حروفها لحكمة فإن قلت بين لي قلنا:

إن الإنسان سبب أعماله بنيته، ونيته يعقدها، وسرعة لا اله إلا الله لتقوية النية إن كانت النية صالحة، وإن كانت خبيثة عجل محوها.

وأيضا جعلت على قدر الساعة الأخيرة(3) عند انقراض الأجل، فإن الموت يأتي من قبل الرجلين فيرحل فيسوق الحياة من الأطراف إلى محل الشهادة. فإن ثبته الله تعالى فيلهمه بسرعة قبل أن تحول الموت بينه وبينها، وإن لم يتب حالت الموت بينه وبينها، وذلك هو السلب، وربما عدمت من الثبات. فإن أضمر، وحالت الموت بينه وبينها فذلك مؤمن حقا، وإن قالها ظاهرا فذلك شهادة على سعادته.

فإن لا اله إلا الله شاهد المؤمن عند موته، وكذلك سميت شهادة إما لأنها تشهد له أنه مؤمن في حياته. ودليل ملازمته لها أنها خرجت مع روحه وأنها شهدت بمصاحبة الروح وأنها ودعت الجثة مؤمنة.

فلا اله إلا الله لا منتهى لفضائلها، ومن جعلها حصنه منعته، ومن جعلها زاده أبلغته، ومن جعلها أمامه أرشدته، ومن جعلها جنبه حفظته، ومن جعلها أساسه حملته، ومن جعلها كلامه نورته، فهي مفتاح المتقين إلى التقوى، ومفتاح الزاهدين إلى الزهد، ومفتاح العارفين إلى المعرفة، ومفتاح العابدين إلى العبادة، ومفتاح الناظرين إلى نظره تعالى.

اللهم اجعل لا اله إلا الله هي زاد أحبائي إلى دار رضوانك، واجعلها عليهم سترا جميلا وعملا مقبولا، وافتح بها باب الرزق، وباب المعرفة، وباب التوبة، وفرج بها كربهم. وبحقها أقض(4) ديونهم، وأعنهم بحرمتها على كل ما دخلوه، وادفع بها عنهم كل مضرة تسوؤهم هم و جميع المسلمين.

---

1) ب : هو
2) ب : هو الذي به
3) ب : الأخيرة زائدة
4) ب : بها زائدة

(ملحق الباب : الحمد لله المنفرد بربوبيته، أحسن البناء بمحض اختياره، وجاد علينا بجوده الذي لا يطلب المكافأة ولا يريد إحسانا ، ولا تنقص إساءتنا سواء كنا محسنين أو مسيئين.

إلهي جدت بجودك علينا فشان الجود، يأتي منك إلينا فضلا ونحن مسيئون لأنفسنا وذلك من ظلمة جهلنا بمعرفتك. ووحدناك كما أنت واحد لا شريك لك، وشكرنا لك كما أنت الشكور، وحمدناك كما أنت الحميد المجيد، مدحناك أن تجود علينا بمحض اختيارك، فلا تقبضنا في إساءتنا فطبيعتنا الإساءة إذ أصل أحوالنا النفس البطالة الامارة بالسوء.

فلا تسلطها علينا هي وساكنها الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس. اللهم كما أكثرت أعداءنا فلا تسلطهم علينا، جعلت الحجاب بيننا وبينهم، وأزلت الحجاب عنهم ثم حذرت منهم، فمنك تسليطهم ومنك عصمتنا منهم، فهم عبيد لا تأثير لهم الا بك. بك التجاؤنا وعصمتنا منهم ومن غيرهم فاحفظنا يا حفيظ من كل وسواس يوسوس عنك، ومن كل هاتف يهتف بلهينا عنك، ومن كل ذكر بلهينا عن ذكرك، فلا محبة إلا بك. اين نحن عنك عبيدك تقربنا إليك بما امرت فلا عصيان لنا مع عفوك فأنت العفو، ولولا عفوك لبقيت رحمتك مانتفع منها أحد زهي وسعت كل شيء. إن دخلناها فبمحض إختيارك، وتفاوتنا في درجات أعمالنا المكتسبة، فاكتسب لنا من الأعمال ما نأخذ به حظا وافرا، إياك نعبد وإياك نستعين، إن أدخلتنا حصن العافية فلا تكشفه عنا وإن أنزلتنا منزل الأمن فلا تحولنا عنه...(ضاعت بقية هذا الباب من الأصل).

الباب السادس والخمسون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يا مريد، فها أنا أنبهكم على توحيد لله لنفسه، وتوحيد أهل السماء(1) وأهل الأرض له وتوحيد موسى عليه السلام له فنقول:

أما توحيد الله لنفسه فهو قوله تعالى: إنني أنا الله لااله إلا أنا(2) وذلك لما ادعى فرعون الربوبية فقال: ما علمت لكم من اله غيري(3). فرد الله قوله بقوله: أنا الله لااله إلا أنا فنفى ألوهية فرعون.

أما توحيد أهل السماء فهو قوله تعالى: الله لااله إلا هو الحي القيوم،(4) فإن أهل السماء ابتدعوا بإسمه الأعظم ونفوا غيره، وذلك أن مقامهم مقام(5) شهود الحق فلم يروا غير الله تعالى فنفوا غيره من الآلهة. وذلك منهم رد على عبادة الأصنام في الأرض لأنهم لا يعتقدون ألوهية غير الله تعالى.

أما توحيد أهل الأرض فهو قوله تعالى: قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد(6). ومنه لااله إلا الله محمد رسول الله .

ولما كان أهل الأرض أكثرهم محجوبون عن الله تعالى فبدءوا بالنفي، لااله إلا الله محمد رسول الله، فنفوا غير الله وجعلوا الثبوت هو آخر الكلمة. فانظر إلى المقامات، فاسمه الله بدأ به أهل السماء، وأهل الأرض أخروا الإسم الأعظم. فلذلك هل الواجب بداية نفي غير الله والله تعالى ثابت بلا إثبات أحد، إنما النفي محل الأمر، فلذا شرعت لااله إلا الله محمد رسول الله.

فإن قلت لم خصت الشهادة بهذا الإسم دون جميع الأشياء قلنا: هو إسم الكمال الذي تحته جميع معاني الأسماء وتحته معاني ما في الدنيا والآخرة، فهو يقوم مقام كل إسم، ولا يقوم إسم مقامه. فلذا شرع في الشهادة، وشرع عند الدخول في الصلاة، وشرع عند الذبح وشرع عند تكبيرة الفطر والعيد وشرع في الدعاء بأن يدعو الداعي فيقول: اللهم.. فإن قلت ما معنى الميم في اللهم؟ فنقول والله أعلم: إنها ميم آدم، وميم إبراهيم، وميم موسى، وميم محمد صلى الله عليه وسلم، فجمعت جميع الميمات في ميم اللهم. فأصل الإسم، الله، وأضيفت إليه الميم تبركا، فإن الدعاء إذا كان فيه حرف من حروف إسم محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يكون مظنة الإجابة من الله . والتشديد الذي على الميم يدل على تداخل الميمات في ميم اللهم، ببعضها البعض.

وأما توحيد موسى فقال في جوابه لفرعون حين قال له فرعون: وما رب العالمين قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين.(7) فنعت موسى ربه بالربوبية وذلك أنه خاطبه بشاهده، فإن فرعون ما شاهد إلا السماوات والأرض. ولو قال له لااله إلا الله لقال فرعون: أنا اله الخلق، ولكن خاطبه بمعين. فإن السماوات والأرض سبقا وجود فرعون، وإن منافع الخلق الذي ادعى فرعون أنه ربهم، فإنها تخرج من السماوات والأرض. فأراد أن يعجزه بأنه لا يقدر على أن ينزل قطرة ماء من السماء على أهل الأرض، ولا يقدر على أن يخرج منفعة من الأرض لأهل الأرض.

وأما التوحيد الجامع فهو قوله تعالى: شهد الله أنه لااله إلا هو والملائكة وألوا العلم قائما بالقسط لااله إلا هو العزيز الحكيم.(8)

فإن قيل ما هي الكلمة التي تقرأ من آخرها كما تقرأ من أولها؟ فنقول: هو الله لااله إلا هو فإن بدأت بآخرها فتقول: هو الله لااله إلا هو وإن بدأت من وسطها فتقول: لااله إلا الله. والسر في ذلك، لما وحد الله نفسه فقال: أنا الله لااله إلا أنا أنزل في وسط الكلمة، وأضيف مع إسم الذات

فخرجت الكلمة لااله إلا الله فلم يتغير المعنى. وهذا من خاصية هذا الإسم، فإن معناه لا يتغير بتحويل الحروف، وذلك أنه احتوى على جميع العلوم، فإن القارئ إذا أزال الحرف الأول منه بقي المعنى-لله-فزوال الألف وثبوت اللام أظهر معنى أن الملك لله وأن المحامد لله تعالى فقال تعالى: ولله ملك السماوات والأرض(9) وقال تعالى: الحمد لله رب العالمين.(10)

فإذا أزال اللام الأول بقي المعنى على حاله فقال: له ما في السماوات والأرض، وقال تعالى: له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير(11).

فإذا أزال اللامين بقي الهاء فتخرج نعوته بالهاء فقال تعالى: هو الأول والآخر.(12) هو، هو، وغير ذلك من نعوته فالهوية هي التي أظهرت معنى نعوته فقال تعالى: وهو الذي أنزل من السماء ماء.(13) هو الذي خلقكم من طين .(14) هو الذي يحيي ويميت.

فإذا تأملت ما تحت هذا الإسم تجد فيه علم الأولين والآخرين. فإذا تأملت معاني القرآن تجد أن هذا الإسم عليه مدار معاني القرآن، إما أن يكون ظاهرا كالله، أو نعوته كهو، أو له أو عنده، أو باطنا كأنا وغير ذلك من المعاني والأسرار، فلا تجد إسما من أسماء الله إلا وفيه معنى من معاني إسمه الله. والله الموفق للصواب.

فإن قالوا قل لشيخك يدعو لنا فهذا دعاؤنا لهم: يالله، يالله، ياهو ياهو ياحي ياقيوم يابديع ياكبير ياعظيم ياعلي ياسميع يابصير ياوكيل ياعزيز ياعفو ياشكور ياودود، جد بما عندك من الخير على أحبائي فإنك تعلم وقت الإجابة، فارحم بلادهم برحمتك الواسعة يا أرحم الراحمين يارب العالمين والحمد لله رب العالمين.

---

1) ب : له زائدة
2) إنني أنا الله لا إله الا أنا سورة طه الآية 14
3) سورة القصص الآية 38
4) سورة البقرة الآية 255
5) ب : ساقطة
6) سورة الإخلاص
7) سورة الشعراء الآية 23-24
8) سورة ال عمران الآية 18
9) سورة ال عمران الآية 189
10) سورة الفاتحة الآية 1-2
11) سورة الحديد الآية 2
12) سورة الحديد الآية 3
13) سورة الأنعام الآية 99
14) سورة الأنعام الآية 2

(ملحق الباب : الحمد لله الذي أورد الأنوار الصادرة منه ليعلم وصفه الكامل، وليعلم حدوث خلائقه بأنهم حوادث وأنه هو الله الذي لا اله إلا هو. إعلم أن إسمه الأعظم هو سر الولاية، وهو كنز العلوم، وهو الإسم الكامل.

إن أردت أن ترى كماله فانظر قوله تعالى: الله لا اله إلا هو. عرف نفسه بأنه هو الله، ونفى عنه الشريك بأنه لا إله إلا هو.

وإن أزلت الألف فيبقى اللامان الأول دل على وجود أسمائه وصفاته كما قال: لله الأمر من قبل ومن بعد. ولقوله: الحمد لله رب العالمين.

وقد تكون للملك لقوله تعالى: ولله ملك السماوات والأرض.

وإن أزلت اللام الأول يبقى – له – قد تكون للوصف كقوله تعالى: له الملك، وقد تكون للوصف له الحمد.

فكل من له الملك له الحمد، وكل من له العطاء له الحمد وله الشكر، فقد انحصر العلم في الحروف التي تشكل – هو، له – فمعناها تعريفه بأنه هو الله الذي لا إله إلا هو وهو الأول والآخر. وهو بكل شيء عليم. وهو القاهر فوق عباده. وهو السميع البصير. وهو العلي العظيم. وهو المدبر القدير وهو الحكيم الخبير، وهو العزيز الحكيم وهو الغفور الودود، وهو اللطيف وهو الحفيظ وهو الواسع...ضاعت بقية هذا الباب).

الباب السابع والخمسون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونع الوكيل.

أما بعد يامريد، فها أنا أفيدكم من أسرار المعرفة فنقول:

أول الفوائد أن الله تعالى نعت نفسه بالغيب فقال لموسى: إنه أنا الله، فنعت نفسه انه غائب فدل عليه حرف الهاء، فالأصل أنا. فاتصل الهاء باسم الإشارة فخرج انه، فأخرج معنى الهاء فقال: الله. فخرج معنى أنا الله.

ثم نفى الملك عن غيره بقوله: لااله إلا أنا ثم أمر بالعبادة له فقال: فاعبدني(1). فلا يستحق العبادة إلا هو سبحانه . فحروف الله أشرف الحروف، فالألف والنون واللام والهاء، هذه(2) الحروف هي أصول الحروف إذ بها يستقيم معنى حروف الكلام، فهي تحتها معاني الكلام، به الجمع والتنبيه وغير ذلك من المعاني.

فلااله إلا الله هي(3) أشرف الكلام وحروفها أشرف الحروف.

فإن قلت زدني إيضاحا قلنا: لما خلق الله العرش ما سكن إلا وكل ركن منه سكن بلا اله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولما خلق الله الجنة وزينها فقال لها: لا يسكنك إلا من شهد أن لااله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأخذ عليها العهد أن لا يدوم فيها إلا(4) من قال لااله إلا الله .

ولما خلق الله الأرض والسماوات ما سكن ما بهن من تموج إلا بلا اله إلا الله محمد رسول الله. فلااله إلا الله هي أساس الدنيا والآخرة. فإن الأرواح أزلا حين آمنت بربها استنارت بلا اله إلا الله محمد رسول الله . لااله إلا الله كلمة تثبت جميع العالم بثباتها، فهي المنجية من النار والمبيحة للجنة . فإن أبواب الجنة مغلقة فلا تفتح إلا بلااله إلا الله محمد رسول الله. والنار مفتوحة(5) أبوابها فلا تغلق إلا بلااله إلا الله محمد رسول الله.

لااله إلا الله هي علامة السعادة، فإنها كلمة تنجي من عذاب القبر، وتنجي من عذاب الآخرة وتجلب الستر في الدنيا.

لااله إلا الله بها قامت الأشجار، وبها قام النبات، وبها نزول الغيث في الأرض، فإذا كانت تنجي من عذاب الآخرة كذلك تنجي من عذاب الدنيا. ومنها أن ناصرها ينصر. فقال تعالى: وكلمة الله هي العليا.(6) فعلت في السماء، وعلت على الأرض.

وعظمتها على الله أنها أحلت دماء قوم، وحرمت دماء قوم آخرين. وعظمتها أن الأنبياء كلفوا بالجهاد فنالوا ما نالوه من الخلق لأجل إعلائها. كلمة تشفع لأعمال العبد إذا فعل الذنوب وهي في قلبه، عفا الله عنه.

ولو جاء بجميع الطاعات كلها ولم يأت بها لم يقبل منه شيء. والغافلون عنها فرطوا فيما لهم عند الله.

وهنا فائدة من فوائد العمل بلااله إلا الله بالقلب واللسان، وذلك لحكمة . فإن قلت بين لي قلنا: لما كان العبد عجزه من جهة جوارحه الظاهرة، والقلب واللسان هما دون جوارحه في العجز، جعلها في القلب واللسان، فلا يمنعها عجزه إذا عجز. فإن عجز لسانه فلا يعجز قلبه، وقد ورد: أفضل الذكر الخفي(7). وذلك أن العبد إنما يناجي ربه بقلبه، فإذا ناجاه بقلبه رجعت الإدراكات إلى الله تعالى، فيكون أصم وأعمى عن غير مناجاة ربه، ولهذا اختار العباد آخر الليل للتناجي وقد ورد، أن الله ينتزل في الثلث الأخير من الليل فيقول من يستغفرني فأغفر له من يتوب إلي فأتوب عليه.(8)

وهكذا في جميع حوائج العبد. فإذا أراد الله بالعبد خيرا استيقظ، أحياه في ذلك الوقت وذلك لحكمة، فإن قلت بين لي قلنا: قال تعالى: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى.(9) والمعنى أن الله يمسك التي قضى عليها الموت أي النائمة، المحرومة من الإستجابة ويرسل التي قضى عليها الخير، وهذا معنى الباطن.

أما معنى الظاهر فإن الأرواح كلها عند الله، فإذا نام النائم أرسل التي لم تمت، وبقيت عنده التي قضى عليها الموت، والموت هنا الموت الأصغر. فإن الموت موتان، موت أصغر وموت أكبر. فالموت الأكبر عندنا من مات قلبه عن الذكر، والموت التي هي الجامعة فهي كالنوم للصالحين وشاهد هذا قوله تعالى: إنك لا تسمع الموتى(10). فسمى الكفار بالموتى لموت قلوبهم فإن الموت انتقال من حال إلى حال. بخلاف موت قلب الكافر فإنه لا ينتقل.

فالميت من مات قلبه عن ذكر الله، ومات قلبه عن التفكر، ومات قلبه عن الإعتبار، والإستغفار، ولم ينتبه إلى الأغيار، وجهل ما هو فيه وما يئول إليه فلا يدري أربه رضي عنه أم ساخط عليه،(11) ولا يدري عملا يستفيد به.

ولما كان الرضى مخفي في الأعمال ويجهل العبد العمل المرضي، فمن أين له الإعجاب بأعماله؟ فالعبد يقول قولا يجره إلى النار ولا يعلم. ويقول كلمة تجره إلى رحمة الله وهو لا يدري. فالعبد جاهل نفسه ومآله وجاهل مآله عند الله تعالى. فإن الفاعل المختار لا يتحتم عليه. وقد ورد: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى (12). فإن الأعمال فرع وشجرها النية، والنية إن حسنت لا شاهد عليها إلا الله تعالى، فلذا جعلها الله أصل الأعمال.

فالعبد يبلغ بحسن نيته ما لا يبلغ بعمل الجوارح. فإن النية لا تعجز عن العمل إن وفقت، بخلاف الجوارح الظاهرة. والله الموفق للصواب.

اللهم أنت الملك الحق، وأنت العلي العظيم، وأنت على كل شيء شهيد، وأنت على كل شيء وكيل، وأنت على كل شيء قدير، وأنت بكل شيء بصير، فرج عن أحبائي كرب الدنيا والآخرة وأعنهم إعانة نافعة، يدوم نفعها، ويقل ضرها، وتعقبها العافية، لهم ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

---

1) سورة طه الآية 14
2) ب : هؤلاء
3) ب و خ : هي
4) ب : ساقطة
5) ب: ساقطة
6) سورة التوبة الآية 40
7) احياء علوم الدين للإمام الغزالي
8) متفق عليه
9) سورة الزمر الآية 42
10) سورة النمل الآية 80
11) ب : ساقطة
12) متفق عليه

(ملحق الباب : الحمد لله المتنزه عن النقائص، الموصوف بصفات الجمال والجلال الذي له الحمد على كل حال وعلى كل فعل ومقال. له الحمد على ما حصل من نعمه، وله الشكر على ما تزايد من النعم. وله الشكر على الصبر فيما حصل من الشر وله الشكر على ما دفع من النقم. إعلم أن الشكر هو الحمد، والحمد هو الشكر، فحقيقة الحمد أن تحمد الله بما هو له من كمال العلم، وكمال الإرادة وكمال القدرة، والسمع والبصر والكلام، والغنى، مستحضرا هذا في قلبك لأنه لانفع ولا ضر ولا دفع إلا بيده. فيكون هذا شكر الباطن، إذ كل عمل لم يمازجه حسن النية فهو باطل لقوله صلى الله عليه وسلم :إنما الأعمال بالنيات. قد يصح حسن النية للمؤمن من غير عمل، ولا يصح العمل إلا بحسن النية. وقال صلى الله عليه وسلم : نية المؤمن أبلغ من عمله، إذ يؤجر على مجرد حسن النية وقد لا يؤجر على العمل...ضاعت بقية هذا الباب).

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يا مريد، فها أنا أفيدكم من الفوائد فنقول:

ومن فوائد لا اله إلا الله محمد رسول الله أنها ما جاء بها نبي إلى قومه، إلا وقيض الله له عدوا يعاديه، وذلك لحكمة فإن قلت بين لي، قلنا : قال تعالى : كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيئين مبشرين ومنذرين وأنزل إلى آخر الآية(1).

والمعنى أن الناس كانوا في جاهليتهم، منهم من يعبد الشمس ومنهم من يعبد القمر ومنهم من يعبد النار، وذلك أنهم(2) بنوا على ما تعطيه عقولهم من نفع أو مضرة، وحجبوا عن معرفة الله، وذلك للفصل بين المؤمنين والكافرين، ليحق الحق ويبطل الباطل، وذلك من تعظيم لا اله إلا الله. فإن الله يختبر الرسل والمؤمنين بعداوة الكافرين. فإن الإيمان إذا أكرم الله به العبد فإنه يختبره بالمحن، والتكذيب حتى يقيض للأمر، فيرى المؤمن ما يرى من البلاء، ويرى الكافر ما يرى من الله من سوء العاقبة.

فإن لا اله إلا الله عظم قدرها. أن فروع الشريعة صدرت منها ولا يقبل الإيمان من أحد إلا بها، وهي كلمة يعلو المؤمن بها في المواقف العظام.

اعلم أن المؤمن إذا احتضر وضاقت نفسه فحينئذ يأتيه الشيطان فإن هو نبهه الله تعالى فيلهمها له، وإلا فيكله إلى نفسه، فعند ذلك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

واعلم أن الثبات في الحياة الدنيا والآخرة، إنما هو إلهام من الله تعالى، فإن الآخرة ليست محل الكسب، وإنما الدنيا هي محل الكسب. فإن الكسب هو سبب من الأسباب، والثبات من عند الله. وذلك أن العبد يفتتن بالملائكة، فإن نظره إلى الملائكة يشغله عن الذكر ومواقف الآخرة تشغله، فلم يبق إلا من وفقه الله تعالى وثبته.

فإن الإنسان مشغول بأهوال الآخرة، ومن هذا المعنى يظهر لك قوله تعالى: يثبت الله الذي آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا و في الآخرة.(3)

ويظهر معنى قوله تعالى: يهدي به من يشاء إلى صراط مستقيم.(4) فالهداية والتوفيق من الله. أما الأعمال فهي صور. فإن الأعمال الصالحة والأعمال الخبيثة كلاهما بالنظر إلى ذاتهما فهم شيء واحد، وإنما يميز صالحهما وخبيثهما بأمر الله تعالى ونهيه.

فإن صورة شرب الخمر وصورة شرب اللبن بالنظر إلى الشرب، فهما واحد، ولكن الشارع هو الذي أمر بشرب اللبن ونهى عن شرب الخمر.

فإن النار بالنظر إلى ذاتها تمدح بنورها وتمدح بأنها تنضح المطعومات، وتذم طبعا بإحراقها فالناس كانوا على علم العقل، فما ذمه العقل والطبع ذموه، وما استحسنه العقل والطبع استحسنوه، حتى جاء الأمر من عند الله، فكان الأمر على الشريعة فما ذمته الشريعة فهو مذموم، وما استحسنته الشريعة فهو حسن.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.(5)

فإن قلت ما معنى الحسنة، التي تطلب من الله في الدنيا؟ قلنا:

هي لا اله إلا الله محمد رسول الله، وحسنة الآخرة هي الجنة، فإن ثمن لا اله إلا الله هو الجنة. فإن الجنة دونها كئود وأهوال ومحن، وذلك أن لا اله إلا الله التي هي ثمن الجنة دونها اختبارات من الله تعالى. فالمؤمن إذا قال لا اله إلا الله محمد رسول الله فهذه الشهادة الظاهرة

حرمت دمه وماله في الظاهر، ويبقى باطنه، ولا يعلم ما فيه إلا الله تعالى، فاختباره على الله، فيختبر الله إيمان المؤمن بالبلاء حتى يظهر ما في الباطن على الظاهر، فإن كان خالص الإيمان فيظهر صبره لله تعالى، وتسليمه لله تعالى، ورؤية نعمة الدفع، ورؤية النعمة الدائمة، ورؤية نعمة الإيمان.

ولولا توفيق العبد ما صبر لله ساعة واحدة، ولا آمن به ساعة واحدة، وإنما التوفيق بيد الله. والأمر كله لله تعالى.

العبد يحزن لما يخرج الله من يده من المال، وهو لايعلم ماله، ولو علم على الحقيقة ما حزن، فإن الله لاينزع مال العبد في نفس الأمر، وإنما ينزع ما ليس له في نفس الأمر. فإن الله لا يظلم مثقال ذرة من رزق العبد ولا من أجره.

فسبحانه لا اله إلا هو الحي القيوم، البديع الذي أبدع المبدعات واخترع المخترعات وأوجد الموجودات وأظهر المغيبات وأخفى الظاهرات، ورفع السماوات ومدد الأرضيات ونصب المنصوبات وعرش المعروشات، وأظهر الآيات للاعتبار ونور المنورات وأظلم الظلمات، وكل ما وعد الله، فاستغفروا ربكم أيها المؤمنون والمؤمنات، واعتبروا فيما قدمتم من السيئات، واطلبوا من الله أن يقيكم من ضر الناريات، وأن يجعل مأواكم الجنات، ويطلعكم في الغرفات، العاليات، ويزوجكم المؤمنات، والحوريات، ويجمعكم في الرياض الدائمات، آمين آمين.

---

1) سورة البقرة الآية 213
2) ب : ساقطة
3) سورة إبراهيم الآية 27
4) والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم سورة البقرة.
5) سورة البقرة الآية 201

(ملحق الباب : الحمد لله الذي نفى الشريك عنه بأنه لا إله إلا هو. نفى أحوال المخلوق ليبنه أن الأحول به، فدار العلم على المخلوق ليحقق وحدانيته فقال تعالى: الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات والأرض.
نفى النوم لعدم طرئه عليه، وليبنه أنه هو المطريه على المخلوق.
فاعلم أنه هو الموحد لنفسه لما علم من عجز الكائنات بأن لا قدرة لها على معرفته، واعلم أن الله سبحانه كلما خاطب عباده بمعرفته، فليعلموا أن ليس عليه شيء كما أنه هو عليم. فلذلك لا إله عليه كما أنه إله على الخلق. فلا اله إلا الله في الوجود، طلب منك الطاعة وهي واسطة بينك وبينه، إن أحسنت الوسيلة التي بينك وبينه، أحسن إليك بعاقبة الحسنى. هل جزاء الإحسان إلا الإحسان، فأحسن إليك بإحسانين، إحسان بالواسطة وإحسان بالمكافأة، فلم يبق لك في الحقيقة شيء من الإحسان لأنه هو المحسن وأنت المسيء، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها فقال تعالى: وأحسن كما أحسن الله إليك، الإحسان إلى الله لترى الإحسان منه. ألا ترى أن ليس له غرض في إحسانك إليه؟ منه بدأ الإحسان وإليه يرجع كما بدأ منه، لتراه واحدا لا شريك له، وترى منه إليك وبه عليك وإليه الرجوع...ضاعت بقية هذا الباب).

الباب التاسع والخمسون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فإن سألوك أن تفيدهم من علومنا، فنقول:

أما إفادة العلم فبالإستعمال. فأول ما تبدأ به هو إفادة الزمان، فإن المواعظ كحالة الصلاة وذلك أن زمان القحط، إنما يعظ الواعظ الناس بالصبر.

أيها الأحباب، اصبروا فإن الله يختبر إيمان المؤمن بمحن الدنيا، فلا يخلو أحد من نعمه ومننه، ولا يخلو أحد من عدله.

والإنسان يختبر ظاهرا وباطنا، فأما اختبار الظاهر فبالرسالة والسيف، فإذا قال لا اله إلا الله فيتركه الشارع على ظاهره، والله يتولى سريرته، فيختبر الله سريرته بالقحط والمرض والجوع، وغير ذلك، فإن هو صبر لله وسلم لأمر الله، فهو مؤمن حقا خالص الإيمان، وإن هو لم يصبر ولم يسلم الأمر لله، فهو ناقص الإيمان.

وما ابتلى الله المؤمنين إلا ليختبر إيمانهم بإهانتهم. فإن المؤمن إذا صبر واحتسب لله ضاعف الله له أجر الإيمان، وأجر الإخلاص، وأجر الصبر، قال تعالى: إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب.(1) وترى العارفين متفاوتين في المعرفة، فتراهم متفاوتين في البلاء. وقد ورد : أشدكم بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فالأفضل والفاضل(2).

وإذا تأملت، لماذا اختبر الله أنبياءه، ومع ذلك هم أشد الناس معرفة، وتقوى وخوفا. والمؤمن لا بد أن يأخذ حظه من إرث الأنبياء، كما ورث من علمهم وتقواهم، كذلك يأخذ حظه من الإبتلاء فقال تعالى: ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين.(3)

أحبائي كونوا مع الصادقين، ولا تكونوا مع الكاذبين.

فإن قلت ما محل الكذب الذي ذكر الله؟ فنقول : حيث قال ، لا اله إلا الله، فإذا اختبر إيمانه بما خالف نفسه وهواه، لم يصبر لله.

وقد ورد : من لم يسلم لقضائي، ولم يصبر على بلائي، فليطب اله غيري.(4) فالمؤمن هو الذي إذا اختبره الله بالبلاء، نشط لأمر الله تعالى، ويعزى نفسه فيقول: يانفس، ذا أمر رب العالمين، المالك لزمامك، المقدر لحركاتك وسكناتك، فانقادي لأمر ربك، كانقياد البعير لحمله المعتاد، وإن لم تصبري، ولا أنت حقيقة الإيمان إلا بمجرد اللفظ، والمشاركة بينك وبين الرسول بمجرد اللفظ، فربك مضطلع عليك في كل وقت، ملازم لك ملازمة المالك لملكه.

فكل يوم وكل ساعة يختبر إيمانك حتى يأتيك اليقين، ويختبرك عند الموت، وعند القبر.

فإن حققتم بهذا، فإن كل شدة وبلية في الدنيا هي اختبار للإيمان، وكل نعمة تأتي على المؤمن فإنما هي للحمد والشكر، فالإيمان - لا اله إلا الله، والحمد لله، والشكر لله يختبران بالنعمة. إن العبد إذا طلب منه قول لا اله إلا الله فامتنع، جزاؤه السيف في الدنيا وعذاب الآخرة، والحمد والشكر إنما يختبران بالنعمة، فإذا أنعم الله على المؤمن في الدنيا نعمة، فليحمد الله على كل نعمة أنعمها عليه، وأولها نعمة الوجود، ومحل النعمة أن جعله موجودا بعد عدمه. ثم جعله حيوانا بعد أن جعله جمادا. ثم نعمة الحواس الحسيات. ثم نعمة العقليات. ثم نعمة الإيمان التي لا يعدلها شيء، وهي النعمة التي إسمها الرحمة.

ومن هنا يظهر معنى الرحمن الرحيم، فالرحمن جامع للنعمة، لكل حي يأكل ويشرب، والنعيم خاص بأهل الإيمان، فجمع المؤمن معنى الإسمين. الرحمن الرحيم شفاء لكل مؤمن، بسم الله الرحمن الرحيم تدفع البأس عن كل مؤمن، بسم الله الرحمن الرحيم فيها بركة لكل مؤمن.

ثم ننقل الكلام إلى المواعظ، ووصف الدنيا:

يامريد، الدنيا دنية وهي حظ العصاة. فلا حظ لمن هي حظه عند الله، تتحفل تحفل الشابة، وتتكشف انكشاف العجوز، لا يستريح طالبها، ولا يقنع صاحبها، وصاحبها في تعب مما لا يدركه.

فكل يوم تزيد الأمل، وينقص الأجل. جامعها كالنائم الذي يجمع خير الرؤيا. كل يوم تطالب صاحبها بما لايدركه، وتفوت له ما أدركه، إذا رحل عنها كأنما رحل من يقظة إلى نوم، ترك الحسيات وراء ظهره، ودخل بحر البرزخيات، وصفها اصدق القائلين محمد صلى الله عليه وسلم فقال: الدنيا كحلم النائم فالساعة التي فيها صحبها تنسيه الأولى(5)، شاهدها الليل والنهار يتعاقبان، ولا قيام لهما أبدا، ولا يرتفعان.

فالعاقل يتزود منها خير الزاد، ويحقق الرحيل منها في كل يوم، فلا يدري وقت الرحيل منها. رحل منها سلف وخلف، كبير وصغير، ذكر وأنثى. فهي دار وعد الله بفنائها، ومن رحل منكم عنها، فلا يطمع من بعدها المقام، فلا مقام بعد قوله تعالى: قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم(6).

اللهم يا حي يا قيوم، يا عزيز يا لطيف، يا كبير يا متعال، يا فعال لما يريد، يا فتاح، افتح على أحبائي من خيرك الواسع، و أغثهم غيثا نافعا، ورحل القحط والجوع وكل بأس وشدة، بجاه محمد صلى الله عليه وسلم، وبجاه كل نبي، وبجاه كل ولي في السماء والأرض. آمين يا رب العالمين، والحمد لله رب العالمين.

---

1) سورة الزمر الآية 10
2) الحديث
3) سورة العنكبوت الآية 2- 3
4) الفقه عند الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي
5) ابو حامد الغزالي إحياء علوم الدين
6) سورة الواقعة الآية 49

(ملحق الباب : ...حجبنا عنه سترا لعصاته ولو أزال الحجاب بيننا وبينه في الدنيا لتبين المؤمنون منا وتنعموا برؤيته، ولمنع الأشقياء من رؤيته، ولكن أخفي السعادة والشقاوة إلى الدار التي تتبين فيها عين اليقين ويزول الحجاب عن السعداء، ويبقى الحجاب على الأشقياء. فحجب اليوم عن السعداء سترا للأشقياء ولأن لا يتكل المؤمنون على النظر. فانظر رحمة الله على عباده ورفقه بهم وشفقته عليهم وستر عوراتهم، أخفى الشقاوة والسعادة ليطمعهم ويخوفهم منه. طلبك لما أنت طامع به أكبر من طلبك لما أنت منه أيس، ولو حقق السعيد ما له لأمن، ولو حقق الشقي ما له لئيس...ضاعت بقية هذا الباب) .

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فإن أحبائي يطلبون الغيث من الله تعالى، وما عند الله فليس لأحد تملك له، بل الله هو المالك. قال تعالى: ومانتزله إلا بقدر معلوم(1).

وأما الجوهرة التى يطلبونها، فنقول : الله أعلم بمصالح عباده، فهو أعلم بالعواقب والمبادئ. واعلم أن ما عند الله من الخير لا يفنى. العباد بين فضله وعدله، فتارة بتارة.(2)

فإذا أراد الله أن ينتبه له عباده، فتارة ينبههم بفضله، وتارة ينبههم بعدله. وإذا أراد الله أن يتوب على عباده، يمسك ما عنده من الخير فينتبهوا لفضله، ويتضرعوا له ويدعونه آناء الليل وأطراف النهار. ومنهم من يقر بفضله فإذا تفضل عليه يحمده تعالى ويشكره على فضله، فالعبد، بين فضله وعدله. وعدله تعالى يختبر به إيمان الصادق والكاذب، فإن القحط عدل الله على عباده، فينتبهوا من غفلتهم.

وأما حقيقة الجوهرة، فإن أبناء آدم إذا كانوا طائعين، صالحين ما بينهم وبين الله تعالى يشفعون لأهل الأرض كلهم، وعند ذلك تطلب البهائم بنى آدم، أي صالحيهم.

فإن قلت من أين علمت البهائم أبناء آدم وصلاحهم، وهي بهائم لا تعقل شيئا؟ قلنا: ذلك في المثل كمن نفع صبيا من الصبيان، وطرد جوعه، فشكوته محمودة النافع، والسر لله تعالى. ألا ترى أن الصبيان إذا جاعوا يبكون أمهاتهم، وذلك علم وهبه الله تعالى لهم.

واعلم أن من أبناء آدم من إذا اتقى الله تعالى، شفع لأهل الدنيا والآخرة.

اتقوا ربكم تقوى العبيد لمولاهم الكريم الذي لايغفل ولا يسهو، اله حاضر غير غائب، اله شديد العقاب، انه الرحمن الرحيم العفو الغفور والله على كل شيء قدير.

يامريد، قلوب الخلائق كالأرض.. فإذا أبطأ المطر عن الأرض توصف بالقحط، كذلك قلوب المؤمنين إذا استأنسوا بالدنيا ومحبتها، ولم ينتبهوا للمعارف، ولم ينتبهوا لقرب الموت والحساب، وأهوال يوم القيامة، عند ذلك تقحط القلوب، فإذا أقحطت القلوب، أقبلت النفوس على الشهوات، وغفلت عن الطاعات، فعند ذلك يتمكن الشيطان وتبقى لعبة للشيطان. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

يا أحبائي، عليكم بتقوى الله . اتقوا ربكم، وكونوا على طاعة الله إخوانا، وكونوا على يد واحدة، واعبدوا ربا واحدا، فلا تغرنكم الدنيا، فإن الدنيا سهم هالك. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم ننقل الكلام إلى الدعاء، فنقول: الهي لا مانع لما عندك، فإن العبيد أقحطوا، وأنت تعلم أنهم لا يقدرون على عدلك، ياالله، ياالله، ياحي يقيوم، يا بديع السماوات والأرض أنت العلي العظيم، أرسل المدرار على أهل الأرض، فإن أحبائي احتاجوا لما عندك فغثهم غيثا نافعا غير ضار، يحمدون عاقبته، فإني أتوسل إليك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا أن تعفو وتتوب على أحبائي، وترحم بلادهم.

يا أرحم الرحمين، أرحم بلادهم، وأثمر حرثهم، وسلم ضالتهم من مال، من آفات الدنيا. وكن لهم في الرخاء والشدة، ياقريب غير بعيد أنت الحكم العدل ذو الفضل العظيم، وأنقذهم من ظلمات الجهل، إلى نور العلم، نور القلوب بمعرفتك يا ذا الجلال والإكرام أنت غير غائب عن أحوال خلقك، وأنقذ الضال من ضلاله، وزد المهتدي هداية، ياعزيز يا وكيل أنت وكيل كل شيء افتح لهم باب الإنابة والإجابة، آمين آمين.

اللهم سلم الحاضر والغائب وأعطهم خير طيورهم، يا من لا طير إلا طيره، آمين آمين، والحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.(3) حلفت على ربي أن يغيث أحبائي، وأرجو أن يبرني في قسمي.

1) وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم. سورة الحجر الآية 21
2) ب و خ : كذا
3) سورة الفاتحة

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يا مريد، فإن سألوك عن معنى قوله تعالى: وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين(1)، فنقول وبالله التوفيق: لا تظن أن الأنبياء يجهلون ربهم، ولكن العباد على ثلاثة أحوال، عبد تولى الله معرفته ولم يجعل بينه وبينه واسطة وجده بالفطرة الأولى، كبعض الأنبياء والأولياء.

وعبد جعل معرفته بواسطة، فلا يعرف الله إلا بالواسطة .

فإن إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، كان عارفا بالله تعالى موقنا، فلما عبد قومه الأصنام في الأرض، تعجب وأنكر فصار يتبارى معهم، فجرهم من الأرض التي عبدوا فيها الأصنام إلى ملكوت السماوات. وذلك أن الغيث يأتي من السماء، فتحايل عليهم بالسماء التي يأتي منها الغيث، وفيها الكواكب التي تزهر. وقد حكى الله في خبره فقال : وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين. فلما كاشف الله له ملكوت السماوات والأرض علم أن كل الملكوت لا تماثل الله. فعلم الخلائق عند إبراهيم سبقه علمه بالله تعالى، فإن الله هو المتولي تعليم نبيه، فعلمه علم الخلائق حتى حقق أن الخلائق لاتماثل الربوبية فقال تعالى : وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين.

أما ربوبيته للكوكب، فقال هذا ربي، أي هذا الكوكب من فعل ربي، فأضمر الفعل دفعا للحجة، لمخالفة ما يعبدونه في الأرض.

وذلك من سياسة العالم إذا أراد تعليم الجاهل. لأن عبادة الصنم في الأرض درجة، والكوكب الذي في السماء درجة، فأراد إبراهيم رحيلهم من عبادة الصنم إلى الكوكب، فإذا آمنوا بالكوكب رحلهم منه إلى معرفة الله تعالى.

فإن الكافرين مطموسون، فأقاموا شاهدهم. ولو أنكر أن السماوات والأرض ليس لهن اله لما صدقوه، فصار عليه السلام يريد رحيل النظر إلى مقام أعلى، ثم هكذا، إلى رؤية الله تعالى الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل. أي اختفى قال لا أحب الآفلين. فإن الشمس والكوكب ما داما موجودين نسبهما لربه، ومراده، فعله، فلما عدما قال لا أحب الآفلين وهذا كله إقامة للشاهد مع من لا بصيرة له، وذلك أن الكفار تمكنوا من عبادة الأصنام فلا يفارقونها إلا بأمر قاطع في الشاهد.

فإن الشمس والكوكب في الملكوت العليا، وكذلك أنوار المنورات فكأنه قال: يا قوم الشمس والكوكب هما من فعل ربي، فأراد مرافقتهم إلى الملأ الأعلى، فإن اجتمعوا على الملأ الأعلى، احتال عليهم، إلى رؤية الله تعالى. وذلك في المثل كمن يقود أعمى والأعمى عاجز، فيقول القائد للأعمى: إرحل من هذا المقام الذي لا يصلح لي، إلى ذلك المقام الذي يجمعنا صلاحه. فمراد خليل الرحمن معرفة خليله، فنسبة إبراهيم للكوكب هي من الكنايات ككنايته للكافر الذي قال له هذه أختي.

ومن هنا تعرف أن الإيمان هو التحقيق بالقلب، فإن المدار على إيمان القلب فقال تعالى: إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان(2)، فاطمئنان قلب إبراهيم بمعرفة ربه.

واعلم أن رؤية إبراهيم للكوكب أنه من فعل ربه كطلبه من ربه إحياء الموتى، فإن مجادلة إبراهيم مع الكفار ونسبة الكوكب و الشمس إنما هي بأمر الله تعالى، وما أمر الله به نبيه فلا لومة فيه عليه، فإن الخطأ في الطريق إلى طلب السلامة مغتفر.

فإن قلت بين لي، قلنا : إن إبراهيم مراده معرفة قومه لربه ، فإذا عرفوا ربهم حقا لم تضره نسبة الكوكب والشمس للربوبية، وذلك أنهم إذا عرفوا ربهم لن ينسبوا له نقصا ولا أفولا. وأما قوله هذا ربي فذلك قطع لحجتهم. ولما كانت الحسيات لا تماثل الله، وأنكر ما يعبدونه في الأرض، كأنهم قالوا له: أين ربك إن لم تكن أصنامنا ربك؟ فقال استنكارا لأصنامهم عليهم: هذا ربي أي هذا من فعل ربي.

ولا تظن بالأنبياء أنهم جاهلون لربهم، وأما نبينا إبراهيم فإنه في زمان عبادة الأصنام فصار يعاملهم بما يفهمون. والله الموفق للصواب اللهم يا حي يا قيوم، يا فاطر السماوات والأرض، أنت العلي العظيم، وأنت على كل شيء شهيد، وأنت على كل شيء قدير، احفظ دين أحبائي ولا تفتنهم بتغيير الشاهد وقهم شر الحاضر والغائب ولا تفتنهم عن دينهم يا أرحم الراحمين يا رب العالمين والحمد لله رب العالمين.

---

1) سورة الأنعام الآية 75

2) سورة النحل الآية 106

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فها أنا أزيدكم من فوائد جواهر علم التوحيد فنقول وبالله التوفيق:

الدواوين ثلاثة، ديوان العلم(1) وديوان اللوح وديوان القلب، فديوان العلم(2) هو ما علم الله، وهذا لانهاية له، وديوان اللوح هو ما عقل في الدنيا والآخرة، وديوان القلب(3) هو ما تعيه القلوب من حرف الدنيا، والطاعة، فكل ما في اللوح منقول عن ديوان العلم وكل ما في ديوان العقل(4) منقول من اللوح. فالدواوين كلها ألواح، فلا تجد الكاتب يكتب إلا ويضع علمه في كتاب أو لوح أو قلب، فإن كنت تعلم فما يصدر منك موضوع في قلب، فصارت العقول دواوين بعضها من بعض، وذلك من منة الله وفضله على عباده.

وديوان السماء هو الأرض، فإن ما ينزل من السماء ينزل إلى الأرض فالأرض تكون له ديوان. وذلك أن الأرض إذا أجدبت تكون عقيمة، فإذا أنزل الله عليها المطر ولدت بالنباتات لمنافع من عليها، وهذا ما يعطيه الشاهد.

ثم ننقل الكلام إلى خاصية الأسماء، فأما الغيث النازل من السماء إلى الأرض فهذا باسمه الرحمن وباسمه الرحيم، فإن الغيث هو رحمة الله على عباده وما نزل الغيث على العباد إلا لما على الخلق من ورود الرحمن الرحيم، فإن الخلق لهم نسبة في كل إسم من أسماء الله، ولا يشرح ذلك إلا من أعطاه الله علم ذلك. فإن أسماء الله تعالى تعددت على أحوال الخلق، فإن كل نعمة عمت الخلق فمن الرحمن الرحيم.

فإن قلت بين لي قلنا: إن الغيث يعم الخلق، وإن الحياة تعم الخلق، وإن العافية تعم الخلق، وإن الرزق يعم الخلق، ففي هذه الأحوال إنما يدعو العبد يا رحمن يا رحيم. فإن الأسماء وردت على الخلق، فكل له حاجة. فإن الجمادات إنما تطلب وتسبح بأسماء الذات، والملائكة كذلك وأما أسماء الأفعال فإنما يطلب بها الثقلان. فكل مخلوق يطلب ماله بالإسم، فإن إسم الحفيظ إسم لمن يخاف الآفات وهو للحفظ، فإن العبد يطلب حفظه من الآفات، فإسمه الحفيظ لهذه الأمة خاصية عن غيره وذلك أن خاصية هذه الأمة حفظها لكتابها، فإن حفظ الكتاب من نسبة إسم الحفيظ. فإن الحفظ هو محل ورود الحفيظ. فمن يطلب حفظ الشيء فليطلب باسمه الحفيظ، وأما الزرع فبالودود وإن إنجاز الأشياء بورود إسمه الودود، ومن يطلب من الله الأشياء فليطلبه باسمه الودود.

ومن يطلب غفران الذنوب فليطلب باسمه الغفور، ومن يطلب من الله تعالى إقالة الذنوب فليطلبه باسمه الغفور، ومن يطلب بركة الرزق فليطلبه باسمه الرزاق، وهذه حالة العبد بينه وبين الله. فإذا علم العبد أن كل إسم ورد على أحواله فهو مع الله تعالى والله محيط بأحوال عباده. فأسماء الله تعالى هي التي يطلب بها العبد وهي التي يتعلم العبد من الله، فإذا ظهرت معاني الأسماء للعبد علمه الله من علمه فهي مفتاح علم الغيوب.

ومن يطلب الهدي من الله فليطلبه باسمه الهادي. والله يدعوا إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.(5)

وأسماء الله تعالى محيطة بأحوال العبد، فكواكب السماء تهدي إلى الجهات الحسيات، والأسماء تهدي إلى المعاني، فوضعها الله تعالى للخلق ليهتدوا إلى منافعهم ويتجنبوا مضارهم فإن كواكب السماء زينت بها، والأرض زينت بأسماء الله تعالى.

عليكم بمعرفة أسماء الله تعالى فإن التوحيد هو أساس الدنيا والآخرة.

ثم ننقل الكلام إلى التناجي فنقول : إلهي أنت الله لااله إلا أنت وحدك لاشريك لك أسألك باسمك الجامع لجميع معاني أسمائك وصفاتك، أن تجود على أحبائي، ياالله بالعافية الدائمة. أسألك باسمك الوارد على خلقك يا رحمن يا رحيم ارحم أحبائي برحمتك الواسعة و باسمك الهادي أهدي أحبائي على منافعهم دنيا وأخرى. وباسمك اللطيف يا لطيف ألطف بهم وأعطف عليهم. واعف عنهم يا عفو ما جنوا في أولهم و آخرهم ودم عليهم ستر الدنيا والآخرة ولا تفتنهم بتغيير الشاهد وامنحهم الصبر وثبتهم عند النزع، وعجل لهم الخلف فإن كان في السماء فأنزله وإن كان في الأرض فأخرجه واجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجا.

إلهي إن كانت لهم من مصيبة فلا تجعلها في دينهم، وإن كانت في الدنيا فعلمهم الصبر وعليك الخلف في كل ما تلف.

إلهي حقق لهم حقيقة ما عندك حتى لايروا ما عندهم شيئا، ويروا ما عندك خيرا وأبقى، اللهم إن الدنيا جعلتها دار الرحيل ومنحت العالمين فيها الستر، فدم سترك على أحبائي فيها وأحسن رحيل من فيها منهم. ونعيم المقام إلهي لمن أقام منهم بها، ونعيم الرحيل لمن رحل عنها، فزود من رحل منهم روحا وريحانا، ومن بقي منهم فيها فامنحه العافية والرزق الواسع والقرب من الله تعالى حتى لا يرى غيره، ولا تلهينهم بالهيئة المفتنة الغدارة الضارة المقبلة الكيالة للرزق والعمر، فيخرج منها المرء وحيدا فريدا ليس معه أحد إلا الله، إلهي أسألك من فضلك العظيم أن تتفضل على أحبائي من فضلك العظيم آمين يا رب العالمين.

---

1) ب و خ : العلمي
2) ب و خ: العلمي
3) ب و خ : القلبي
4) ب و خ : العقلي
5) سورة يونس الآية 25

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فها أنا أفيدكم من فوائد المعرفة

منها تكرار قصص القرآن وتكرار الأسماء، فإن قلت بين لي فائدة تكرار الأسماء وتكرار القصص فنقول:

تكرار القصص فيه فوائد منها : أن الخبر الصحيح اذا تكرر من العدل قام التكرار مقام المستفيضة: فإن الله أخبر عن الأولين فحذر نبيه مما وقع عليهم، وأخبر أنه أمهلهم مع نعمته استدراجا منه لهم، وفيه وفاء الله بما للعبد من الدنيا ولو كانت عاقبته في الهلاك، وفيه أن طول العمر لايدفع بأس الله، وكثرة النعم كذلك، وفيه أن العبد هو على آخر عمله من خير وشر.

فلو دامت عليه النعم وأخيرا أخزي فهو على خزي، كذلك لو كان على حاله الكد والضيق في الدنيا وآخره الراحة لكان على راحته فقال تعالى: والعافية للمتقين.(1)

وتكرار القصص دل على صحتها فإن الله صادق في خبره، فخبر الواحد ضعيف مع خبر الجماعة، فإن خبر الجماعة مع خبر الواحد صحيح باتفاقهم عليه، فكرر الله القصص لصحة الخبر.

ومنه ما يخبر به خبر الواحد عند العقلاء فإنهم يسألونه، ثم يسألونه فإن لم يزد ولم ينقص فيدل ذلك على صحة خبره وإلا فلا، فالخبر إنما يوهنه التناقض. وخبر الله عن الأمم الماضية ليس فيه تناقص، فتجد خبر الله كأنه من أخبار مخبرين، وهو في نفس الأمر خبر من واحد، فإن القصص تختلف في الحروف والمعنى واحد.

ويقتبس منه أن الخبر المستفاض يصح بالتواتر فإن المستفيضة لا تتواطأ على الكذب، فإن خبر الواحد ضعيف مع خبر الإثنين وهكذا، وذلك أن الخبر في نفسه يحتمل الصدق والكذب، ولا يقوى إلا من معصوم أو عدل.

وفيه حكمة أخرى، فإن القارئ إذا قرء قصة في سورة ثم خرج منها إلى سورة أخرى فيها قصة، أعتبر ثانية، فإن الإنسان قاسي القلب فإن لم تنفعه آية فلعل آية أخرى تنفعه، وما كثرت الآيات إلا للإعتبار.

فإن قلب الإنسان معلق بباب دونه باب دونه باب، فكل آية تفتح منه بابا، فالتكرار المذموم، هو الذي لايجلب معنى ظاهرا ولا باطنا وتكرار القصص للفوائد التي بطنت فيه.

إن كلام الله صادق وشاهد ذلك كثرة القصص للإشهاد على ما وقع على الأمم الماضية، وذلك أن العبد إنما يقوى عنده شاهده، والأمم الماضية سلفت ولا يقوى الخبر عنها إلا بأمر متواتر. فلذا كرر الله القصص لتنبيه أهل القرآن على صحة ما وقع على الأمم الماضية.

وفيه فائدة، وهي إظهار معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن الإنسان إذا كان يأتي بخبر ماض لم يشاهده، فدل ذلك على أنه من عند الله تعالى، وذلك أنه إذا أخبر بخبر ماض وكرره على خبر واحد دل ذلك على عدم نسيان المخبر وسعة علمه، والسر في ذلك أن القرآن لما دامت معجزته إلى يوم القيامة تكررت القصص لاعتبار نفوس الخلق.

وفيه حكمة، أن المتعلم لا يعلم من العلوم إلا ما تكرر لعدم ضبط الإنسان في أمر واحد، فإن الواعظ يعظ ثلاث مرات، ومن بلغ يبلغ ثلاثا. وفيه أن القرآن لا يحفظه الناس جملة فيحفظ أحدهم سورة فيها قصة ويحفظ آخر سورة فيها قصة وهكذا.

إذن فالقرآن كله معجزة فهو معجز، وهكذا في الغيبيات، فإن الله تعالى كرر على الغيب لتقوية النفوس، ولحصيل الثبوت من صادق عدل لا يغفل ولا يسهو. فهذه فائدة تكرار القصص. أما فائدة تكرار الأسماء فإن كثرة الأسماء تدل على وجود المسمى.

ولما حجبت الخلائق عن ربها أورد أسماءه على أحوالهم فلا تجد حالة من أحوال العبد إلا وورد عليها إسما من أسماء الله تعالى. فتكررت الأسماء وهي بالنظر إلى الله تعالى فهي واحدة، فمرجع معانيها إلى إسم الله الأعظم.

فان حققت بهذا فلا تظن أن كلام الله مختلف فقال تعالى : ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا.(2)

والسر في ذكر الأسماء هو أن أسماء الله تعالى فيها بركة فكل آية فيها إسم الله تعالى فهي بوركت بذلك الإسم، أو كانت فيها أسماء كذلك، فأسماء الله تعالى هي واسطة معرفة أهل الله تعالى. فالأولياء يقتبسون العلوم منها، فإن الأسماء معانيها محجوبة عن المذنبين، فإسم واحد من أسماء الله تعالى لو فتح الله معناه لملأ الأرض، ولكن مقامات الأشراف لا ينالها الأطراف والله الموفق للصواب.

اللهم أنت الحي القيوم بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير فلا (...)(3) عند غائبة فلا لك بداية ولا لك نهاية ولا تركت للخلق حجة على ألسنة رسلك، فرج عن أحبائي كرب الدنيا والآخرة وهون عليهم المصعوبات وأكف المؤونات واغفر الزلات وكفر الخطيئات عمن حيي منهم ومن مات آمين هم وجميع المسلمين.

---

1) إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين سورة الأعراف الآية 128
2) سورة النساء الآية 82
3) سقطت كلمات من النسخة الأصل

الباب الرابع والستون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فها أنا أزيدكم من معرفة أصول الأشياء فنقول:

الله وتر والخلائق شفع، وما كان إلا الشفع والوتر في الموجودات. ولا بد من معرفة الشفع فيمتاز عن الوتر، ومعرفة الوتر فيمتاز عن الشفع.

الشفع هو الذي يقبل القسمة وهو متعلق الحواس الظاهرة، والوتر هو الذي لا يقبل القسمة أصلا، إذ الوحدانية واجبة له أصلا، والشفعية للشفع.

فإن قلت بين لي دليلا حتى يظهر أنه ما كان إلا الوتر والشفع قلنا: تجد ذلك في العدد، فإن بدأت الكيل تبدأ بالوتر، تقول واحد، فإذا كررت تقول اثنان، فالإثنان شفع، والواحد الذي بدأت به هو الثالث، والخامس، والسابع، والتاسع، فانتهى الشفع بالوتر، ولا نهاية للوتر.

فإذا أكملت عشرا بدأت بالوتر، وقس على هذا جميع الأعداد.(1)

فإن قلت ما حقيقة الجوهر الفرد؟ قلنا: أثبت العقل وجوده وهو غير محسوس، ولكنه متحيز، فجعله العقل دليلا على وحدة الذات. وذلك أن العقل حكم أن الله غير محسوس للحواس، وأن الإنسان له عقل وعلم وقدرة وسمع وبصر وكلام، وكل هذه الأوصاف تدل على نعوت معاني صفات الله تعالى، ولكن معانيه لا تشبه معاني المخلوق، وبقيت ذاته تعالى ليس كمثلها شيء. فحكم العقل بوحدة الجوهرة الفرد دليل على وحدة الذات، لا هو محسوس في المحسوسات، وفرديته لا تشبه فردية الذات، فهو لا يقبل القسمة، ولو قبل القسمة لا يتناهى، وكل ما يقبل القسمة يتناهى بالوحدة. وتلك الوحدة هي جوهر الفرد.

وأما الجوهر المحسوس فيقبل القسمة، وهذا من علم أصول المخلوق.

فإن قلت ما الحكمة في بيض الطير، وكل ما يلد بيضا حبسا على جنسه حين الخروج، وما يلد بيضا ثم يكون على جنسه، فصار البيض واسطة، ولا تدخله الروح إلا بعد خروجه فنقول: إن الطير لما كانت راحته في الهواء، وراحته في النزول منه إلى الأرض، فصار الرحم له الأرض، لأن الهواء شديد البرد تارة، ويكون شديد الحرارة تارة، فهو إنما يصلح تحركه بأجنحته، فجعل الله له مصلحة في الشمس والهواء، فإذا دخلت فيه الروح يتحرك حركة الطيران ثم يسكن ولا يصح له ذلك في بطن أمه.

وأيضا جعل الله في أمه له رحمة، فإذا ولدته جنحت عليه، وإذا لم يكن عندها رزق تطير تطلب رزقها، فما دامت تطلب رزقها يرزقه الله في البيضة بأمر لا يعلمه إلا الله. فتصبح تطلب رزقها، فتأكل منه وتدخر له شيئا من رزقها ما دام في البيضة، فإذا فقست عنه البيضة تجعل تقمه ما ادخرت له.

ولو ولدته حيا، يتنفس وليس عندها ما تطعمه له لهلك. وأيضا لو كان في بطنها بأجنحته، لم تستطع له إخراجا، إذ طبيعته الطيران. وهذا من سعة رحمة الله وسعة علمه وهو أعلم بمصالح عباده.

وأما البهائم وأبناء آدم فكل سهل الله رزقه من أمه، فإذا ولدته أمه أخرج له رزقه من ثديها.

وأما ذوات السموم، فلو كان الإنتفاع من أمهاتهم باللبن لهلكوا، فإن لبن السموم سم، ولذلك منعوا منه.

فإن أهل الأرض على مراتب، وإن الطيور الطائرة ناسبت الملائكة، فحدد الله تعالى للطير حدا في الهواء لا يتجاوزه، ولها البركة في الهواء، فإذا طار الطائر في الهواء تنزل البركة فيه فيقوى بإذن الله تعالى. فهو بين أهل الأرض وأهل السماء. فما دام فرخا في البيضة تنزل عليه البركة فيتقوى بها بإذن الله تعالى، فإذا نبتت أجنحته يطير مع البركة، وينزل معها. وذلك أن الأرض كانت نقية ذات بركة، وكانت الطيور من أهلها، وكان سلطانهم النسر، وسلطان الدجاج الديك، حتى تقاتل الجان فيما بينهم فنزلت الملائكة وفرقت بين الفريقين.

وطارت الملائكة إلى السماء، فاجتمعت الطيور فيما(2) بينها فقال النسر: نطير مع الملائكة وقال رئيس الدجاج: لا نقدر على صحبة الملائكة، فطارت طيور الهواء بأثر الملائكة فعجزت، وبقي الدجاج فبقيت الحكمة فيه.

فإذا رأيت الطير يطير في الهواء إنما هو من الطمع في العروج إلى الملائكة، وذلك أن الملائكة لهم أجنحة لكن هبوط الملك بأجنحته، وصعود الطير بأجنحته. سبحانه لا اله إلا هو الذي أعطى كل شيء خلقه ووسع كل شيء علمه.

اللهم أنت المدبر القدير، وأنت السميع البصير، وأنت العلي العظيم، وأنت الكبير المتعال الحول بيدك، والعز بيدك، والدين بيدك، ومقادير الأمور بيدك، والملك بيدك، لا شريك لك، غمرت الأرض بعدلك، وافتقر عبيدك إليك فأنت الرحمن الرحيم، أرحم أحبائي بالغيث النافع، ولا تطردهم من بلادهم، وسكنهم فيها بفضلك وجودك، يا ذا الفضل العظيم يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين.

---

1) يقول إخوان الصفا : إعلم أن العدد هو لسان ينطق بالتوحيد، وينفي التعطيل والتشبيه. ويرد على من أنكر الوحدانية. وذلك أن العدد متى يضل منه الواحد فسد نظامه وتعطلت أقسامه. IMADKUR – LA PLACE D'ALFARABI PHIQUE MUSULMANE, PARIS 1936 P46.

2) ب : ساقطة

(ملحق الباب : الحمد الذي دل إيجادنا عليه وهو الدليل الحق، والدليل السابق القديم أقوى من دليل الحادث. فدليل الحادث ضعيف، فأين عندك لا هو حادث ولا هو غائب؟ كيف يستدل عليه بالحادث وهو عين الدليل؟ كيف اقتفاؤك دليل آثاره وهو الذي أقفاك لآثاره؟ كيف نظرك إلى آثاره وهو منبهك عليها؟ كيف إحاطتك بآياته وهو أحاط بك بعلمه؟ ما من آية يريكها إلا وهو خالق أكبر منها؟ كيف تبصر آياته وقدرته تخترع أبدا بحسن تعلقها؟ فأين أنت من هذه الحالة وربك قد قال : وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها. كيف رؤيتك لأحوال أقوى من سؤالك عن الأقوال؟.

إلهي سبحانك، لا أنت مشهود فتكيف ولا أيت جوهر فتتحيز، ولا أنت عرض فتفتقر إلى ذات ولا أنت مكان فيحل فيك.

كيف أنت فلا أنت فوق ولا أنت تحت، كيف بنا إذا رأيناك فكيف جوابنا لك إذا سألتنا عن ودائعنا وأماناتنا وأموالنا وما قصدنا بها وما فعلنا بها. كيف بنا إذا حاسبتنا ومننت علينا. كيف بنا إذا وردت حسناتنا وسيئاتنا وازدحمت الأمم باتجاه النجاة اللهم سلم، سلم. كيف بنا إذا أتانا طالب يطلب حقه، إما والد لم نؤدي حقه، أو جار لم نحسن مجاورته أوصاحب حق لم نؤدي حقه.

كيف بنا إذا سألتنا عن مال اكتسبناه وعن صلاة لم نؤد خشوعها، وصيام أمرتنا بصيامه فلم نصمه.إلهي، ماذا بعد معرفتك وبعد ما وجب لك من الكمال، كيف لنا إذا سألتنا عن معرفتك فلا جواب لنا إن لم نوحدك، فلا مكالمة بينك وبين من جحدك. كيف جحودنا لك وأنت الخالق للسماوات السبع وما فيهن من الملائكة، ومع كثرتهم سجدا وركعا يعبدونك ونورت السماوات بالنجوم الطوالع، وخلقت الأرض مع أشجارها وأنهارها وبحورها.

كيف تجحد. كيف بنا إذا أزلت الظل، وقربت الشمس، وفارت العروق، وبقيت الأمم صفوفا يطلبون السلامة فلا يدرون ما يقال لهم فيما فعلوا وفيما قالوا، فذلك يوم لا ينفع فيه إعتذار، ولا ينفع فيه إلا عفوك، أعنا يا مولانا وكن لنا غدا عند ازدحام الأمم، يوم يقوم الأشهاد، فلا تجعلنا من الظالمين الخائبين غدا، والحمد لله رب العالمين).

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يا مريد، فها أنا أفيدكم من الأسرار الباطنة التي هي أصل الحسيات الظاهرة ومنها، لما قضى الله الخلق وخلق ما خلق، وأراد ما أراد، حكم على نفسه بالرحمة للخلق فخلق الدنيا، وخلق الجنة والنار، وخلق الملائكة وخلق الجان.

فعرض الدنيا على الملائكة، فقالوا : مالنا فيها حاجة إلا رضاك. وعرضها على الخلق سوى بني آدم، فقالوا : مالنا فيها حاجة إلا ما أعطيتنا فيها، فإننا راضون بقسمتك. وعرضها على إبليس فقال : إن كانت لي وحدي، ولم تشركها لي مع غيري أقبلها.

ثم عرضها على أبناء آدم وهذا في دنيا(1) الأرواح، فماجت الأرواح تموجا، فالأنبياء تركوها ولم يقبلوا منها إلا زادهم، والكفار سلكوا مسلك إبليس.

فلما أراد الله ما أراد منهم، خلق دنيا يقال لها دنيا الأمل، فهذه حازها إبليس وحده. فلما خلق الذوات، وأدخل في كل ذات روحها، صارت كل روح على ما هي عليه أولا.

فأما المؤمن فدنياه التي هي موجودة له، وهي التي فيها ستره، وبها يبلغ خير الآخرة، وبها ينجو من النار.

وأما الدنيا التي حازها(2) إبليس فهي التي جعلها الله محل الغرور. وذلك أن الإنسان يشهيه إبليس في دنياه التي دونها الموت، وهي الدنيا التي لاتكسبها إلا بحسن النية، ولا مدخل للأفعال فيها، وإذا أراد الله الخير للعبد، يجعل نيته متعلقة بما لا يدركه عمره، فيحصل له الثواب بحسن نيته، وهي الدنيا التي عليها إبليس.

كما أن العبد إذا خبثت نيته في أمر لم يبلغه، فإن الله يعفو عنه، وذلك محل قوله تعالى: إن رحمتي سبقت غضبي. وذلك في المثل كمن يقول: لو أن الله أعطاني عمر من كان له مائة سنة أو مائتين لأعملن ـ كذا من الخير، وعلم الله فيه الصدق وحسن النية، وأعطاه منها الستين، وعمل في الستين، فالأربعين الباقية من دنيا الأمل يكتب له أجر نيته وما قصر عنه من المائة، فلا عليه فيه شيء، إذ طول الأمل لا منتهى له، وليس للإنسان إلا ما نوى من طول أمله.

فإن حققت بهذا، فمعنى قوله تعالى: وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور، وهي دنيا الأمل التي لإبليس إذ ليست شيئا في نفس الأمر.

فإن قلت كيف هي ليست شيئا والدنيا موجودة في نفس الأمر، قلنا:

معناه أن دنيا شئت هي بالنظر إلى أمل آدم كلا شيء، وأمل شئت إلى دنيا نوح كلا شيء.

وأمل نوح إلى دنيا إبراهيم كذلك، وأمل إبراهيم إلى موسى، إلى محمد ، إلى كل من أدرك شيئا منها فهو غرور، وقس على هذا.

والمعنى أن أمل ابن آدم احتوى على جميع الدنيا، والدنيا مقسومة في نفس الأمر عند الله تعالى، فليس لإبن آدم إلا ما أعطاه الله من الدنيا، لا ما يعطيه أمله. والدنيا حصرت في الأزمنة، والآجال والأرزاق. فخلق الليل والنهار زمانا لأهل الدنيا وذلك لحكمة، فإن الليل جعله راحة لهم، ولمناجاة ربهم. فإذا ناموا في الليل تجتمع الأرواح عند رب العزة فكل يسأله عما فعل في النهار،وما فعل أول الليل، فإذا رضي عن روح كشف لها الحجاب عما لها في نفس الأمر، فيكرمها بما يسرها في دنياها وآخرتها، فإذا بقي جزء من الليل أرسلها لخدمته ومناجاته، فيستجيب لها.

وإن كان صاحبها في النهار ظل في معصية، تركها، وسلط عليها شيطانا يروعها، ويريها الله مكارهها دنيا وأخرى. وهذا تحت معنى قوله تعلى: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى. (3)

والليل يدل على حالة العدم، والنهار يدل على حالة الوجود، فإذا نام الإنسان دخل البرزخ الذي هو دنيا الأرواح ،ودنيا الأرواح هي دنيا المعاني، ودنيا الذوات بين الظلمة ونور الحسي، فنور الحسي لا يفيد معنى من المعاني، ونور المعاني هو الذي يريك الوجود أي يريك من له القدم، ومن له الحدوث. فالله تبارك وتعالى هو المالك لجميع الأشياء، فلا ترى موجودا من الخلائق إلا وخلق لحكمة، وهذا تحت معنى قوله تعالى: أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا(4). فالليل والنهار يقولان بلسان حالهما: أيها الإنسان لا مقام لك في الدنيا، وهل لوجودنا مقام إلا قدر ما بين طلوع أحدنا وغروبه، ونحن من الطلوع سائرون من شروقنا إلى غروبنا كذلك أنت أيها الإنسان - طلوعك خروجك من الأصلاب، ومن الأرحام، وغروبك غروب الروح منك، فإن ظلمة الليل تسترك ، وضوء النهار يظهرك، فظلمة بطن أمك تسترك، وخروجك منها أظهرك، فلا أنت قائم في هذه الدار إلا مقام ما بين الطلوع إلى الغروب فيها.

نحن نطلع عليك ونغرب عنك، فإن شئت لا نطلع عليك إلا وأنت تائب، وإن شئت لا نغرب عنك إلا وأنت تائب فبادر العمل، فنحن أيها الإنسان ضاع بنا كيل عمرك ورزقك، فلا تدري متى يوفى الكيل الرزق والعمر.

بادر العمل، واعتبر في طلوعنا وغروبنا فنحن من آيات الله الدائمة، للإعتبار، والراحة والخدمة و جميع مصالح العباد.

اللهم تب على أحبائي وارحم بلادهم بالغيث النافع، آمين يا رب العالمين.

---

1) ب : دنية
2) ب : حاز
3) سورة الزمر الآية 42
4) سورة المؤمنون الآية 115

الباب السادس والستون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يا مريد، فها أنا أزيدكم من فوائد الأصول. واعلم أن الفروع على الأصول وما من فرع إلا وله أصل، وما من أصل إلا وقام بقدرة الله تعالى.

واعلم أن الدنيا خلقها الله لمنافع آدم وبنيه وذلك بفضل محمد صلى الله عليه وسلم، فنبينا أبوه آدم بالنسب ونبينا أبو البشر بالبركة.

فخلق الله السماوات والأرض لمنافع أبناء آدم وذلك ببركة محمد صلى الله عليه وسلم، فإن قلت بين لي، قلنا: إن السماوات ينتزل منها الغيث إلى الأرض، ونزول الغيث إلى الأرض ببركة محمد صلى الله عليه وسلم.

فإن قلت إن الكافر من أهل الأرض، وهو مرحوم بالغيث فنقول: هو أخو محمد صلى الله عليه وسلم.

فأتته الرحمة بالأخوة في النسب، والمؤمن بالنسب والإتباع. وكما أن أهل الأرض يمطرون ببركة محمد صلى الله عليه وسلم، كذلك يمطر أهل السماء ببركة محمد صلى الله عليه وسلم بالنور.

فإن قلت كيف يمطر أهل السماوات وهم لا يأكلون ولا يشربون فنقول: إنهم يمطرون بغيث النور، وهو معرفة الله تعالى، فتزداد قوتهم بذلك النور الذي يتنزل عليهم.

وكذلك إذا أبطأ الغيث عن أهل الأرض، فيشفعون لأهل الأرض عند ربهم، وذلك أن بعض الملائكة الموكلين بنزول الغيث يأتيهم(1) الملائكة فيقولون لهم ما أبطأ المطر عن أهل الأرض؟ فيقولون: لا علم لنا فنحن مأمورون. فيقول لهم الذين قالوا إنما نحن مأمورون: ومن أخبركم أن الغيث بطئ عن أهل الأرض؟ فيقولون: نقصان النور الذي يتنزل علينا. فالملائكة ناصحون لأهل الأرض، فإذا شفعوا لأهل الأرض، واستجاب الله لهم، ينزل الأمر من عند الله فتمطر السماء الماء على أهل الأرض، ويمطر النور على أهل السماء، فنالت الملائكة من بركة محمد صلى الله عليه وسلم.

فإن قلت ما الشفيع لهذه الأمة من الملائكة؟ قلنا: سيدنا جبريل على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فهو شفيع أهل الأرض، وهو حبيب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الذي كان يأتيه بالوحي.

ولما مات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، خلفه الله على الأرض، فهو يشفع لهم إلى يوم القيامة. فمن أذنب من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهو الذي يطلب العفو له من الله. فإذا تشفع جبريل إلى الله فيقول جبريل: تاب الله على فلان فيودعها للملك الموكل فيكتب توبته، فإذا فرغ الكاتب تاب العبد بقدرة الله. وهذا معنى قوله تعالى: فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم(2)، ومن تاب، تاب الله عليه. والمؤمن، والكافر، في الظاهر يشفع لهم جبريل في السماء، ويشفع الصالحون لأهل الأرض من عاص ومطيع.

فإن قلت كيف يشفع الصالح للكافر؟ قلنا : يشفع له بالإسلام فإذا أسلم بسبب دعوته فكأنما أسلم على يديه بسيفه، فسلاح المؤمن دعوته.

ويا مريد، العرش خلق لإصلاح ابن آدم، والشمس والقمر والنجوم كذلك، والأرض كذلك، والجبال، والأشجار كذلك. فكل ما فوقه وما تحته وما هو عن يمينه وشماله وأمامه وخلفه فهو منفعة له.

فإن قلت بين لي، قلنا: ما فائدة العرش، وما فائدة الشمس، وما فائدة الأرض إن أعدم أهل الثواب والعقاب مع أرزاقهم وآجالهم، فلا ليل ولا نهار يطلعان إذ فائدة طلوعهما وغروبهما لإعتبار أهل الثواب والعقاب، فالدنيا المحسوسة خلقت لأهل الثواب والعقاب وكذلك الجنة والنار.

فإن قلت بين لي من أين نال آدم وبنوه الفضل حتى كانت الدنيا من أجلهم والجنة والنار كذلك قلنا: ذلك من سر الله، فإن بني آدم هم الذين أظهروا معنى فضله وعدله، فلولا ذنوبهم ما ظهر معنى لعدله، ولولا طاعتهم ما ظهر معنى لفضله، والخلائق خلقهم لا فائدة لهم إلا لإظهار معاني أسمائه تعالى.

فقدرته تعالى أظهرت الخلائق معناها، بأن أوجدهم بقدرته، وأظهرت معنى لعلمه بأن أتقنتهم، وأظهرت معنى لإرادته بأن خصصهم من كل جنس ونوع ولون.

وبنو آدم أظهروا معنى لعدله وفضله، فالدنيا أصلها أجل، ورزق فقط، فإذا تمت الآجال والأرزاق، فلا معنى لبقاء الدنيا فما فات من الدنيا هو آجال وأرزاق من فات من أهلها، وما بقي منها بقي لمن فيها.

فإن حققت بهذا يظهر لك أن الدنيا خيار أهلها بنو آدم، إذ لولاهم ما خلقت الدنيا فما كان منها من رزق فببركة محمد صلى الله عليه وسلم. فالمنة لله وحده ولرسوله الذي هو رسول إلى الخلق، فإن تأخرت ذاته عن الأنبياء فقد سبق نوره، فإن دخلت ذاته الأرض بقيت بركته لأهل الأرض والسماء، وذلك كله من فضل الله علينا بني آدم.

اللهم بحرمة هذا النبي الكريم، الذي فضلته على جميع خلقك، وأنزلته منزلا عاليا على جميع خلقك، وأكرمته ونورته، وجعلته بشيرا، ونذيرا، وشفيعا، بجاهه لا تحرم أحبائي من بركته، ولا من شفاعته، ولا تحرمهم من اتباع سنته.

وبحرمته، افتح عليهم من السماء ماء مباركا يحيى جنانهم، ومواشيهم، وزروعهم، وشجر بلادهم، واجعلهم من أسعد عبادك، آمين، آمين.

---

1) ب : ياتوهم
2) سورة البقرة الآية 37

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، قل لأحبائي إذا فتح الله للعبد ما يطلب عند ربه، فعليه أن يحمده على الفتح، فإنهم قنطوا مما عند الله من الغيث، فها هو أغاثهم ورحم بلادهم. فعليهم أن يحمدوا ربهم الذي أغاثهم.

والحمد يكون باللسان، والشكر بالفعل، فإن الله تعالى خزائنه لاتفني وملكه لايبلى، فهو رب العالمين الرحمن الرحيم الذي رحمته قريب من المحسنين، وهو مع الذين اتقوا ومع المحسنين.

قل لأحبائي عليهم أن يحمدوا ربهم الذي خلقهم ورزقهم وأنزل عليهم من السماء ماء وأنبت لهم معيشتهم في الأرض، أفلا يحمدون ربهم الذي متعهم بأسماعهم وأبصارهم وحركاتهم وسكناتهم؟. نعمة الله لاتحصى على العبد، فمن نعمة الإيمان تترادف نعمه على عباده إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

ألا تتقون الله الذي رعد عليكم الرعد، وأبرق فوقكم البرق، وصعق الصواعق فوقكم. ألا تنتبهوا لفعل ربكم. في كل يوم يعز ويذل، وفائدة قول الله للعبد أن يفهم من قوله: يعز ويذل فيرجو عز الله ويخاف ذله له.

ما كانت آية من آيات الله إلا وهي بين الخوف والطمع، فهو يدور بين الرجاء والخوف. فإن قلت : بين لي وزدني إيضاحا قلنا : إذا ذكر الله خبر الأمم الماضية فاعلم أنه يخوف العبد ويحذره من فعلهم، فقد أنذر العبد أن يقع عليه ما وقع على الأمم الماضية. وإن ذكر خصال الأنبياء فقد طمع العبد، فإن من إقتدى بالأنبياء فقد تسبب بأسباب الخير. وإن وصف الجنة فقد طمع في الخير، وإن وصف النار فقد خوف منها.

وهكذا فإن العبد له حالتان حالة يرجو الخير، وحالة يخاف من الشر.

فإن الله تعالى بنى دارين، الجنة، والنار، فالجنة دار الرجاء والنار دار الخوف، فأمر ونهى، وأمره ونهيه على الدارين. فجعل الثواب. والعقاب، وجعل القحط والرحمة، وجعل العداوة والمحبة، فقال تعالى: ومن كل شيء خلقنا زوجين(1)، فمعنى الظاهر الذكر والأنثى، ومعنى الباطن الرجاء والخوف.

فمن أمن من مكر الله جهل الله، ومن قنط مما عند الله جهله أيضا.

وما نبهتكم على هذا إلا أن تعلموا أن الله على كل شيء قدير. فمن اشتكى منكم كثرة الديون وكثرة العيال وضيق الحال فليستعذ من الشيطان الرجيم، وأمر الله بالإستعاذة من الشيطان، ويشتغل بالأسباب التي تكون قضاء ديونه من بيع، وحرث، فإن إعانة الله للعبد مع الأسباب التي وضع لراحة النفوس، ويتوكل على الله في جميع ذلك.

يامريد قضاء الديون وغيرها بالله تعالى فقال تعالى : واستعينوا بالصبر والصلاة(2)، فإن الله حض على الصبر والصلاة، فإن الصبر يؤدي إلى الخير.

ما صبر أحد على طاعة الله، إلا وفاز بصبره ، ولا صبر أحد عن معصية الله إلا وأعزه الله تعالى. واصبر وما صبرك إلا بالله.(3) فإن الصبر لا يكون إلا بالله فهو منيحة منحها الله لمن شاء من عباده.

فإن قلت ما فائدة الصبر قلنا: الصبر هو الخصلة التي ينال بها الخير فهي عمل جامع لجميع معاني الخير، كما أن إسم الله الأعظم هو الجامع لمعاني الأسماء، كذلك الصبر، فإن

الصبر هو العمل المضاد للنفس والشيطان، فإن الإنسان أصله عدم الصبر، فإذا أكرمه الله منحه الصبر.

فإن قلت ما أصل الصبر قلنا : لما كان الله يختبر العباد بالمحن وخلق الدنيا دار الأكدار والظلم، أكرم الله من شاء من عباده بالصبر. فإن الصبر دون الحوائج. و لا أحد ينال حاجته عند الله إلا بعد الصبر، ولا يجازى الناس إلا على الصبر، فإن الأنبياء فازوا بالصبر. فإن الإنسان كالمسافر إلى الله يطلب ماله عند الله تعالى، ولا ينال ماله عند الله إلا بالصبر.

اصبروا يا أحبائي على طاعة الله تعالى، واصبروا للخلق، واصبروا لإساءة جواركم، واصبروا لزلات الجهال، فمن صبر فاز في الدنيا والآخرة، إن شئتم أن تعتبروا فانظروا فيما بين الله وبين خلائقه، يعصونه وهو يرحمهم، ويلطف بهم، وهم متكبرون والكبرياء له سبحانه. وبلطفه ورحمته ساوى في الرزق بين العاصي والطائع، فعامل أنبياءه لما صبروا له، وعامل عصاته بلطفه ورحمته.

وذلك من سر قدرته، ولو عامل العصاة على عصيانهم لهلكوا فالله تعالى أعفي وألطف وأرحم بهم(4) من بعضهم ببعض.

فأنتم عديموا الصبر لمن أساء عليكم، والله تعالى لاتغيره إساءة عبيده.

فاصبروا واحمدوا ربكم واستغفروه وكونوا رحماء بينكم وبين الخلق والله الموفق للصواب.

اللهم أنت العلي العظيم، وأنت على كل شيء شهيد، وأنت على كل شيء قدير، أقض ديون أحبائي إما بالمال أو بعفو الظالمين، وبين الأمر حيث صعب، يا مفرج الكروب والمصعوبات فرج مصعوبات أحبائي بما شئت فإنك أنت المالك لقلوب الخلائق، فرج يا مفرج آمين والحمد لله رب العالمين.

---

1) ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ، سورة الذاريات الآية 49
2) سورة البقرة الآية 45
3) سورة النحل الآية 127
4) ب : ساقطة

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فإن قلت ما الحكمة في خلق العرش والكرسي والسماوات والأرض قبل خلق آدم فنقول: هو لإعتبار بني آدم وأرزاقهم، فإن قلت زدني إيضاحا فنقول: أما العرش فهو خلق من النور، والإنسان إنما يدرك بصره بادراك النور، والشمس هي طبه، وإن السماوات للإعتبار، والنجوم ليهتدي، بها والأرض هي فراشه، وعليها رزقه فهي مدفنه، ولو مات من غير وجود الأرض لم يكن له ستر.

فإن قلت من أين الأرض أم بني آدم قلنا: هي التي نشأ منها آدم وهي التي فيها معاشه فشابهت الأم، فإن الإنسان ما دام صغيرا فنفقته في ثدي أمه، وإذا ما كبر كانت الأرض أمه. وإذا كان صغيرا فالأم ترضعه والأرض هي فراشه. والمعنى : أنه ما دام حيا فهو بين الأم والأرض فينتفع بالأرض كما ينتفع بالأم، فإذا خرجت روحه من جسده ونتن فلا يقبله حينئذ إلا الأرض فهي التي تضمه وتستر جسده لئلا يتأذى به الناس، كأنما تقول لأمه- مادام حيا قبلت شركتك فيه فلما خرجت روحه فأنا أولى به فهو ولدي حيا وميتا.

فتخاصمت الأم والأرض بلسان حالهما إلى قاضي الشاهد، فقالت الأم: أنا حملته وولدته وأرضعته سنتين(1) فأنا أولى به، فقالت الأرض أنا ولدت آدم وبنوه أبنائي، وعاش منك سنتين وعاش علي عمره، فإن مات كرهته، وأحببته أنا وضممته إلي فجمعته صغيرا وجمعته كبيرا فأنا حملته مكلفا أدافع عنه حين ينام في بطني، ويقوم غدا من بطني فأنا أولى به.

وعلى هذا فالأم تكون قبل ولدها والأب يكون مثل ذلك.

والعرش كالأم للمحسوسات المنورات، والسماء كالأب للمطر، والماء كالأب للنباتات والنباتات كالأب للثمار وهذه الأشياء تقدمها على آدم لهذه الحكمة. وذلك من كمال المنافع للإنسان أن تعد قبله، فإذا احتاج وجدها مستعدة له. فالدنيا مستعدة له قبل وجوده، والجنة مستعدة له قبل وجوده.

فإن قلت ما الحكمة في استعداد الجنة لأبناء آدم قلنا:

إنها هي جزاء خدمة العبد لربه، ولم يرض الله تعالى لمن خدمه من عباده إلا بالجنة التي لا تفنى. فإن الله تعالى خلق الدنيا زاد لعبيده إلى الجنة والنار، وقسم ذلك الزاد على أمره ونهيه فالمطيعون لله تعالى جعل الدنيا زادهم إلى الجنة، وجعل الجنة زادهم إلى نظر وجهه الكريم.

وجعل الدنيا زاد العاصي إلى النار، وجعل النار زاده إلى عدم رؤيته له، فهو محجوب عنه وذلك الزاد مقسوم بين السماء والأرض، فالسماء تلد فتنفق الماء، والأرض تلد النبات وتنفق الثمار، والعبيد متوزعون بين الدارين - فريق في الجنة وفريق في السعير.

وهذا كله تنبيه من الله للعبد أن يقوم من غفلته ليقظته، وليعلم أن الله سخر له العلوي والسفلي فينتفع بالماء النازل من بعيد، ولو قدر أنه سافر لذلك الماء على دابة لا تعجز وزاد لا يفنى وجسم لا يمرض، لا يبلغه إلا بعد خمسمائة عام، وينزله الله في ساعة واحدة على قدر حاجته وهو عاجز عن إخراج حبة واحدة من الأرض، ولو بلغ ما قدر على إخراج ما كمن في الأرض فهو عاجز.

فحينئذ كيف لا يرى العبد عجزه، ويرى قدرة ربه، ويرى نعمة ربه عليه ظاهرا وباطنا ويرى هذا البيت المسقوف فوقه، والفراش الذي تحته، والله ينزل عليه من سقف بيته ويخرج له الرحمة من تحته.

فإن السماوات والأرض على ابن آدم كالدار المسقوفة التي لها ظل ولها رواح، ولها حر، فظلها ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وأما رواحها فالرياح التي تأتي من كل جوانب أركان الدار، وأما قناديلها فهي النجوم، وأما حرها الذي يزيل بردها فهو الشمس، وأما سترها فهو الليل.

فهذه الدار بناها شديد الحكم، المتقن القادر الذي لايهدم ما بناه إلا هو. لا اله إلا هو الحي القيوم والحمد لله رب العالمين.

اللهم ياعزيز ياغفور، ياشكور ياحليم، يامجيد ياودود، ياقدير يامدبر، يافتاح - افتح السماء بالمدرار، وافتح الأرض بالأزهار، والأشجار، واجعل أحبائي من خيار أهل هذه الدار، واجعلهم من الأبرار، وادفع عنهم ظلم الفجار، واختر لهم يا مختار ما هو نفع لهم من هذه الدار وتلك الدار، آمين آمين يا رب العالمين والحمد لله رب العالمين.

---

1) ب و خ : سنة

(ملحق الباب : الحمد لله الذي له الحمد فلا له إبتداء فيوصف بالبداية ولا له آخر فيوصف بالنهاية. بل البداية به والنهاية به، كان ودبر وخلق وغير ما غير، وأعز وأذل ورفع ووضع، وبقي كما هو سبحانه لا اله إلا هو يقبض ويبسط ويعز ويذل، لا يسأل عما يفعل زهم يسألون، سبحانه لا اله إلا هو المتفرد ذاتا وعلما وإرادة وقدرة وسمعا وبصرا وكلاما. عجزت العلوم عن علمه فلا متقن يتقن كإتقانه، ولا مخصص يخصص كتخصيصه، ولا قادر يقدر كقدرته ولا باني يبني كبنيانه. بنيانه لا يبنيه غيره، ولا يبني بنيانا متقنا مرصوصا مركبا إلا هو سبحانه. ولا يقدر ذو قدرة على بنيانه، ولا يقدر أن يهدمه. بنيان ما باشره ولكنه أتقنه وخصصه ووقت له وقتا يهدمه، كما أوجده أصلا في مثل كن فيكون. فطينه ولبنه من غير مناولة، فسبحان الله ما أصل طين هذا اللبن؟ وما أصل مائه؟ ومالذي ألصق به هذا اللبن، وما رفع هذا البنيان، حتى استوى إلا بقدرة الخالق الذي قدرته لا يعجزها شيء. اللهم كما خلقتنا وركبتنا وأحسنت صورنا وأمرتنا أن نعبدك، وخلقتنا للخير، لا تخلقنا لعذابك، ولا تخلق منا خلقا للعذاب، ولا مما خلقنا منه فإن عذابك شديد...ضاعت بقية هذا الباب).

الباب التاسع والستون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.(1)

أما بعد يا مريد، فها أنا أزيدكم من أصول الخلق فنقول:

لما أراد الله أن يخلق دنيا التكليف وهي دنيا المحسوسات، أمر الله تعالى الملك الموكل بحمل الموجودات الكائنات، أمره أن يطير مقدارا لا يعلمه إلا هو. ولما انتهى طيرانه استراح، فخلق الله جوهرة، فانبع منها بحرا فسلكه مسلك الملك، ففاض البحر بقدرة الله تعالى، وسكن بقدرته تعالى، فحيثما سكن الملك يسكن فيض البحر، وحيثما طار الملك يفيض البحر بإذن الله تعالى.

وماج البحر تموجا، فقسمه الله على قسمين، قسم جعله نورا، وقسم بقي على أصله.

فخلق من بحر النور العرش، وهو أصل المنورات، وذلك أن الشمس نورها من نور العرش والقمر من نور الشمس، والنجوم من نور العرش، وهو نور الحسيات.

وأمر بحر الماء أن يسكن فخلق منه السماوات والأرض. وما كان هواء بين السماء والأرض فهو طريق طيران الملك الأول، وموج البحر الأول. وهذا تحت قوله تعالى: وكان عرشه على الماء(2). ومعنى الماء -مكوناته، وتارة يعبر بكلماته، كقوله تعالى: قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا.(3)

والتقدير - لو كان البحر دواة لكاتب لايعجز مثلا، لعجز ولنفد البحر، ولم يعجز الله عن الخلق.

فإن قلت مالسر في نور الشمس فنقول: العرش فيه تمثال كل شيء. ولما أراد الله عد الزمان، أمر حملة العرش أن يكيلوا قدر أيام الدنيا بالشمس، فكل يوم ينال من نور الشمس على قدر طلوعها وغروبها، ويعطي منها على قدر أثمار الأشجار وشفاء الأمراض وذهاب برد الهواء، وذلك أن الهواء شديد البرد، فمن الله على العباد بحر الشمس إذ لولا حر الشمس لا هلك برد الهواء الخلائق كلها.

فإن قلت مالسر في أنها واحدة، قلنا: ذلك لإظهار العدد، إذ فائدة العدد أن يكون العاد واحد، ويكون الصاع واحد. فهي تعد كيل الزمان. ولا تطلع إلا بحكمة، إما هي بداية أو نهاية اجل. وعلى هذه الحكمة فطلوعها وسيرها علامات لأوقات العبادات، وكأنها تقول: أنا مؤذن للعابدين، وأنا مأمورة. فزوالي عند نصف النهار معناه-قوموا فاعبدوا ربكم، وزولوا عما كنتم فيه أول النهار، فان كنتم تخدمون أنفسكم فزولوا عن خدمتكم لأنفسكم إلى خدمة ربكم لعل الله يتوب عليكم.

والسر في إبطائها عن الغروب، ذلك من رحمة الله على عباده لينالوا حوائجهم في الدنيا، وليكملوا عبادة ربهم، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم النائم ومنهم العاجز، وغير ذلك، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها.(4)

ولو شاء الله لأطلعها في ساعة، وأغربها في ساعة، ولكن أبطأها للإعتبار، فمن غفل عن طلوعها، أدرك ضحوتها، ومن فاتته ضحوتها، أدرك زوالها إلى أن تغرب بإذن الله. وهذا المعنى في قوله تعالى: ألم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير(5). فنذير الزمان الليل والنهار والشمس والقمر، ونذير البدن الشيب والهرم، ونذير الشرع محمد صلى الله عليه وسلم، وجميع الأنبياء والعلماء.

إن الإنسان عظيم على الله تعالى، ومن عظمته على الله تعالى، أن العرش مع عظمته، والكرسي، والسماوات والأرض، وما بينهما، لم يكن محلا لمناجاة الله تعالى، وجعل محلها العقل وهو الذي يعقل عنه تعالى، وجعله في الإنسان، ولهذا قال في المناجات: لا يسعني ارض ولا سماء، ولا يسعني إلا قلب المؤمن.(6)

وذلك أن العقل خلق من نور الله تعالى، فأعطاه الله لآدم وبنيه. وأن عبادة بني آدم جمعت شكر الله تعالى في العلوي والسفلي. فان قلت بين لي، قلنا:

إذا قال المؤمن لااله إلا الله يشهد له أهل السماوات والأرض، ويشهد الله له فيقول: صدق عبدي ولا حاجة لي، أي ما طلبت منه إلا أن يقر بوحدانيتي.

فإن قلت ما الحكمة في تصديق الله للعبد المؤمن، قلنا: لا غرض له فيه ولكن يكون شاهدا له على من أنكر وحدانيته، إذ أن بني آدم إخوة. وكان الإنسان أكثر شيء جدلا(7). وجداله أن الأشياء لا تشهد عليه، فيقطع بشهادة أخيه المؤمن، فإن لم يسلم، فيقطع بشهادة جوارحه، فإن ابن آدم هو أفضل من أكرم، وهو أسفل من عصى.

فإن كل ما تراه من آيات الله المشهودة فيها حكم ظاهرة، وحكم باطنة، وذلك من سعة علم الحكيم العليم الذي إذا أعطى لعبده لا يمنعه مانع، وإذا منعه لا يعطيه أحد. فلله الحمد على عطاياه الدائمة، وعلى منة الإيمان.

اللهم يا حنان يا منان، يا ذا الفضل والإحسان، جد على الجنان، وافتح العنان، الذي هو مفتاح ما عندك.

يا رحمن قي أحبائي من شر الشيطان، ومن شر بأس الإنسان، والجان، آمين آمين.

---

1) ب و خ : 73
2) سورة هود الآية 7
3) سورة الكهف الآية 109
4) سورة إبراهيم الآية 34
5) سورة فاطر الآية 37
6) الفقه عند الشيخ الأكبر، مصدر سابق
7) سورة الكهف الآية 54

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فها أنا أفيدكم من علم أصولكم، فنقول وبالله التوفيق:

وأما النطفة، فهي التي خلقكم منها، ثم تتحول علقة، ثم تتحول العلقة مضغة، وجعل منشأ الخلقة مضغة، وذلك فيه إشكال.

فإن قلت بين لي، قلنا:

إنكم بنوا آدم بين آدم وحواء، وحواء خلقها الله بين الدم واللحم. ونشأة آدم من التراب والماء والريح. وذلك أن الأرض هي التي نشأ منها آدم، والماء هو الذي خقلت منه الأرض، والريح هي التي تصلح بها الأشياء، فانظر إلى هذا الترتيب العجيب.

فالماء أصل الأرض، والأرض أصل آدم، ودم آدم ولحمه أصل حواء، فإن النسب بين الماء والدم واللحم، فالنطفة قابلت الماء-الأصل، والدم واللحم منهما خلقت حواء. وعلى هذا فالإنسان ينبغي له أن يعرف أصله. فالماء هو أصل الأشياء، فإن الماء هو الأب، والأرض هي الأم، هي الحاضنة والماسكة لولدها. فالماء الذي يأتي من السماء إلى الأرض، هو سبب رزق العباد. وإذا أراد الله محنة الخلق أمسك الغيث عن أهل الأرض، ويمسك النبات. فإذا أنزل الغيث ولم يأمر الأرض فلا فائدة للغيث، وإذا أنزل الغيث وأمر الأرض ولم ينزل البركة فلا فائدة.

وهنا فائدة وهي سر من أسرار الله تعالى، وذلك أن الله إذا أراد بأهل الأرض الشر وهو منع الغيث، لا يعلم أحد بما يمنع الله قبل وقوعه، وإذا أراد بهم الخير علم المقربون قبل نزول الخير، وذلك لحكمة.

فإن قلت بين لي، قلنا:

إن الله تعالى رحيم، فإن الرحمة بشارتها كوقوعها. وذلك أن إدخال السرور رحمة، وأن إدخال الحزن عذاب. فإذا أراد الله بالناس شرا فهو الذي يتولاه، وذلك أنه هو الرحمن الرحيم، ولا يعلم أهل السماء، إلا بالوقوع من الله.

فإن قلت زدني إيضاحا، قلنا:

الله هو المتفرد بعلمه، ولا يعلم أحد ما عند الله حتى ينزله على المقربين، والمقربون هم الذين يؤتون العلم من عند الله تعالى، وذلك أن الله تعالى أعلم بمصالح عباده. وذلك أنه متى أخفى الله البلاء عن خلقه، فذلك رحمة بهم، والملائكة يسوءهم ما ينزل بالمؤمنين من البأس، ويفرحون بما ينزل عليهم من الرحمة، وكل ذلك من لطف الله بعباده. فإن العباد إذا نزل بهم القحط والمرض وغير ذلك، لطف الله بهم. فهو الرحمن الرحيم.

يامريد، إنما نبهتكم على هذا لتعلموا أن الماء هو رحمة الله تعالى على عباده، فهو أصل الأشياء، وبه قامت الأشياء. قال تعالى: وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون(1). ومن منة الله على عباده نزول الماء عليهم. وقال تعالى: اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها(2)، وذلك أن الله نبه عباده على إحياء الأرض، لينبههم على المنة التي من عليهم بها.

فإحياء الأرض فيه منة من الله على عباده، أنه سهل رزقهم بإحياء الأرض ليشكروه. ونبه المنكرين للبعث بإحياء الموتى. فالإنسان على أصله. وعلى هذا، فالخير في الماء والتراب التي منها آدم، فلا ينزل من السماء إلا الخير، ولا يخرج من الأرض إلا الخير، إنما أصل الشر من الشيطان الذي يظهر شره في الأشقياء، وكل الخلق أصلهم أهل خير، إلا من سلك سبيل الشيطان.

فإن قلت(3) هل أهل الخير أكثر من أهل الشر، قلنا:

الله هو الرحمن الرحيم سبقت رحمته عذابه، فالمذنبون من الخلق قليلون بالنظر إلى جميع الخلق.

فإذا نظرت إلى البهائم والصبيان، والأرض وما فيها من نبات، فبالضرورة تعلم أنهم أكثر من العصاة، فالله تعالى هو الرحمن الرحيم، وقال تعالى: ورحمتي وسعت كل شيء(4). ومن سعة رحمته عطف الخلق على الخلق، والتراحم بينهم، فالله تعالى هو الرحمن في السماء والرحيم في الأرض. ولولا رحمة الله مانتفع أحد من أحد، وذلك أن الخلائق هم مظهر رحمة الله تعالى، ومظهر عدله، فعدله ورحمته يظهران ما له على العباد، فلله عليهم الشكر إن رحمهم، وله عليهم الصبر إن ابتلاهم.

اللهم أنت الحق المبين، وأنت على كل شيء شهيد، وأنت على كل شيء قدير، اغفر وارحم وتب وجد وامنن، وأدم فضلك على جميع أحبائي وعلى جميع المسلمين.

والحمد لله رب العالمين.

---

1) سورة الأنبياء الآية 30
2) سورة الحديد الآية 17
3) ب : ساقطة
4) سورة الأعراف الآية 156

الباب الواحد والسبعون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.(1)

أما بعد يامريد، فها أنا أنبهكم على أسرار الأسماء فنقول: إسم الله الأعظم هو الأصل.

فإن قلت بين لي قلنا: قال الله تعالى:

إنني أنا الله لااله إلا أنا فاعبدني(2). فهذا هو التوحيد، فنعت نفسه بأنا، ونعت نفسه بإسمه الله. ويكون هذا النعت أصلا في المعاني وأصلا في الحروف. فالألف به بدأ، وثنى بالنون، وثلث بالألف ثالثا. وبدأ إسم الذات بالألف، وثنى باللام، وثلث به وربع بالألف وختم بالهاء.

فهذا أصل الحروف كلها ألياف مكررات، والنون هي الباء، وينوب الباء عن النون والباء هو الحرف الذي بدأ به القلم، حين كتب، كتب بسم الله الرحمن الرحيم.

واللام بيت الملك، وتدل على القسم وغير ذلك من الفوائد التي تدل عليها. والهاء هي التي تميز بها بين الأشياء، كهو وهي وهؤلاء وهذا وهذان وغير ذلك من الفوائد.

ثم ننقل الكلام إلى حصول الفائدة فنقول: الأشياء على أصولها، وذلك أن الله خاطب الروح أولا حين نورها فهي الحاملة للواء. وأما الذات فهي دار الروح، والروح نالت البقاء من نور الله تعالى.

قال تعالى:

هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة،(3) فهذه ثلاث مراتب، والتراب خلقت من الماء، والماء خلق من نور الله تعالى، فكانت الروح أخت الماء، فلذا لا يكون الأحياء إلا بهما.

ولما خلق الله آدم خلقه بين الماء والطين والريح، فالريح والماء والطين هم أصول الدنيا وبهم مصالح الأشياء. وذلك أن كل حالة من هذه الأشياء ما نالت بركة إلا من إسم من أسماء الله تعالى.

فإن قلت بين لي قلنا: إن الماء والتراب والريح ورد عليهم إسما الرحمن الرحيم، فلا ترى شيئا فيه منفعة، إلا وورد عليه إسما الرحمن الرحيم، ولكن للأرض خاصية من السماء وهي إسمه اللطيف، فإن الأرض وما عليها نالت اللطف من إسمه اللطيف، وذلك أن الأرض يقع عليها مكر الله تعالى الذي لولا لطفه لغرقت بمن عليها.

وأما ما أوجده الله في العالم فبالقدرة، فلا ترى حاملا يحمل الحمل إما حسي أو معنوي إلا ونال من إسمه القادر، فالله تجد معنى أسمائه في خلائقه.

ثم ننقل الكلام إلى معنى قوله تعالى: فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر(4)، والمراد بذلك، والله أعلم بمراده: البنية إذا تمت فإنها دار بناها شديد القوى، ثم ادخلها ملكها، فالملك إذا كان في داره توصف بأنها عامرة، بخلاف إذا لم يكن فيها.(5)

فالروح خاطبها الله أولا وأخذ عليها ما أخذ، وكتب رزقها وآجالها، فلها آجال.

فإن قلت بين لي قلنا: أما في نفس الأمر فهو أجل واحد، لاينقص ولا يزيد، وكذلك الأرزاق، ولكن تتخلله أحواله، وذلك، حين لم تدخل الروح، فهو أجل، وإذا دخلت الروح في الذات فصارت محبوسة في الذات، فهو أجل، وإذا رجعت حين فارقت الذات فهو أجل، وإذا دخلت حين البعث إلى حد دخول الدارين فهو أجل، والدوام أجل وهذه الآجال المتعددة هي أجل واحد عند الله.

وهنا دقيقة مفيدة، وهي أن الذات قبل دخول الروح فيها، هل الأيام التي قبل دخول الروح فيها، تعد من أجلها، أم من أجل الأم، وإن دخلته الروح هل يبدأ الأجل حين دخول الروح أم بمبدأ النطفة فنقول:

إن النطفة إذا وضعت في الرحم يقول الملك يارب وضعت النطفة، فما هو الرزق وما هو الأجل؟ فيكتب ذلك، فالكتاب هو قدر الأجل.

وأنا أقول: إذا علم الملك أن الروح تدخل فيه فيكتب من حين وضعت النطفة، وإن لم يعلم، فيكتب أنه يسقط من غير دخول روح، وهذا فيه أشكال.

فإن قلت إن الرزق مقرون بالآجل، ولا يرزق إلا الحي ويظهر معنى ذلك(...) فلا نفقة لحملها على الروح، إلى أن يظهر، وظهوره بدخول الروح فيه، يكون حيا. وعلى هذا فإن الشهور التي لا يتحرك فيها، إنما تحسب في النفقة إذا ظهر الحمل. ولو سقط ميتا، أو مات، أو ذهب في المرأة، ما وجبت نفقتها على أبيه.

فإذا انتبهت لهذه الفائدة، لاح لك برق، أن الروح هي الأصل، وأنها لاتفنى، وما نالت تلك الكرامة إلا من نور الله تعالى، فأضافها الله إليه فقال: ونفخت فيه من روحي.

والروح لا تعلم، فإن الحواس لا تدرك الروح، ولا يدركها إلا الله الذي خلقها. وما نالت ذلك إلا بورود الأسماء عليها، فاسم الله، النور، فهي خلقت من النور. فالله إسمه الحي، وهو مظهر حياة الحي، فتظهر معنى إسمه المحيي إذا دخلت، وتظهر إسمه المميت إذا خرجت، وورد عليها إسما الرحمن الرحيم.

فأسماء الله تعالى فيها معرفة الولاية، فإن علم الله له سماء المعاني، وأرض المعاني، وكواكب السماء، والأرض هي أسماء الله تعالى، كما أن الكواكب الحسيات بها يهتدي أهل الأرض على الحسيات.

وما نبهتكم على هذا إلا لتعلموا أن الصالحين بركتهم و فائدتهم مع أرواحهم، لا مع ذواتهم الفانية، فإن الروح ملكية، تنال البركة من غير رؤية.

فإن الغيث الذي ينزل عليكم، الملائكة هم وكلاؤه، والنبات الذي يخرج من الأرض، الملائكة هم وكلاؤه. وعلمي يامريد إن شاء الله ينتفع به من استعمله، ولو لم يراني.

فإن كان خليلي يجود بخيره فلم تأسفي على فقد ذاته

اللهم نور بصيرة من نقصت بصيرته من أحبائي، وادفع عن أحبائي بأس الدنيا والآخرة وكن لهم في الرخاء والشدة، ووسع صدورهم للمعرفة آمين يا رب العلمين.

---

1) ب : 74
2) سورة طه الآية 14
3) سورة غافر الآية 67
4) سورة المؤمنون الآية 14
5) يقول الإمام الغزالي : إعلم أن البدن كالمدينة، والعقل أعني المدرك في الإنسان كملك مدبر لها. إحياء علوم الدين ج3 ص7

الباب الثاني والسبعون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فها أنا أفيدكم من علم الأصول، فنقول:

ان آدم عصى النهي، وإبليس عصى الأمر. وإن آدم أضاف إليه المعصية وإبليس أضاف إليه - أبى، فإبليس أبى عيانا، أبى عن السجود لآدم، فلذا حكى الله عنه : فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون من الساجدين.(1)

وسبب بعد إبليس عن الأمر الذي أمره الله به، هو الكبر الذي تكبر به على آدم، والكبرياء لله وحده، ومخالفة الجماعة، ولو سجد مع الملائكة لأفلح.

ومن هنا تعلم أصل الذنوب، وذلك أن إبليس عصى الله تعالى بشهادة الملائكة على عصيانه، فأتم الله عليه الحجة، بسجود الملائكة لآدم، فلو عصي مع الله وحده، لستر الله عليه، ولكن جهر بعصيان(2) الله.

ومن هنا تعرف أن موافقة الجماعة خير، ومخالفتها شر، وذلك لعدم توفيق الله لإبليس، ولو وفقه لوفق لأمر الله. ولوفق مع الجماعة، فإن الملائكة كان يعبد معهم، وكان مجتهدا في العبادة، فاختبر بالسجود لآدم، فكان حسده لآدم هو سبب بعده من الله تعالى.

اختار أن يعصي الله تعالى، ولا يتواضع لآدم. واختار مخالفة الملائكة على موافقتهم في السجود لآدم.

ومن هنا تعلم أن من تهاون بأوامر الله تعالى يخاف البعد من الله تعالى. وأما آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فعصيانه لا عن عزمه على مخالفة أمر ربه، وإنما خالفه لأجل نصيحة إبليس، فإبليس استكبر على آدم. وغره بأكل الشجرة. فمعصية آدم ظاهرة لاباطنة، جاءته من قبل إبليس، فطمعه في الخلود، وظهر أنه خانه، فعذر الله آدم وتاب عليه. وذلك أن سبب توبة الله على آدم، نقض مراد إبليس في آدم، لما حكم على نفسه بحسد آدم، وأنه عدو له، وأوقعه في المعاصي لعله يكون بعيدا من الله -كما أنه هو بعيد. فأعطى الله التوفيق لآدم بالتوبة، حيث تاب الله عليه. وحيث تاب الله يتوب العبد.

وذلك أن معصية إبليس عناد منه وتكبر، واتكال على عبادته - أولا، ولم يتب من عصيانه لمنعه من توفيق الله، ولا يقدر أن يتوب حتى يتوب الله عليه.

وآدم أكرمه الله بأنه ندم ورجع وتاب، وعزم على أن لايعود إلى المعصية.

وإبليس عصى وأصر على عصيانه لربه، وكان هو سبب معصية آدم، فتاب آدم، وبقيت عداوته لآدم معه، فهذه سنة إبليس وذريته مع آدم وذريته.

فلذا نبه الله على عداوة إبليس فقال تعالى: إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير(3).

إياكم لا تختلفوا مع جماعة الصالحين، فإن الصالحين يدور معهم الخير، فلذا قال الشارع: ما خاب من استشار ولا ندم من استخار.

والمراد بالإستشارة، استشارة الصالحين من عباده. ولا تتراخوا في التوبة، بادروا بالتوبة كما بادر بها(4) أبوكم آدم، فإن صورة ذنبه تشريع لذنوبكم، وتوبته تشريع لتوبتكم، فهو أبوكم وانتم بنوه. فإن التوبة لكم مثل الماء المطلق، أتراه يوصف بالنجس ؟.

فمن لازم الإستغفار بينه وبين الله طهره الله. فالعبد يذنب ذنبا بينه وبين ربه والرب يتوب فإذا تاب الله تاب العبد.

وسبب توبة الله على العبد، فضل من الله ونعمة منه على العبد، والتوفيق من الله، وشاهد هذا قوله تعالى: فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم(5). فتوبة الله على العبد سابقة لوقوع الذنب، وتوبة العبد عند وقوع ذنبه.

لا تغرنكم كثرة أعمالكم، ولا تنقصنكم قلة أعمالكم، بل خافوا ربكم، وخافوه على كل صغيرة وكبيرة وارجوا عفوه عن كل صغيرة وكبيرة، وأكثروا من الإستغفار.

انظروا إلى فضل الله تعالى - العبد تذنب جميع جوارحه ويكفرها اللسان بالإستغفار. واكثر ما يجلب للإنسان الآثام لسانه، ويقيكم اللسان بالإستغفار، إن هو جالب للشر، فهو جالب للخير كذلك.

فالعقل هو السلطان الأكبر، واللسان هو البطانة وهو الباب، هو باب الخير والشر، والعقل هو الحاكم.

فإن قلت كيف ذلك؟ قلنا:

إذا جلب اللسان الشر فيحكم العقل بالإستغفار، أو يحكم بالإصرار، والملهم في جميع ذلك هو الله تعالى. والله هو الموفق للصواب وعلى الله حسن المآل.

اللهم أنت الملك الحق، لاشريك لك، ومقادير الأمور بيدك، وتقلب القلوب بإرادتك، وتنزل الغيث من السماء إلى الأرض برحمتك، ولا كان شيئا إلا بك أنت له في السماء وفي الأرض، وأنت الحكيم العليم، تب على أحبائي توبة عامة دائمة واسعة، توسع الأملاك والأرزاق وتكشف الضر عن المضطرين، وتزيد صلاة المصلين وخشوع الخاشعين، وتحفظ الحاضرين والمسافرين وترحم الأحياء والميتين منهم، آمين هم وجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين.

---

1) سورة الحجر الآية 30
2) ب : ساقطة
3) سورة فاطر الآية 6
4) ب : ساقطة
5) سورة البقرة الآية 37

(ملحق الباب : ... الاشجار من عروقها تشرب عادة، وثمارها على رؤوسها. فالقلب هو نبت النور، فكلما يصدر منه يظهر على الجوارح. فالقلب ارض وما نبت فيها يحصد ظاهرا فهو دليل الجوارح. به تستقيم على الطاعة وبه ترتحل.

إن أورد الله عليك نورا تفكرت الجوارح وانتبهت، فكلما زاد نورا ازدادت إستيقاظا واستعمالا، فإذا امتلأ القلب نورا بلغ صاحبه درجة الحضور، حيث لا سهو ولا غفلة عن ذكر الله، فلم ير غير الله. وذلك أن القلب أصله الظلمة وهو سبب يرجى به الخير فإن أورد الله عليه انواره فيسطع النور فيه فإن ذهبت الظلمة ولم يبق منها شيء فيصير يشاهد الحق ويشاهد الملكوت والكائنات. وشعاع البصيرة يريك الكائنات، وعين البصيرة تريك قرب المكون، وحق البصيرة يريك الحق وهو المكون. إن شاهدت الحق ببصيرة الحق فقد وجدت المقصود عند رؤية الحق، فقد انحصرت رؤيتك فلا أمل لك ولا مطمع لك. من رأى رؤية الحق، إن وجد الطالب مطلبه ووجد صاحب الحاجة حاجته إنتهت أمنيته وانتهت مسافته. من وجد الحق وتعداه حرمه الحق ولم يكن إلا ما قضاه.

يا عجبا كيف من وجد الحق يتعداه فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ كيف من نزل منزل الأمن فيرتحل منه، فماذا بعد الأمن إلا الخوف؟ كيف من شاهد الموجود فيصرف باله عنه؟ فماذا بعد الوجود إلا العدم. ويا عجبا كيف من يرى النور ولا يهتدي به فما بعد النور إلا الظلمة. ويا عجبا من أقام في ديار العلوم فيرتحل منها، فماذا بعد العلم إلا الجهل...للباب بقية).

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يا مريد، فها أنا أزيدكم من فوائد القصص التي قص الله تعالى، وفائدة القصص لمن ينتبه على موضع المنة لله، ومحل الحكمة، ومحل فائدة الدفع وغير ذلك، ومحل تبخيس الدنيا على الله، فها أنا أشرح لكم فنقول:

النبوءة كالميزان في المثل، فلا يرتفع الميزان إلا بعد الوضع، وذلك أن بداية أهل الرفع بالوضع، فإن الإنسان خلقته بدأت بالضعف، وذلك لحكمة، فان قلت بين لي قلنا: الوحي كالمطر للأرض، فالأرض المجدوبة أكثر نباتا من الأرض المبغومة، ولذلك لم يبدأ النبوة في أبناء الدنيا، فان الدنيا تنفي أهلها، فنفى الله قلوب الأنبياء إلى حضرته.

وأما أول ما ينزل الله على الأنبياء فأحلام يرونها من عند الله وتتراءى لهم.

والفرعون الذي رأى أن النار أتت من الشمال إلى أن دخلت بيوته مع أهله، فتلك الرؤيا هي برزخية، فالنار تمثلت بصور الآيات التي أعطى الله لموسى إبتلاء منه لفرعون، وذلك أن الفرعوني لما آل إلى النار بشره الله بالنار فلذا هاله ذلك.

فإن قلت كيف هالته نار الرؤيا وهو يدعي الربوبية، قلنا:

إنما أتته دعوى الربوبية من جهة عبادة الأصنام التي كانوا يعبدونها آلهة لهم. فدعوى الربوبية دفعا لعبادة الأصنام، لأنهم أنكروا الخالق، فإن الخالق لا ينكر بدليل قوله تعالى: ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله،(1) لذلك لما ظفر به قال: آمنت أنه لااله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين(2).

فعلى هذا فإن فرعون إنما قال: يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري(3)، المراد به الأصنام، وأما الله تعالى، فلا يلزم من تكذيبه لموسى بأنه ساحر، وأنه لم يرسله الله تعالى جهله به فهو عالم بالله، وجهل أن الله يرسل بشرا وذلك لحكمة فإن الله لا يجهله العقلاء، ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيى به الأرض من بعد موتها ليقولن الله(4).

ولما تطاول مد الكفر، وصار الكافرون يتوارثون عبادة الأوثان، وكل صنم ينسبون له الألوهية، وزعموا أن الرسل لهم إله مستقلون به، أنكروا رسالة الأنبياء، ونكرانهم إما لجهلهم أن الله لايرسل بشرا، وإما لزعمهم(5) أن الرسل استقلوا بإله وحدهم، كما أن الكفار لهم أصنام يستقلون بها(6) كما حكى الله عنهم: يغوث ويعوق ونسرا.

وأما الله تعالى فيوحده كل مخلوق إما بلسان حاله أو بلسان مقاله. فوضع الله رسالته في الأنبياء وامتحنهم بإنكار الخلق، لتموت النفوس، وموت النفس فيه صلاح الدين.

وابتلى ذواتهم ليضعفوا في ما بينهم وبين الله تعالى، وقوى بواطنهم ليتقووا بما ينزل عليهم من عدل الله تعالى وليتأسى بهم الخلق.

ولو أحب الأنبياء الدنيا لأحب الناس الدنيا لمحبتهم لها، وإذا أحب الناس كلهم الدنيا لم يبق من يعبد الله تعالى، ولكانوا في يد إبليس، ولكن امتحان الله للأنبياء ليزهدهم في الدنيا، وليعلموا أن خدمة الله تعالى هي أنفع لهم من الدنيا.

وأما موسى كليم الله تعالى، فناداه في حال أنه مسافر، وعلى وحشة وعلى انفراد.

فإن قلت ما الحكمة في أن العصا جعلها آيه وجعل فيها منافعه قلنا:

أراد الله أن يغنيه عما في أيد الناس، وذلك لما كلمه سبحانه أغناه عن سؤال الناس، فإن من سأل الناس وهو يدعي مكالمة الله فلا يسلم من أحد يقول فيه: كيف يدعي مكالمة الغني وهو

يتكفف الناس؟ فجعل الله جميع مآربه في العصى، وهذا مكافأة قوله: فأخاف أن يقتلون(7) فقال له ربه: لاتخافا إنني معكما(8)، ومعية الله معه منها تسهيل رزقه والنصر على أعدائه وجميع مايحتاج إليه.

وسبب هذا مجموع له في العصى، فإن شاء استعان بها في كل ما أراده من نفع مجلوب ودفع مضرة.

فإن قلت وما الفائدة لنا نحن من عصا موسى، ولم ندركه، ولم يرسل إلينا قلنا:

فائدتها تنبيهنا على عظمة قدرة الله تعالى، و أن الله إذا كان عونه مع العبد لا عبرة بقلة السبب، و أن الفتح إذا جاء من عند الله فيفتحه على سبب ضعيف - أنظر الثعبان الأصل يقتله أصغرنا، والعصا يكسرها أصغرنا، والماء، ليست العصا محله عادة، والطعام كذلك، ولكن الله قادر على ما يشاء وهو الحكيم العليم.

اللهم يا عزيز يا غفور، يا شكور يا ولي يا عظيم، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما يريد، يا فتاح يا غني، أجلب الخير وادفع الشر عن أحبائي هم وجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين.

1) سورة الزخرف الآية 87
2) سورة يونس الآية 90
3) سورة القصص الآية 38
4) سورة العنكبوت الآية 63
5) ب : زعموا
6) ب : ساقطة
7) سورة الشعراء الآية 14
8) قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى، سورة طه الآية 46

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فمن سالك عن المسائل الغريبة المفيدة، فنقول وبالله التوفيق:

من العلوم المفيدة من علم معنى قوله تعالى: إن رحمتي سبقت غضبي. وذلك لما خلق الله الخلق، قامت الأشياء وطلبت ربها بلسان حالها فبشرها برحمته فقال: إن رحمتي سبقت غضبي. وهذا فيه معنى لا يعرفه إلا بعض القوم، فإن لا إله إلا الله، هي الرحمة السابقة وهي الإيمان الأول الذي على الفطرة، فإن رحمة الله واسعة، وكان ربك رحيما، وكانت رحمة الله عمت كل شيء. فكانت الدنيا سبقت بالنعم، وكان ما عليها منعما، وذلك كله من النظر في معرفة الله تعالى، فرحمته سبقت غضبه. فإن قلت بين لي، قلنا:

هو إيمان الفطرة الأول، فكنت دولة الأرواح على الإيمان الأول. فلما خلق الله الذوات وعصى آدم ربه وخرج من الجنة وأراد الله ما أراد من الفرق بين أهل الإيمان وأهل الكفر، بانت فائدة أسبقية الرحمة للغضب، فالغضب مقرون مع عدم الإيمان، والرحمة مقرونة بالإيمان فلا خير إلا مع الإيمان ولا شر إلا مع عدم الإيمان.

ومن هنا يظهر معنى قوله تعالى: رحمتي سبقت غضبي. فإن محل الإيمان سابق. ولو كانت أصول الدنيا الكفر ما طمع أحد في رحمة الله فقال تعالى: إن رحمة الله قريب من المحسنين(1)، فتلك الرحمة هي الإيمان. وذلك أن الجنة هي الرحمة الدائمة الباقية للمؤمنين ولا تفتح الجنة إلا لأهل الإيمان.

ومن رحمة الله على الكافر، أن الله انعم عليه ببركة المؤمن، فإن الكافر نال من أخوة المؤمن ومجاورته نعمة الدنيا ونال المؤمن من أخوة الكافر تعب الدنيا.

وذلك أن الأخوة بين الكافر والمؤمن رحمة من الله، فقسمها بينهم بين الدنيا والآخرة. وأصل كل خير هو الإيمان بالله، وأصل كل شر من عدم الإيمان بالله.

ولولا بركة المؤمن ما سقي الكافر شربة ماء، ولولا معصية الكافر ما نال المؤمن من تعب الدنيا. فإن حققتم بهذا فعليكم بتقوى الله، فمن أراد أن ينجو من عذاب الدنيا والآخرة فليتقي الله تعالى فالتقوى كما وصفه الله تعالى فقال: ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته(2). فإذا كفر الله سيئات العبد دخل رحمة الله الساقة. فمن دخل رحمة الله فاز فوزا عظيما. ومن يتق الله يجعل له مخرجا. فرجا، ومخرجا. ومن فرج الله عنه دخل في رحمة الله السابقة. و يرزقه من حيث لا يحتسب.(3) من كانت همته إلى خدمة الله تعالى كفاه الله تعالى مؤونته، أي بغير لغوب ولا كد ولا مشقة، وذلك من رحمة الله السابقة، فبشارة الله للعبد، هي أن الله أخبره ان رحمته سبقت غضبه.

وذلك أن الله خاطب عباده: يا عبادي أخذت عليكم عهدا بالإيمان الأول فمن آمن بي، هو داخل في رحمتي فأنا لكم على عهد الإيمان فإني لا أبدل ما أعطيتكم، فمن أوفى بعهدي فهو في رحمتي ومن غرر به منكم فلا يلومن إلا نفسه في نكث العهد.(4)

فإن الله تعالى هو الرحمن الرحيم، فقال إن رحمتي سبقت غضبي. فإن لااله إلا الله هي أصل الخير، والخير بيد الله، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

ثم ننقل الكلام إلى المواعظ المفيدة المقربة إلى الله تعالى فنقول:

الهي إذا منعت ما عندك فمن الذي ينفع غيرك؟. فإذا لم تكن الرحمة من عندك فمن ذا الذي بيده الرحمة؟. وإذا كان المنع منك فمن ذا الذي يعطي غيرك؟.

إلهي أنت القريب بالمودة والمحبة والرحمة، فإذا دعتك مملكتك فمن ذا الذي يجيبها ومن ذا الذي له العبادة غيرك؟ فلا أنت بعيد عن أحوال عبيدك فيشكون إليك، أنت الرب الذي لا يفنى مخزنه، ولا يعدم لطفه، فأنت اللطيف، فما عليهم إلا التسليم لقضائك فاقض على عبيدك ما يحمدونه لك، ولا تبتليهم بما لا طاقة لهم به.

رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين. اللهم أنت المدبر القدير، وأنت السميع البصير وأنت العلي الكبير، ارفع القحط عن أحبائي وعن جميع المسلمين وقرب إليهم من الخيرات ما كان بعيدا منهم آمين يارب العالمين.

---

1) سورة الأعراف الآية 56
2) سورة الطلاق الآية 5
3) سورة الطلاق الآية 2
4) الفقه عند الشيخ الأكبر. مصدر سابق

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فإن الله رحيم بعباده وهو الرحمن الرحيم، وان رحمته سبحانه سبقت غضبه.

ومن رحمته أنه(1) ما أنزل هلاكا على أمة إلا بعد تواني هلاكها، ولا أهلكها إلا بدعاء نبيها. فانظر إلى حلمه عن عباده هم يعصونه وهو يرحمهم، ينكرون فضله عليهم ظاهرا ويعصونه باطنا وظاهرا.

فإن قلت ما الحكمة في أن جعل آية موسى عصا، وجعل آية نبينها القرآن فنقول: ذلك من سعة علمه تعالى فعامل كل أمة بغاية ما يعظمونه، فان قوم موسى غاية ما يعظمونه السحر، فعاملهم بالعصا التي تشبه السحر، فتخرج في حالة وتدخل في حالة، وهو أعظم ما جر السحرة إلى الإيمان. قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون.(2)

أما العرب فغاية ما يعظمونه - الفصاحة في الكلام والشعر، فعاملهم بالقرآن، فلم يقدروا على فصاحته، وعجزوا عن الإتيان بمثله ولو كان سورة هي اقصر السور، فقال تعالى: إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر(3)، عجزوا عن التئام الوعد المنجز، والأمر، والمباشرة فقال: إنا أعطيناك الكوثر. يشابه الرجز الذي يرجزونه، فعجزوا عنه. كعجز السحرة عن مثل تحويل العصا التي هي على عادة سحرهم وهذا كله داخل تحت قوله: ولله ملك السماوات والأرض(4).

لا عزة لأحد إلا بعزة الله، ولا نصر لأحد على أحد إلا بنصر الله له، ولا توفيق إلا بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله ولا خلا أحد من خلق الله عن فضل الله تعالى، ولا خلا أحد عن عدل الله تعالى، أولها إبليس أعطاه الله أولا فضله، ثم أبعده عنه، وأمد له في عمره إلى الوقت المعلوم، فظن إبليس أن طول العمر كرامة، وهو استدراج، وذلك أنه لما أبى عن السجود لآدم فقال الله له: وأن عليك اللعنة إلى يوم الدين(5)، فقال له: ما جزاء عبادتي، فقال له الرب: اسجد لآدم يكون جزاؤك جزاء العابدين.

وإن شئت أعطيتك عمرا طويلا، كما عبدتني ولا جزاء لك عندي، فلذا قال: رب فانظرني إلى يوم يبعثون(6)، فأنظره كما قال الله في كتابه: قال إنك من المنظرين(7)، وهنا فائدة أفيدكم بها، وهي أن فائدة إرسال الله الرسل للناس هو حيث قال لإبليس و الملائكة: فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون من الساجدين(8)، فمن ثم جعل الله الملائكة رسلا بينه وبين بني آدم، فجعل بينه وبينهم حجابا، وذلك أن عصيان رسول الملك أهون من عصيان الملك عيانا.

ولو عصى بنو آدم ربهم بالمعاينة لجعل لهم العذاب أو لهدمهم كلهم. قالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة(9).

إن من رحمة الله على العباد أن يعصونه وهم لا يرونه في حال عصيانهم له وهو يراهم في كل حال من أحوالهم.

ومن تلك الرحمة يقول العبد يا رب لو رأيتك ما عصيتك، ورأيتني وتركتني أعصيك فيقول الرب: إذا تبت أغفر لك يا عبدي.

فالشيطان الذي عصاه عيانا أبعده عنه. فلذا أنكر الكفار الرسل، فكفروا بالله ورسله حسدا منهم، فقالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون(10).

اللهم يا مغيث المستغيثين، ويا مجيب المضطرين، ويا أرحم الراحمين، ويا رب العالمين، ويا توابا على المذنبين، ويا معينا للعابدين، ويا غنيا عن العالمين، ويارب الأولين والآخرين وببركة جميع الصالحين أجر الماء في الأودية واملأ الأوعية، وادفع الشدة والبلية، وضاعف الحسنة، واعف عن سيئة جميع أحبائي، وعن جميع الأمة والمستعملين للسنة آمين يا رب العالمين.

---

1) ع : ساقطة
2) سورة الأعراف الآية 121- 122
3) سورة الكوثر
4) سورة المائدة الآية 18
5) سورة الحجر الآية 35
6) سورة الحجر الآية 36
7) سورة الحجر الآية 37
8) سورة الحجر الآية 29- 30
9) سورة النساء الآية 153
10) سورة يس الآية 15

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فإن سألوك عن الصغائر هل تجوز على الأنبياء وهل هي دليل على نقص مراتبهم أم هي كالنوم، والآكل، والشرب، والبيع؟ فنقول والله هو المعلم:

ها أنا أفيدكم بحول الله بما تهتدون به إلى الصواب. أما الصغائر فلا يجوز وقوعها على الأنبياء ودليلنا قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل متى وحيث تمت لك النبوة؟ فقال : بين آدم والطين(1) حيث يقوم دليل قاطع على عصمة الأنبياء. والولي محفوظ من الكبائر دون الصغائر، لأن مرتبة الأنبياء يجب أن تكون أعلى من مرتبة الأولياء، والولي محفوظ من الكبائر وتجوز عليه الصغائر.

ولو أجزنا(2) وقوع الصغائر على الأنبياء لكانت الذنوب بينها تغاير في عصمة الله تعالى، ولرأينا أن الجماع يجوز كالقبلة، وما حرمت القبلة إلا لأن الجماع تابع لها. وحيث العصمة على الأنبياء من الكبائر، فالصغائر تابعة للكبائر في العصمة.

وأيضا رأينا الأنبياء يجوز عليهم الأكل والشرب وهم متساوون مع البشر ومتفاوتون في قدر ما يؤكل، فيظل أحدهم أياما ولا يحس بالجوع، وذلك لتظهر مراتبهم العالية ويمتحنوا بقلة الأكل. وإذا كانت قلة الأكل وصفا كماليا في حقهم، فكيف لا يكون عدم الذنوب وصفا عاليا؟. فان من اتصف بعدم الذنوب منا أعلى ممن اتصف ببعض الذنوب. فكيف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟. والذي عندنا أن الأنبياء معصومون من كل ذنب، فإن قدرنا وقوع الصغائر عليهم، للزم أن يكون استعمال الصغيرة علينا له مدخل في استحلالنا لها. والله تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه، وهذا مما أرانا الله تعالى.

ثم ننقل الكلام إلى علة السهو عليهم، عليهم الصلاة والسلام فنقول:

أما سهو البشر فهم متساوون في وقوعه عليهم، وأما الخلاف فهو على موجب السهو.

فمن قال إن موجب سهوهم من الشيطان، فهذا جاهل، وان احتج بسهوه عليه الصلاة والسلام، وغره أن السهو في الصلاة لا يكون إلا من الشيطان وذلك لسبب، فان قلت ما هو قلنا: أما وقوع السهو عليه، صلى الله عليه وسلم، فمسلم. وأما أن موجبه من الشيطان فغير مسلم لأنه عليه الصلاة والسلام محفوظ من الشيطان، ودليل حفظه حيث شق جبريل قلبه واخرج منه حصة الشيطان، فمن ثم حفظ من الشيطان. وحيث أسرى به جبريل إلى الملأ الأعلى دل ذلك على حفظه من الشيطان.

فإن قلت كيف يكون إسراؤه إلى الملأ الأعلى حفظ من الشيطان فنقول: السماوات محفوظة من الشيطان، فجعل الله الملائكة فيها ترعاها من الشياطين، فكيف تترك الشيطان مع النبي وجبريل. وذلك أن ليلة الإسراء منها نشأ ثبوت الصلوات، وحاشى الله أن يسلط الشيطان على رسوله في الصلاة، وصلاة النبي لا تنزاح عن ليلة الإسراء التي بها نزل من الحضرة من السماء إلى الأرض ونعني بالحضرة مخاطبته مع الرب في السماء وهي التي تعبد بها في حياته، وهي المعنية بالقرة، واجعل قرة عيني في الصلاة.(3)

وأنا أقول إن سهوه في الصلاة إنما هو (...) به منه في صلواتهم، ولكن موجب سهوه(4) هو استغراقه في حضرة ربه، فأوقع عليه السهو. فموجب وقوع السهو عليه حضرة الرب، وموجب سهو الناس وسوسة الشيطان، فكل السهو من الشيطان واقع(5) على البشر، والأنبياء اختصوا بالحضرة. وهذا هو ما عندنا فإن الأنبياء معصومة قلوبهم من وسوسة الشياطين،

وموجب العصمة هو نفي الشيطان من قلوبهم. فإن قلوب الأنبياء ممتلئة معرفة، وعلما، ونورا، ولم يبق في قلوبهم إلا الله تعالى، وحاشا قلوب الأنبياء من أن يوسوس فيها الشياطين حتى يوسوس لهم في الصلاة. لا تسمع قول من ينسب وسوسة الشياطين للأنبياء. والله الموفق للصواب.

اللهم يا حفيظ يا عزيز، يا وكيل يا سميع، يا قدير يا حي يا قيوم، ادفع البلاء عن جميع أحبائي، وكن لهم في الرخاء والشدة، واحفظ الأحياء منهم، وارحم الأموات، وأنزل البركة عليهم واجعلها في كل ما يتناولونه من زرع زرعوه، وثمر أبروه، وماشية حلبوها، وأكرمهم بالتقوى، وجد عليهم من فضلك يا ذا الفضل العظيم والحمد لله رب العالمين.

---

1) الحديث ورد في إحياء علوم الدين
2) ب : جوزنا
3) متفق عليه
4) ب : سهاه
5) ب : ساقطة

الباب السابع والسبعون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فها أنا أفيدكم من فوائد الشكر فنقول: النعمة إذا قوبلت بالشكر قرت، وإذا قوبلت بالجحود فرت.

أحبائي اتقوا الله الذي خلقكم وهو المنزل من السماء أرزاقكم، فقابلوا نعم الله بالشكر.

فإن قلت ما حقيقة شكر نعم الله فنقول: إذا أنزل الله الغيث من السماء فقد أحيى الأرض فإذا جادت الأرض بنباتها، وأكلت الأنعام النبات ودرت المواشي باللبن، فشكر العبد أن ينفق اللبن شكرا لله، وكذلك الحبوب إذا أثمرت، فلينفق مما أتاه الله، وليتصدق على المساكين والمحتاجين فيرى النعمة من الله تعالى ويمتثل أوامر الله فيما انعم عليه، وليتذكر أيام القحط في أيام النعمة. فميزان المؤمن بين عدل الله وفضله، وله عينان عين تنظر في عدله وعين تنظر في فضله، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم(1).

أحبائي، اتقوا ربكم وخافوه، ولا تنظروا إلى الخلق فإن الخلائق خلائق مثلكم لا ينفعون ولا يضرون.

وأما ما قالوا: إن كان فاسقا قطع طريقهم واستولى عليهم بالظلم، فالظالم يتولاه الله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون. والله يتولى الصالحين(2).

أحبائي. كونوا مع الصالحين فمن كان صالحا تولاه الله تعالى إذ يتولى جميع أموره من عدو، ورزق، ومئونة. ومن كانت همته إلى الآخرة كفاه الله أمر دنياه، ومن كانت همته الدنيا أتعبه الله ولا ينال منها إلا ما كان له.

أحبائي، اتقوا ربكم وتطاوعوا ولا تدابروا وكونوا على طاعة الله إخوانا، فقد أمر الله بطاعة أولي الأمر، وأمر أولي الأمر بالعدل وحسن النية، والله تعالى مطلع على السرائر.

ما عقد أمير العدل قط لمملكته إلا وأنزل الله البركة في أرضه، ولا خان أمير قط إلا ونزع الله البركة من أرضه. البركة مع العدل(3)، وذلك فيه سر فإن قلت بين لي، قلنا:

إن البركة في السماء والأرض، فكانت الأرض تزهر بثمارها، وكل ما فيها من نبات يثمر.

فلما خلق الله آدم، وأخرجه من الجنة زرعها فأثمرت ثمارا، ولم يثمر حرث آدم متى نزلت الفتنة بين بنيه، قلم تزل البركة ترتفع من الأرض. فإذا كثر الخبث ارتفعت البركة.

ولما كان آدم هو خليفة الله في أرضه، عدل فيها وأقام شريعة الله. فلما نزلت الفتنة بين بنيه تغير آدم فتغيرت الأرض بتغير آدم.

إياكم يا أحبائي لا تغيروا أميركم بعدم المطاوعة، فقال تعالى: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولوا الأمر منكم(4)، فإن البركة مع العدل والمطاوعة، فإن النحلة ما نالت ما نالت إلا بالمطاوعة، فأعطاها الله العسل تكرمه للطاعة.

وقال تعالى: وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين(5). فلا خير في أمير لم يطع الله ورسوله، ولا خير في قوم لم يطيعوا أميرهم.

اللهم أنت الحق المبين وأنت الحي القيوم وأنت على كل شيء شهيد. اللهم كما أنزلت الغيث من السماء إلى الأرض وعلمت قدره ومنتهاه وعلمت عاقبته، فاجعل نزوله على أحبائي نزول خير وعافية، وعاقبته خير، وأثمر ثماره واجعله غيثا نافعا، ونزوله نزول بركة وأنزله مع العافية بين المسلمين.

اللهم إن الأمر محجوب عن أحبائي فاجعل ما ينزل عليهم في الليل والنهار نزول بركة يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

اللهم كما أنزلت الغيث بعد القحط، أنزل معه العافية والقناعة، وأجعل العافية بين المسلمين شرقيها وغربيها واخرج المؤمنين من ضيق الظلمة يا أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين.

---

1) سورة الحديد الآية 21
2) سورة إبراهيم الآية 42
3) ورد في كتاب الإشارة في تدبير الإمارة : إذا نطق لسان العدل في دار الإمارة فليبشر ساكنها بالعمارة، الإشارة ص 107
4) الآية
5) سورة الأنفال الآية 1

(ملحق الباب :...عن دينك وأورادك وادفع إليهم أمر دنياهم فإنك لا تصلح إلا لخدمة ربك. فإن الدنيا تسلب المعرفة، فأعنهم بأمر لا يسلب المعرفة منك وذلك أن العارف يصلح قومه ما دام عارفا، فإذا لم يكن عارفا فلا يصلح شيئا.

وقائد القوم للآخرة، لا يجعلونه إمام أمر دنياهم إذ الدنيا لها بناء، والآخرة لها بناء. ولو أراد الله بقوم خيرا لسلب الدنيا من قلب إمامهم فيبقى مع معرفة الله ومناجاة الله، فيكون إماما تقيا صالح الصلاة والقول والنية.

فإن قالوا ما وجه التحريم، فنقول العدل مرجعه إلى القوم، والمخالفة ترجع إلى القوم. وامير القوم حرم الأجر إذ مصلحة الأمير ترجع إلى قومه.

وأما قولنا التحريم، قلنا أصله المخالفة وقلة العدل حرام لا من باب ما قالوا.

الحمد لله وحده، أما بعد فإن المسلمين لا بد لهم من قائم يقوم بأمرهم، فلا بد لهم من سلطان يكون عليهم يصلح أمرهم.

ويكون للمسلمين بيت مال إذ ما شرع إلا لإصلاحهم. وأما ما يفعلون في أمر دنياهم، فهل لهم إلا ما بينا لهم فإن أرادوا تبيين ذلك ثانية فنقول: يجعلون عشر أموالهم من الزرع والتمر، فيجعلونه خراجا للظلمة، يصلح به امر دنياهم فيعدلون فيه، إذ هو قوام البلد، فكل من له شيء في البلد فعليه ذلك الخراج.

ويجعلون خراجا لبناء مسجدهم ومؤذنهم وإمامهم وقاضيهم، فالمؤذن والإمام والقاضي من مصالح البلد إذ هؤلاء حاملوا أمر أهل البلد، إذ الصلاة من قوام الدين ، ومن أقامها أقام الدين.

وإن من قام لأمرهم فيتبعونه، فإذا افقر الأمير ولم يكن عنده شيء فله على قومه شيء يرونه مصلحة لهم، إذ هو القائم لهم في أمر دنياهم، وإن الذي يخدم مداراتهم مثل ذلك. فإذا حققتم بهذا، فشدوا أمركم على الشريعة وكونوا إخوانا على طاعة الله، وكونوا إخوانا على كلمة واحدة.

وعليكم بقيام الليل وكثرة تلاوة القرآن، وحصنوا دينكم ودنياكم.

فإن قالوا مالأمر في خبر أعدائنا ومواساتنا، قل لهم: أما خبر الأعداء فإلى الله إذ الولي أمره إلى الله، والله يتولى الصالحين.

فإذا قدموا عليكم فواجب عليكم دفعهم، أما الدفع تارة يكون بالمال، وتارة بالمكائد. فإن الحرب خير ما تدفع به المكائد.

فإن قلت بين لي قلنا : ظهور الصداقة والهدية بالمال حتى يندفعوا، فإن لم يظهر دفعهم ولم يبق إلا القتال، فأدفعوهم بعد تذكيرهم بالله.

فإن لم يبق إلا السيف ، فامتثلوا قول الله تعالى في الصبر، إن الله مع الصابرين .

والحاصل إذا كان الأعداء يندفعون بالمال، فواجب عليكم دفع مالكم ، فإن دفع المال فيه إنقاذ نفوسكم وإنقاذ نفوس أعدائكم المؤمنين، فإن المؤمن أخو المؤمن ولو كان عدوه، إذ الإيمان يا أحبائي شيء عظيم، وقتل المؤمن حرام .

ولو طلب من أحدكم دفع ما عنده من مال ليفتدي به من عذاب الله لكان خيرا له من غضب الله.

إدفعوا أموالكم مداراة لدينكم ودنياكم، فإن الدين يجب حفظه والنفوس يجب حفظها.

وكل عدو يقبل منكم دفع المال فيجب دفعه عليكم، ولو كان ظلما عليكم، فإن الظلم عليكم تؤجرون عليه، وإن القتل سبب غضب الله عليكم.

أحبائي عليكم بدينكم فاجعلوه رأس مالكم، فإنكم مرتحلون عن دار الغرور إلى دار البقاء، واجعلوا الدنيا مداراة للآخرة، فإن الدنيا مدبرة عنكم والآخرة مقبلة عليكم.

وعليكم بالعدل في القول والفعل ، وتشاوروا بينكم، واتبعوا أهل العلم منكم وأهل الفضل وارجوا ...ضاعت بقية هذا الباب).

الفصل الثامن: حقيقة المهدي

الباب الثامن والسبعون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.(1)

أما بعد يامريد، فإن قالوا: إن شيخك يعلم خروج المهدى، ولكن كتمه عنا، ونحن نريد أن يشير لنا بخبره، فنقول:

إن علم المهدي عند الله تعالى.

فإن قالوا: أخبرت به الأنبياء والأولون قبلنا، فنقول: فما فائدة من يخبر به بعدهم، فمن لم يؤمن بخبر القوم الكثيرين، فكيف يؤمن بخبر الآحاد.

فإن قالوا: إنا نطمع أن ندرك زمانه، قل لهم: من أدرك زمان الشيء الواقع فينتظر وقوعه.

فإن قالوا: هذا الأمر العجيب الذي يخرج من الموتى، فلا يكون إلا خبر المهدى، قل لهم: أكثر عجائب الله في خلقه مما يعيه أهل العقول.

فإن قالوا: هذا الأمر أردنا علم(2) عاقبته كما علمنا بدايته، قل لهم:

ماذا فعلتم في بدايته؟ هل خوفكم من الله تعالى؟ هل أديتم حقوق ما علمتموه؟ هل اعتبرتم بما يفعل الله بعباده؟ هل اعتبرتم أنه معه مالا تتحمله النفوس؟ هل اعتبرتم فيما يجيء به الزمان؟ هل وقع عدله على عباده، أو وقع عفوه؟.

قل لأحبائي عليهم أن يكثروا من الإستغفار بينهم وبين الله تعالى، فما لهم أن يسألوا عن خروج المهدى، فإن خروج المهدى كالساعة، فالساعة نؤمن بمجيئها، ولكن علم وقت وقوعها عند الله تعالى، فإن علم الساعة ومقدماتها عند الله تعالى، كذلك خروج المهدى والدجال وخروج ياجوج وماجوج إنما أساسنا فيهم خبر الشارع.

وأما كشف الأولياء فهم متفاوتون فيه على قدر علمهم من الله تعالى، فمنهم من يكاشف له الجهة، ومنهم من يحوم على وقت المجيء، وذلك كله أمر مخفي، فالأولياء يحومون على شيء ولم يتحققوه، وهم في المثل كمن رأى رؤية شخص متحرك لا يدري من أي الأجناس هو، ومنهم من يحقق الجنس ولا يدري أي نوع منه.

وهكذا فإن العاقل لا يخبر إلا بأمر محقق، لا يمكن التخلف عن ذلك الأمر. فإن أمر المهدى، أمر مخفي لا يعلمه إلا الله تعالى. فمن يدعي دعوى غير محققة فإنه يتعرض للخذلان، وأكثر ما يجزي الله الكاذبين بدعاوي لا أصل لها.

فإن هم طلبوك علم المهدى فقل لهم: لا أدري ولا يدري أحد وقت مجيئه إلا الله تعالى.

قل لأحبائي إنما عليهم أن يوحدوا الله تعالى، فيجعلوا هممهم للآخرة، فإن الآخرة هي دار المأوى وهي الدار التي ينبغي للعبد أن يسأل عنها وعن أحوالها فإنها دار القرار.

وأما سؤالهم عن المهدي فإنه جهل منهم فإن المهدى إذا ظهر، ظهر على الناس كلها، فلا يخفى خبره، وأما علمنا هذا فهو من آيات الله تعالى يخوف الله به عباده، فإن هذا العلم ككسوف الشمس وكسوف القمر وكالقحط الذي ينزل، وكالغيث الذي ينزل من السماء، فلا عجب أن يبعث الله عبدا من الموتى، يأتي العباد بما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم.

فإن كان أمرا جاء من عند الله وافق الشارع فهو معجزة لنبينا صلى الله عليه وسلم. فمعجزات نبينا لا تنقطع إلى يوم القيامة.

وقد ورد أن آخر الزمان يلوذ اليهودي بالحجر فينادى الحجر المسلم، هذا يهودي(3). ومن طال عمره يرى من عجائب الله تعالى مالا يخطر على باله اليوم.

فكلام الموتى من عجائب قدرة الله، فصوت الرعد من عجائب قدرة الله، وذلك كله لمن جهل قدرة الله.

وكانت بنوا إسرائيل أكثر العجائب التي تظهر فيهم كلام الموتى، وذلك أكثر ما كفرت به الخلائق وإنكار البعث، فعاملهم الله تعالى بكلام الموتى ليؤمنوا بالبعث.

فإذا كان آخر الزمان واندرست العلوم واعتاد الناس ما كان عادة، وغفل الناس عن دين الله، وكثر الظلم وغلظ حب الدنيا على حب الآخرة، وقل الحياء، وارتفعت الرحمة، فلا عجب أن يظهر للخلق ما يخوفهم، فيرجعون إلى الله تعالى.

فإذا رأيتم أمرا من الله تعالى فلا تظنوا بالله إلا رجوع الخلق كلهم إليه. فارجعوا إلى الله تعالى، فإن الله تعالى يختبركم بالآيات لتتعظوا وتتقوه، وأراد أن ترجعوا إليه بالتضرع والخضوع والخشوع.

يامريد، إنما مطلب الناس رؤية المهدي، للأمن من مكر الله تعالى، فإن المهدي امرؤ مبارك، من نظر فيه وأدركه فكأنما أدرك نبيا من الأنبياء، فإنه سعيد، وسعد من آمن به واتبعه.

فمن سالك، فليسأل عنه بخبر الشارع لا لغرض نفسه في الغنائم التي معه، فإنما هو هدي للآخرة. فإن الله قد جعله في آخر هذه الأمة شفيعا لأمته، فإن الله جعله في زمان خسران الأمة.

أحبائي، اتقوا الله تعالى وكونوا على طاعة الله إخوانا، فلا يهمنكم ما يفعل الله في خلقه، فهو أرحم وأعلم وأحق، والله أعلم بالصواب.

اللهم يا حي يا قيوم، يا مريد يا قدير، يا سميع يا بصير، يا عليم يا كبير، يا متعال يا ذا الجلال والإكرام، يا غفار يا رحمن، أرحم أحبائي بالعافية الدائمة وغث بلادهم غيثا يدوم نفعه ويدفع ضره، وادفع القحط عنهم. آمين يا رب العالمين.

---

1) ب و خ : 6 و ع : 11
2) ب : ساقطة
3) متفق عليه

الباب التاسع والسبعون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل. (1)

أما بعد يامريد، فإن قالوا قل لشيخنا يبين لنا فصل المهدي وما أصله وما السبب الذي أكرمه الله به، وماله عند الله من الفضل، وما لتابعيه من الفضل فنقول وبالله التوفيق وهو المعلم.

أما أصل المهدي فهو علم ادخره الله عنده فمن قرأه سعد به، طلبه موسى عليه السلام فمنع منه، فلم يزل يطلبه حتى نزل عليه شيء منه فلما ألقيت الألواح ارتفع الهدي من الألواح، ولم يزل ذلك العلم عند الله تعالى.

فإذا أراد الله هدي العباد فينزل ذلك العلم على بعض ذرية فاطمة فيقوم به.

فالعلم مخفي والمرء مخفي، والعلم هو حقيقة المهدي، فالمهدي هو العلم الذي أخفى الله عنده، وهذا ما علمنا الله.

فإن علم المهدي لايعلمه إلا الله تعالى، فإن الخبيئة التي عند الله وطلبها الأنبياء، فمن ذا الذي يطلبها بعدهم ومن يدعيها.

فحقيقة المهدي، هو العلم، فإذا كان هو العلم ولم يكن هذا العلم إلا بيد الله تعالى(2)، ولم يدر من يخصه الله به من ذرية فاطمة، فهو علم إذا أنزله الله في الأرض فهو علامات هداية الخلق.

فإذا أراد الله توبة عباده نزل ذلك العلم بإذن الله تعالى، فصار العلم مقرونا بهداية الخلق.

وعلى هذا فمن ذا الذي يدعيه؟ فالعلم فخفي عند الله تعالى وعلوم الأنبياء كلهم مع مالهم عند الله تعالى لم يهدوا الخلق كله.

وعلم المهدي الذي أخفى الله عنده هو سبب هداية الخلق وذلك أن علم المهدي إذا نزل على الخلق فهو علامة انقراض الخير، وعلامات انقراض الدنيا، فإن الله رحيم بهذه الأمة فإن نبيها في أولها، وعلم المهدي وعيسى في آخرها، فهي بين اليسرين.(3)

وأما فضائله فإنما فضائله أنه علم الله تعالى فهو علم نافع، فهو علم معرفة الله تعالى ولا نهاية لذلك العلم، فالله هو المعلم على الحقيقة فالعلم يصدر من الله إلى صاحب العلم فهو يحيي الأرض ويحيي الله به عباده.

فهو كالغيث النازل من السماء، فعلم المهدي خشية الله، وذلك أن أسماء الله تعالى لها بركة فقد أوصى الأنبياء بالأمر والنهي والتوحيد. ولو أراد الله لبني إسرائيل الهداية ما رفع عنهم علم معرفته.

فعلم المهدي فضيلة عظيمة لمن شاهدها، والفتى الذي يخرج على يديه هو من ولد فاطمة.

فإن المهدي فضيلة طلبها الأنبياء وذلك أن الله عظمه ومن تعظيمه أن جعله سببا لهداية الخلق.

فإن العاقل يا أحبائي إذا تأمل أمر المهدي يعلم أنه لايكون دعوى لأحد، فإنه أمر خارق للعادة. فإذا أراد الله هداية خلقه أنزل عليه أمرا علمه عنده فيتوب الله على عباده وذلك أمر مخفي لايعلم وقت مجيئه إلا الله تعالى، فهو إلى الله إذ هو سبحانه هو المتولي هداية عباده.

سبحان الله : يسألون عن الغيبيات ويعرضون عن الواقعات وذلك كله من الشيطان. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فلا ينبغي للمرء أن يسأل إلا عن علم يصلح به دينه ودنياه.

أحبائي أقبلوا على معرفة الله فإن في معرفة الله خير الدنيا والآخرة.

وتراهم يسألون عن المهدي ولو جاءهم ما تبعوه إلا بتوفيق الله. قد ضيعوا علم الله الذي جاء من عند الله على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالهداية والتوفيق من الله تعالى وكذلك خذلانه.

اللهم أنت الحق المبين، وأنت على كل شيء قدير، وأنت على كل شيء وكيل، وأنت على كل شيء شهيد، فأنت وكيل كل ضعيف أكفل مؤونة أحبائي يا كفيل، وهون عليهم المصعوبات يا فارج الهم ويا كاشف الغم أكف الهموم بما شئت يا ذا الجلال والإكرام. والحمد لله رب العالمين.

---

1) ب : 7
2) ب : تكرار في النص
3) ب : التيسير

الباب الثمانون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.(1)

أما بعد يامريد، فإذا كان المهدي حقيقته معرفة الله تعالى وفيه سعادة من شاهده فدل ذلك على معرفة الله تعالى.

فالتوحيد، يسعد المرء دنيا وأخرى. وإذا تأملت أساس شرف الأنبياء وشرف الأولياء لا تجده إلا من معرفة الله، فإن معرفة الله هي أساس الخير فلا خير في امرئ لايعرف ربه. وذلك أن الإنسان اشترك مع الحيوانات الحيوانية، وماثل الأشجار فأما ما ماثل به الحيوانات فإنه بالأكل والشرب ومسلك شربه ومأكله بالفم كالحيوانات، ولكن خصه بتناوله باليد. والحيوانات بأفواهها فإذا دخل الماء والهواء معدته تتسرب في عروقه قوة الطعام والشراب فيماثل الأشجار فإن الأشجار تشرب من عروقها.

وهذا كله من فضل الإنسان على ربه. فإن الإنسان إنما رفعه بمعرفة الله تعالى. فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما شرفهم بعلم الله. فمن علم الله خافه واتقاه ولا خير إلا في التقوى.

فإن الإنسان إذا كان جاهلا بالله فهو كالحمار يأكل كما يأكل الحمار ويشرب كما يشرب الحمار، فإذا اتقى الله تعالى صار كالملائكة. وذلك أن بنيته إنما أحياها بالمأكل والمشرب، فمن جعل همته في المأكل والمشرب فهو بهيمة إلا في صورته، فتكون طبيعته كالبهيمة، وإذا كان عارفا بالله استنار قلبه فكان من جملة الملائكة(2).

وهذا يظهر لك معنى العروج والهبوط، فالإنسان جامع للعلوي والسفلي.

فإن قلت بين لي قلنا: إن مقام الروح منه كالسماء، ومقام البنية كالأرض، وذلك أن كل شيء يرجع إلى أصله. فإن الروح خلقت من نور الله وإن الأرض خلقت من الماء، فصارت البنية لاتقوم إلا بالماء و الروح لاتنعم إلا بالنور، ولذلك خصها الله بالطهارة وجعل سكانها الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم، فقوتهم نور الله يقتاتون به كما يقتات الإنسان بالمأكل والمشرب. فإن السماء والأرض لله تعالى فهما محلان قسم الله فيهما خلائقه، فسكن الجن والشياطين والوحوش وبني آدم في الأرض، والملائكة في السماء، فقسم بينهم الماء والنبات فخص الماء بالسماء وخص الأرض بالنبات، فتغيرت الأرض بذنوب بني آدم وثبتت السماء على حالها.

فلا فضل لمكان على مكان بذاته ولكن فضل الأماكن بسكانها فالسماء يأتي منها النفع لأهل الأرض بالماء النازل منها ومنفعة أهل السماء من أهل الأرض هي(3) عمل المؤمن الذي ترفعه الملائكة.

وذلك أن الملائكة إذا فقدوا عروج عمل أهل الإيمان حزنوا كحزن أهل الأرض من منع الغيث من السماء.

فإن قلت ما السبب في حزن الملائكة من بطئ العمل فنقول: إن المؤمن بركته ينتفع بها أهل الأرض وأهل السماء، فإن المؤمن إذا قبل الله العمل منه تباشرت به الملائكة، فإن الملائكة ينتفعون بالمؤمنين. فالمؤمن معظم عند الله تعالى، فإن لله تعالى إذا لم يقبل العمل من المؤمن فيدخل ذلك الحزن على الملائكة. فإن الملائكة ناصحون لبني آدم.

وإن الروح ملكية فالحي مقسوم بين الروح والجثة فإذا مات كانت الروح مع الملائكة، فهم الذين يشيعونها، وأهل الأرض يشيعون الذات، فيفنونها في أصلها. والروح تدخل مع جميع إدراكات العبد من خير وشر، فإذا تأملت حالة الإنسان، فلا خير إلا في معرفته لله فخير الدنيا والآخرة في معرفة الله تعالى. فإذا رأيت العبد عارضا عن التوحيد فاعلم أن به سقما. وذلك أن

الإنسان إذا امتنع من لذة المطعم والمشرب فذلك المانع إنما يكون من مرض منع طبيعته، والمرض هو الذي منع طبيعته، كذلك الذنوب تمنع لذة المعرفة والطاعة. فإذا منعت الذنوب العبد لا يشتاق إلى ذكر الله تعالى يكون محجوبا(4) فمن تكلم له بالتوحيد فكأنما تكلم بكلام لا منفعة فيه.

فالتوحيد به النجاة في الدنيا وبه النجاة عند الموت، وبه النجاة في القبر، وبه النجاة في المحشر، وبه النجاة من النار، وبه الدخول في الجنة، وبه رفع الدرجات في الجنة.

ولو أراد الله بالناس خيرا فجعلوا شغلهم في معرفة الله تعالى حتى يكون زادهم إلى الآخرة. ومن أكثر من الشيء عرف بذلك الشيء.

اللهم يا مفرج الكروب فرج عن أحبائي كرب الدنيا والآخرة وارفع عنهم بلاء الدنيا والآخرة آمين يا رب العالمين

---

1) ب و خ : 8
2) ب : تكرار في النص
3) ب : هو
4) محزونا

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، هالكم خبر محدثات الزمان فإنه يأتي بغرائب الأمور. فإنكم إذا هالكم أمر من أمور الدنيا فافزعوا إلى الله، فإن الذي أحدث الأمور في العباد هو الله سبحانه.

فافزعوا نحو الله بالتوبة والإستغفار فإن المملكة إذا عصيت ملكها فلا يغضب إلا عليها، ولا يكون سبب غضبه إلا من عصيانها له.

الناس الجاهلون أرادوا من الله أن يديم عليهم العافية أبدا، ويكونون على عصيانه أبدا، وهذا لا يليق بهم وإنما عليهم أن يطلبوا منه العافية الدائمة ويقوموا بخدمة خالقهم، فإن العبد في الشاهد إذا عصى مولاه، مآله الضرب، والضرب هو الذي يرجعه إلى أوامر مولاه.

فما ترى من البأس بين الناس والقحط فهو من الله على عباده، وتلك سطوة الله على عبيده ليهلك من هلك عن بينة وحيي من حيي عن بينة(1). إنما ذلك كله مقادير تسوقها إلى أوقات الوقوع وذلك الأمر مخفي، فإن قلت بين لي قلنا:

ما نفي الحي إلا ليستكمل رزقا وأجلا، فإذا أراد الله استكمال أجل من الآجال، أو رزق من الأرزاق، أو سلب نعمة كانت منحة، أو إغناء فقير، أو حظوة أو نصرة أو بقاء محبة، حرك الهمم، وقوى العزائم لذلك الشيء حتى يقع ما يقع بإذن الله.

يامريد ليس للعباد من الأمر شيء، وإنما الأمر بيد الله، هو مالك أرزاق العباد وآجالهم ومنافعهم ومضارهم، فلا تتحرك ذرة إلا بإذنه.

فالجاهل يتعجب مما وقع على الخلق من الحوادث، والعارف يسلم لفعل الله تعالى، والله على كل شيء قدير.

يا مريد لا تتعجب ممن هلك من الدنيا، فإن الهلاك مآله، ومن كان مآله الهلاك فلا عجب في هلاكه. فإن تغير الدنيا وصف لها، كوصف وجود الأشياء، فإن أهل الدنيا قاموا في الدنيا قيام البقاء فيها، وهم فيها أحرار لا سطوة سلطان عليهم، وحال الدنيا ووصف المالك كذبهم.

فلذا إذا خالفت الدنيا معتادهم لا يرضون بقسمة الله، فمن رأى المالك فلا يتعجب في سطوته على عبيده، فهم عبيده فالمالك مع العبد تارة بتارة، تارة يرحمه وتارة يعدل فيه، وتارة يلطف به، وتارة يعفو عنه، وتارة، وتارة.

فالله تعالى في جميع ذلك هو الرحمن الرحيم اللطيف الذي يلطف بعباده. فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.(2)

عليكم بوصية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله(3). فالتقوى هو رأس المال، فعليه المدار.

يا مريد إن الدهر فيه مظهر العجائب، ولم يكن أحد سلم من عوارض الدهر، فإن الدنيا دنية العاقل، فلا يكون قيامه في الدنيا إلا كقيام المسافر الذي ينتظر حاجته بعد أصحابه، فحينما قضيت حاجته سار على أثر أصحابه.

وذلك أن آدم هو أول من سافر فقبض بالنزول والبينة، فمن قضى حاجته في الدنيا ارتحل إلى ميعاد الأب.

الدنيا يا مريد كالسوق، يتسوق الناس فيها، فمن قضى حاجته ارتحل إلى منزله. ولا وصف لها عند العقلاء إلا مثل هذا المثل وأشباهه: فإنها كالكنيف فإن الكنيف ليحتاج إليه كل أحد، ولا يرضى بحاله أحد. أو هي كجزارة الجزارين وموقع الفرث والدم. والحاصل أنها كلا شيء.

وهي لو كانت أيامها أيام عافية وهي تدوم، لايرضى العاقل أن تكون حظه. فكيف هي دار الأغيار ودار الأكدار.

اللهم رب الأراضين والسماوات العاليين، ورب الأولين والآخرين أرحم بلاء أحبائي بالعافية الدائمة وافتح عليهم من بركات السماوات والأرض ما تدفع به القحط عنهم وأجمع شملهم على طاعتك، وادفع عنهم بلاء الدنيا والآخرة هم وجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين اللهم صلى على سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم إنك حميد مجيد.
اللهم ببركة محمد وأبيه إبراهيم استجب لي فيما طلبت منك لمنافع أحبائي ومنافع جميع المسلمين والحمد لله رب العالمين.

---

1) سورة الأنفال الآية 42
2) سورة آل عمران الآية 102
3) سورة النساء الآية 131

الفصل التاسع : السر في أفضلية الزمان والمكان

الباب الثاني والثمانون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فها أنا أفيدكم من العلوم النافعة فنقول: الأيام لله تعالى والأرض لله تعالى والسماوات لله تعالى.

وهذه المخلوقات بالنظر إلى ذواتها فهي شيء واحد، و لكن ما فضل بعضها على بعض إلا بطاعة الله تعالى، فقال تعالى : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم(1).

فشرف يوم الجمعة على سائر الأيام، وفضل شهر رمضان على سائر الشهور، وفضل الكعبة على جميع البقاع سوى مواقع قبور الأنبياء، وفضل العرش على الكرسي، والكرسي على السماوات، وفضل الأنبياء على بني آدم، وهذا التفضيل كله يرجع إلى ماله من طاعة.

فأما الجمعة ففضلت بآدم فإن الله خلق آدم يوم الجمعة، وفيه تقوم الساعة، ومن تفضيله أنه عيد للمسلمين، فجعله الله يوم دعاء المؤمنين، فأخفى فيه ساعة الإجابة. والسر في إخفائها ليجتهد المؤمنون في طلبها.

وفضلت الكعبة، وجعلها الله محل وضع أثقال الذنوب، وعظم شهر رمضان لأنه يزيل الذنوب.

وقد ورد أن من أقام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر(2) فإن قلت كيف يغفر الذنوب المستقبلة، ولم يدرك صاحب الذنوب قبل زمان الوقوع قلنا : قال تعالى في حق نبيه : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر(3).

فإن قلت نريد إزالة الأشكال فنقول: ذلك بالنظر إلى الكتاب الأول وذلك أن العبد مقدرة أفعاله من خير وشر، فحكم مغفرة الله للعبد قديم، وفعل العبد ووقوع الذنب عليه حادث، فغفران الله تعالى للعبد قدر، وإنما الخطاب على محل الحدوث كأنه قال : إذا فعلت كذا، غفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فالحكمة هي السابقة، والمخاطبة هي التي عليها التكليف.

فإن قلت زدني إيضاحا قلنا : مكالمة الله للعبد حيث هي لا يكون شيء غير الله، والمخاطبة هي الكلام المنقول على لسان الملك إلى لسان الرسول وهما في الحقيقة شيء واحد. وذلك أن مكالمة الله لعبيده سابقة، ونقل الملك لتلك المكالمة إلى الرسول إتصفت بالمخاطبة، مخرج منه القول تنزلا للعقول. فكل ما ترى من أمر الله ونهيه فهو على هذا الوصف.

فإن كلام الله الذي أخبر عن أهل النار وأهل الجنة وهم معدومون اليوم في الجنة والنار، إنما تلك مكالمة الله لعبيده، الذي حكم بوجودهم وذلك من سعة علم الله ونفوذ حكمه وأمره، فكلمهم وتكلم عنهم بعلمه الذي لا يتبدل فيما علم منهم، فهو الذي يلهمهم الجواب والكلام. فأخبر عن نفسه وكلمهم بما يتكلمون به فلا محيص لهم عما علم منهم، وما يؤولون إليه، وما يرجعون إليه، فهو حافظ لأقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم.

فلا فرق عنده في أمر ماض من الدنيا وأمر غائب في الآخرة إذ هو سبحانه العليم الحكيم.

وتجد معنى هذا السر تحت قوله تعالى : ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه(4)، فأخبر تعالى عنهم: ولو ردوا هم إلى الدنيا بعد أن تخلق الدنيا، وأرجعهم إليها كلهم، لما رجعوا عما هم عليه وذلك من سعة علمه، فإن الله لا يتبدل علمه.

وأما ما يتخيل المتخيلون من نقل الدواوين، فذلك في المثل كمن كتب كتابا فيه نبأ من قبل ومن بعد، فيكون كذا، وكذا، ينتقل ذلك الكتاب كتبا فإن الكائنات كتبت الكتاب الأول، وما من زمان ويوم إلا وهو سيظهر في سطور ذلك الكتاب الأول، ويوم وساعة في المثل كحروف الكتاب ونقطه، وكل إنسان في ماله من الدنيا كقارئ السطور والحروف، فإذا قرء كتابه رحل من الدنيا.

وكم من قارئ يقرأ ولا يدري انتهاء قراءته.. إنما تضرب الأمثال لذوي الألباب.

ثم ننقل الكلام إلى مناجاة الرب فنقول:

الهي طلبت من عبيدك أن يعبدوك، وما طلبت أنت معطيه لهم ومهديه لهم، فلا غرض لك فيما طلبت منهم، فأنت الغني الحميد وتعلم من سعة علمك من هو طائع ومن هو عاص، ومن هو ناج ومن هو هالك، جعلتهم فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير، وأخفيت السعادة والشقاوة، وجعلت لكل الحالتين علامة، والعلامة لا تقطع بوجود الشيء.

فهاهم عبيدك ليس لهم مالك إلا أنت، ولا راحم إلا أنت، أنت المالك لهم، وأنت الرحمن الرحيم عليهم في الدنيا والآخرة، فلا أنت غائب عنهم ولا جاهل لحالهم، وما دعوناك إلا بأمرك، فأمرتنا بالدعاء التماسا للإستجابة منك، فالأمر محجوب عنا والدعاء واسطة بيننا وبينك.

وأمرتنا بالتعاون على البر والتقوى، فمنا الطالب لنفسه، ومنا الشافع لنفسه ولإخوانه، فإن علمت منا الإخلاص لإخواننا المسلمين فاستجب لنا ولهم فيما تعلم من الخير لنا ولهم، فجد بما عندك من الخير. طلبناك ما عندك من الخير وكفانا بذلك علمك وحكمك فينا، أننا فقراء لما عندك وأنت غني عن كل شيء.

يا الله يا الله يا الله، أزل فقر الفقير واضطرار المضطر من أحبائي واقض ديون المدين منهم وأنزل بركتك على جميع المسلمين آمين، آمين بجاه أسمائك الحسنى وصفاتك العلا وبجاه محمد المصطفى وبجاه رمضان وبحق يوم الجمعة فرج عن المسلمين آمين آمين.

---

1) سورة المائدة الآية 54
2) متفق عليه
3) سورة الفتح الآية 2
4) سورة الأنعام الآية 28

الباب الثالث والثمانون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يا مريد، فها أنا أذكر لكم بعض فضائل رمضان فنقول: رمضان شهر فرضه الله على العباد، أما اصل شرفه أنه كفارة ذنب آدم، وذلك لما عصى آدم ربه بأكل الشجرة جعل لله الأيام التي أكل فيها الشجرة أيام شهر رمضان.

ويقال إن ما بين عصيان آدم وتوبة الله عليه هي الأيام المفروضة، فكان يوم التوبة على آدم هو يوم عيدكم. فعصيان آدم كان في الجنة وتوبة الله عليه في الجنة، فالعلوم على أصولها فأصل ذنوب المؤمنين من ذنب أبيهم آدم، وأصل توبة الله على بني آدم من توبة آدم فمن تاب تاب الله عليه.

وهنا سر من الأسرار، فإن قلت بين لي قلنا: توبة الله واحدة، وعصيان آدم منه تشعب عصيان بنيه، وتوبته هي أصل توبة التائبين، وهذا وقع تشريعا لبنيه، وهذا يظهر في معنى قوله تعالى: فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم.(1)

ثم ننقل الكلام إلى التشريع فنقول: الصوم كان واجبا على من كان قبلكم، فكل من نام وجب عليه الصوم منهم، ثم خفف الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالأكل والشرب، فصار الأكل والشرب رخصة وما سوى ذلك سواء فيه الليل والنهار، فمن كذب بالليل أثم فيه وغير ذلك من الآثام فهو مهتك حرمة الشهر.

والرخصة إنما رخص الله لهذه الأمة لخدمة قيام رمضان، فأعطى الله للنفس حقها، فصوم رمضان ليس بعدم الأكل والشرب، فإن رمضان على كل جارحة من جوارح الإنسان، فالعين عليها الصوم، واللسان عليه الصوم، واليد عليها الصوم، والرجل عليها الصوم، وليس الصوم بترك الأكل والشرب.

فإن قلت الآثام محرمة في غير رمضان قلنا، الإثم في رمضان أعظم من الإثم في غيره كما أن الطاعة فيه أعظم أجرا من الطاعة في غيره.

ثم ننقل الكلام إلى التناجي فنقول: الهي رمضان فرضته وعظمته على جميع الشهور، ووعدت عبيدك الغفران فيه إن أقاموه احتسابا لك وتصديقا لوعدك، فإن وعدك حق، وعفوك على عبيدك حق، فاغفر فيه لأحبائي، وهون عليهم فيه طاعتك واعصمهم من الذنوب فيه، واجعله شهرا مباركا عليهم ولا تمنعهم من فضله، واجعلهم من عبيدك الذين أعتقتهم من النار، وتقبل منهم ما أهدوه لك من صلاة ونفقه وذكر.

يا الله يا الله أغفر لأحبائي، وتقبل طاعة الطائعين من أحبائي وتقبل توبة التائبين من أحبائي وتقبل نفقة المنفقين من أحبائي، واجعله ضيفا رضي ضيافة أحبائي.

اللهم إن الشهر أقبل صيامه على أحبائي فاعنهم على صيامه وقيامه وجميع ما شرع لهم نبيك محمد صلى الله عليه وسلم. اللهم احفظ ألسنتهم فيه لاكتساب الحسنات والخير وأعنهم كذلك.

واحفظ الكبير والصغير وأعنهم على صيامه وقيامه وأعطهم التيسير منك، وأنزل الغيث فيه، غيثا يغيث القلوب بنور معرفتك وارحم بلادهم ببركة رمضان.

اللهم كما فرضته عليهم فجد فيه جودا يزيل قحط الأرض، فقد دام يا الله يا الله، فإن كان بطء الغيث بسبب ذنوب العباد فعفوك أوسع، وإن كان تأخره تأخر الوقت الذي تريد، فامنح الصبر لأحبائي فيه حتى يأتي الوقت الذي تريد.

اللهم ياحي ياقيوم يارافع السماوات عن الأرض، ومنورها بالنجوم، ومدور الأفلاك السبع، وممد الأرض مدا، ومرسيها بالجبال، ومزينها بالأشجار، ومنور الحسيات بالأقمار، وبحق هذا الشهر العظيم وبحق النبي الكريم، والكعبة التي هي قبلة المؤمنين، افتح على أحبائي فتحا يدوم نفعه، ويدوم دفع ضره، وسلمهم من فتن المحيى والممات والحمد لله رب العالمين.

1) سورة البقرة الآية 37

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فها أنا أزيدكم من فضائل رمضان فنقول: أما أصل تشريعه علينا، فإن آدم لما نهاه الله عن أكل الشجرة فأكل منها، أمره أن يكف قدر مادامت في بطنه، فحرم نعم الجنة، وحرم طيبات الجنة كفارة للخطيئة التي نهى الله آدم عنها، ومن ثم وجب الصوم على بني آدم.

ولا تظن أن هذا النبي الذي نهاه الله، قصد هتك نهي ربه، ولكن المخالفة جاءت من جهته إبليس، ظانا أنه ناصح له، ولم يظن أن أحدا يحلف بالكذب، فطمع بالخلود في الجنة، فهذه الأكلة معصية ظاهرا، ومحمودة باطنا، فإن قلت بين لي قلنا: معصية أورثت استغفارا ورضى الله خير من طاعة أورثت غضب الله تعالى. فإن معصية آدم أورثت التوبة من الله تعالى، وطاعة إبليس أورثت بعدا من الله.

أنظر إلى ما علم الله في عبيده، فإن الله نكل بآدم بعدم الأكل والشرب الذين تقوم بهما بنيته فيضعف الدم والجسم، وأكرمه أولا بنعمة الجنة وقال : إن لك ألا تجوع فيها(1)، إلى آخر الآية، ولم يكن بد من قضاء الله. أنظر، فقد أعطاه الله الخلود الذي عزه بعد أن أخرجه من الجنة أولا. وهذا فيه حكمة وهي أن ابن آدم إذا أعطي مراده فرح وسكن، وآدم لما تاب الله عليه وأعطاه الجنة بعد، ووعده بالخلود رضي بما وعد الله له فكان رمضان تكفيرا لذنوب بني آدم، فساعة توبة آدم هي ساعة إفطار الصائم. فمن كف لسانه وندم على ذنوبه صار وارث آدم في التوبة، والآدمي مادام صائما في النهار فهو كحالة آدم قبل توبة الله عليه فإذا افطر فهي حالة آدم حين تاب الله عليه.

فمن أراد أن يتوب الله عليه عند الإفطار فليكن حزينا على ذنوبه حين صيامه ويكف عن لذائذ الطعام والشراب كما كف آدم عن لذائذ الجنة، وليترك لذائذ الدنيا، لتلك النعائم الدائمة التي لا يعقبها خروج.

وها أنا أفيدكم سرا من الأسرار، وهو أن الجنة التي دخل آدم وخرج منها هي نعمة الدنيا، فليست هي عين الجنة، وذلك أنه أعطاه قدرما ينظر إليه وقدر ما يأكل ويشرب، والسر في ذلك أن بنيتنا لا تقوم إلا بما كان يأكل آدم في الجنة، ولولا ذلك لعاتى الآدميون مما تعانيه البهائم والجن، فهم يقتاتون بما يجدونه من ريح الجنة، وذلك أن إبليس لما دخل الجنة لم يجد إلا الروائح فعاش بالروائح وآدم بالأكل والشرب.

ولما نزلا من الجنة فكل ذرية ورثت أباها، فالآدمي لاتقوم بنيته إلا بالأكل والشرب، والجن بالروائح، وهذا من حكمة الله. فسبحان من يخص من يشاء بما يشاء، لهذا اشترك الإنس والجن فيما يتقوت به، فنحن بالمباشرة وهم بالروائح.

والصوم هو أصل الخير على آدم، ولما صام آدم في الجنة لم يكن شهيدا عليه إلا ربه، ولما علم الله من آدم أنه خالفه على تأويل، تاب عليه لما تاب من مخالفة الأمر و ندم. فلما علم الله منه الصدق أمره بالصيام فأدى صيامه على الوجه الأكمل.

وكل معصية تثبت توبة على العبد منها، فكأنما لم تكن، فمعصية آدم أبدلها الله حسنة، فإذا أبدلت حسنة فكأنها معدومة.

عظموا شهر رمضان فإنه وسيلة أبيكم آدم إلى أن تاب عليه ربه.

وقد خلق الله تعالى إثنى عشر شهرا وأمهل بني آدم مع المطعم والمشرب، فأكرمهم بشهر رمضان فيغسل ذنوب أحد عشر شهرا، يكفرها صيام شهر رمضان وما زاد من الصوم في السنة فهو خير، فرمضان يمحو ذنوب السنة وصيام السنة زيادة خير للعبد.

استكثروا من الخير فإن صيام رمضان يمحو الذنوب سوى الذنب الذي بين الخلائق.

واعلموا أن الصوم الذي بمحو الذنوب، الصوم الذي طلب الله من العبد وجعله على لسان رسوله.

ولما عسر علم رضى الله على عبيده جعل الله رسوله وكيله، فما رضيه رسوله رضيه، فهو بشر مثلكم وهو رسول بين الخلائق وبين ربهم قال الله تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله(2) قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول(3).

فإن عدم الرسول، فوكلاء الله أهل العلم والله الموفق للصواب.

اللهم أنت الحي القيوم الدائم الودود الذي لا يشغله شأن عن شأن، ولا زمان عن زمان، ولا مكان عن مكان، قي أحبائي من شر كل إنسي وجان، ومن شر كل مكان وزمان، وأغثهم غيثا يثمر به الجنان، ويزين به المكان، وينعم به الضعفاء والصبيان والحمد لله رب العالمين.

1) سورة طه الآية 118
2) سورة آل عمران الآية 31
3) سورة آل عمران الآية 32

الباب الخامس والثمانون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فإن سألوك عن فضيلة ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر فنقول:

لما جعل الله نبينا محمدا هو آخر الأنبياء جعله خير الأنبياء، وجعل أمته خير الأمم، وفضلت الأنبياء وأممهم بطول العمر، و ابتليت أمة محمد بقصر الأعمار، فتضاعف لها الأجر، فأعطى الله لهذه الأمة يوم الجمعةفي الأيام تكرمة لها وهي يوم المزيد(1).

وهل تدري ما يوم المزيد، الذي يجمعها فهو يوم زيارة المؤمنين لربهم بعد أن دخلوا الجنة، فيدخلوها برحمة ربهم، ويقتسمونها بأعمالهم، فهذا هو يوم المزيد، وهو يوم الجمعة في الدنيا، وذلك أنه ليس العمل في الجمعة إلا زيارة لرب العالمين فكذا شرع التطيب في الجمعة والإنصات لحضور الملائكة.

وهنا سر أفيدكم به، فإن يوم الجمعة تعدم الأيام إلا هو، وفيه تقوم الساعة وهو يوم القيامة، كما خصصه الله لزيارة الرب تكرمة له أبدا وهو يوم الأبد، خالدين فيها أبدا، واقتسمت أبديته، فأوله لأهل النار، ومن زواله لأهل الجنة فهذه حقيقة يوم الجمعة، وهذا من الأسرار التي أعطي الله تعالى.

وهو يوم فضيل، ولهذا من تاب في يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وله كذا وكذا من الذنوب غفر له، ومن لم يعرف الآباء فلا يكرم الأبناء. ومن تمم معرفة الآباء، فلا يتخبط في معرفته للأبناء، وذلك أن الزمان أصله يوم الجمعة، وتأخر في الحساب كما أن نبينا هو أول الأنبياء نورا وروحا ومرتبة وهو آخرهم ذاتا.

أما ليلة القدر فهي خير من ألف شهر أعطيت لهذه الأمة تتميما لأعمالها، وذلك أن السنة إثنى عشر شهرا، و ليلة القدر كاملة الساعات إثني عشرة ساعة، فكل ساعة تقابل مائة شهر وزاد مائتي شهر ليقبل الخير.

فمن أقام ساعة واحدة كأنما كان له مائة شهر، ومن أقام نصف ساعة كان له نصف مائة شهر، فإن كانت عشرون ركعة فكل ركعة تقابل خمسين شهرا وهكذا.

ولذا بين الله قدر الزمان، فمن أراد من الزمان شيئا فليجعله على طاقته.

فإن قلت لم جمعت الصحابة صلاة التراويح لتكون موافقة لألف شهر قلنا : فلجمع أذان تلك الليلة وإقامتها وصلاة الفريضة واجتماع الناس لها وتسبيحهم وحسن نياتهم أعطوا ذلك كله في قدر إثنى عشرة ركعة التي صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاجتهد صلى الله عليه وسلم في نفي فرضها على أمته.

ولما مات صلى الله عليه وسلم اجتهدت الصحابة بنية الأجر اجتهادا حيث أمنوا من التفريط عليهم فأقاموا رمضان التماسا لليلة.

فإن قلت كيف نعت صلى الله عليه وسلم التماسها في العشر الأواخر قلنا: إن السر في ذلك أن القرآن نزل في أول الشهر وتنزل في وسطه، فأمرهم بالالتماس في العشر الأواخر التماسا لئلا يكتفوا بأول رمضان ووسطه الذي أنزل فيه القرآن، وعلى هذا فرمضان للعبادة كله. فالتمسوا الخير في أوله وذلك أن صيام أول الشهر ووسطه يكون وسيلة بين الله والصائمين ولعله يدلهم ويوفقهم لحالتهم التي يطلبونها، وذلك أن ليلة القدر مخفية، فالليلة الأولى تدل على الثانية وهكذا إلى أن ينقضي الشهر، والشهر من أقامه احتسابا لله فلعله يكون وسيلة للسنة، فأول كل ليلة يقابل حظها في السنة حتى تكون ببركة رمضان توافق الصائم ليلة القدر إذا كانت في العام وهكذا.

الخير يتداعى كما أن الشر يتداعى، فان الخير مجموع عند الله تعالى، فإذا أراد الله الخير للعبد فيجعل خشية الله فيه.

اللهم منزل الغيث من السماء، ومخرج النبات من الأرض، ومجري البحار في مجاريها، ومخرج الأكوان من نطقها، وعلقها ومضغها، ومكور الليل على النهار، ومحول الرياح من جانب إلى جانب، حول حالة القحط والجهل عن أحبائي وأغثهم غيثا نافعا لا مضرة فيه فادفع الشدة والوحلة وفرج كربهم دنيا وأخرى، حيهم وميتهم ذكرهم وأنثاهم ومن معهم وجميع المسلمين.

---

1) يقول الإمام الغزالي: اعلم أن هذا يوم عظيم، عظم الله فيه الإسلام وخصه به. وفي الحديث خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق ادم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تاب الله عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وهو يوم النظر إلى الله تعالى في الجنة.

الباب السادس والثمانون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يامريد، فها أنا أدعو لكم بلسان التضرع والخشوع لرب العالمين الرحمن الرحيم أن يرحم بعد الإنتقام، ويعفو بعد العصيان، ويعطي الجنان ويطرد الشيطان ببركة شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، ببركته أن يعفو عن النمام الناقل الواشي بين الإخوان ويجود الله الرحمن الرحيم و يرحم الأوطان مع ما فيها من النخل، ببركة شهر رمضان أن يعفو ويغفر للإنسان ماجناه بالليل والنهار باللسان.

الهي أدبر شهر رمضان بما فيه، وأقبل يوم العيد الذي هو يوم الغفران وصمنا لك لا لغيرك، فجعلت صوم رمضان فرضا ناجزا فإن أمرتنا بالطاعة ونهيتنا عن المعاصي فيه فما بقي لعفوك، فأساسنا عفوك فأنت الغفور الرحيم وأنت التواب الرحيم.

فإن جئنا بذنوب عظام فعفوك أوسع، وملكك علينا أعظم من الجبال الرواسي، وأعظم من السماوات والأرض، فتب على عبيدك فإنك أنت التواب الرحيم، فلا لهم حول ولا قوة إلا بك فهم راضون عصيانهم لك ومحققون عفوك عنهم فتابوا لك توبة هي من عندك. طلبت منهم التوبة إليك وأنت معطيها لهم، لا يجلبون نفعا لأنفسهم ولا يدفعون مضرة.

الهي فالذي أجرى الشمس مجراها أمرك، والذي حرك الرياح أمرك، والذي أنزل الغيث أمرك.

الهي ما تواني الغيث إلا من عدم الأمر منك، أنت الرحمن الرحيم اشتكت الأرض بلسان حالها فلا تقدر على عدلك بل نعمة عبيدك بفضلك عليهم ينعمون يمينا وشمالا، وينتفعون بما عندك أنه لهم.

فلا شك هم عيالك، وغيرهم، أنت غني عن نعمائهم وهم مفتقرون لما عندك.

الهي لاتخيب دعائي ولا تقطع رجائي ولا تردني خائبا وانا أشفع عندك لهم، هم عبيدك وأنا عبدك فلا عجب أن يكون أحد القوم خطيبهم عند الملك الأعظم ولا يكون ترجمان الملك إلا من عرفه ويحذر مما يغضبه، ويتواضع له ويرجو ما عنده من الخير.

فإن الكريم إذا ظفر عفا وغفر، فإن المالك أكثر ما يعفو عن عبيده، فيعلم أنهم لا يقدرون على سطوته جئتك مشفعا لأحبائي وجواري، هم عبيدك أنت أعلم بهم من أنفسهم وأنت أرحم بهم من أنفسهم فها أنا واقف ببابك أطلب الإذن منك فافتح لي باب الدعاء.

فإذا فتحت باب الدعاء فافتح لي باب الإجابة، وافتح باب السماء بالمدرار فتحا معه البركة والسلامة من كل سوء فإن هذا اليوم آخر يوم من رمضان، فافتح فيه الحوائج لأحبائي فأنت أعلم بمصالحهم.

توسلت يا إلهي بحرمة هذا الشهر العظيم، وتوسلت ببركة من أخلص لك فيه العمل من أمة محمد صلى الله عليه وسم، وتوسلت إليك بحرمة كل نبي وولي في السماء والأرض وبحرمة ذاتك التي لا تشبهها الذوات، وبصفاتك الكاملة، وبأسمائك الحسنى، وبحق ظهور الليل وغروبه وبحق طلوع النهار وغروبه، أن لا تغرب الشمس من هذا النهار وتبقى بقية عليهم من ذنب أذنبوه، ولا شدة.

واجعلهم من عبيدك الذين غربت عنهم الشمس مغفور لهم، واصبحوا يوم فطرهم في حين مغفور لهم، قضيت حوائجهم وأخرت لهم رضاك وفتحت لهم باب رحمتك.

الباب السابع والثمانون

الحمد لله ولا إله إلا الله الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد يا مريد فها أنا أدعو لكم بلسان التضرع فنقول :

يا ذا الرحمة الواسعة وسع على أحبائي ولا تضيق عليهم المؤونات ولا تبتليهم بما لا طاقة لهم به، وكن لهم في الرخاء والشدة، وتب على المذنبين ولا تضيع منافعهم ولا تخيب ظنهم فهم راجون فضلك وإحسانك.

يا علام الغيوب يا ستار العيوب يا من هو الحي الذي لا يموت، يا من خيره لا يفوت يا من هو قريب غير بعيد أسألك الخير كله لأحبائي فلا تمنعهم مما عندك فانك ذو الفضل العظيم وسعت كل شيء علما وأحصيت كل شيء عددا.

فأنت اله الأولين والآخرين فارحم بلاد أحبائي جوانبها ووسطها وموضع حرثها وجنانها وامنح لهم من خزائنك المكنونة يا أرحم الراحمين، و ألهمهم الاستغفار والتوبة لك حتى يكونوا منقادين لك واهدهم على مراشدهم دنيا وأخرى، واجعل عواقبهم عواقب الخير.

وأدخلهم في رفقة الصالحين ولا تضيع لهم عملا صالحا ولا تبق عليهم ذنبا يهلكهم دنيا ولا أخرى والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيئين والمرسلين والحمد لله رب العالمين.

اللهم لك الحمد على كل ما تعطيه من الخير، ولك الحمد على ما تدفعه من الشر، ولك الحمد على الدين والإسلام، ولك الحمد على إلهام لا اله إلا الله محمد رسول الله.

لك الحمد على الإيجاد ودوام النعم، فزد نعمتك على أحبائي وادفع عنهم النقم والسقم وجميع الآلام والآثام، واغفر لهم ما جنوه قبل وبعد، واجعل معرفتك لهم دائمة، في هذا الشهر الذي عظمته على سائر الشهور، وبحرمة محمد صلى الله عليه وسلم الذي فضلته على جميع خلقك. أغفر لهم الصغيرة والكبيرة من ذنوبهم حيهم وميتهم آمين والحمد لله رب العالمين.

***

فهرس الجزء الأول

الموضوع	الصفحة
تقديم العلامة حمدا ولد التاه.....	3
مقدمة المحقق.....	5
صور المخطوطات	51
كتاب المنة الجزء الأول	
مدخل بانم بن أحمد.....	59
الفصل الأول : سبيل العقل إلى المعرفة.....	59
الفصل الثاني : أقسام العلم وفوائده.....	73
الفصل الثالث : إيمان الفطرة	79
الفصل الرابع : شرف معرفة الله تعالى	90
الفصل الخامس: وجود الخلق معدوم مع وجود الخالق.....	127
الفصل السادس : لا إله إلا الله هي أساس المعرفة.....	153
الفصل السابع : أصول الأشياء.....	189
الفصل الثامن : حقيقة المهدي	217
الفصل التاسع : السر في أفضلية الزمان والمكان.....	225

مطبعة الكتاب

انواكشوط - موريتانيا

كل أمير يدلك على الله ومتابعة أمر الله في الأمور أوجب
فانتبه لمن نهاك عن نواهي خالقك فالتحايل على نواهي الله أذهب
تعوذ من كل بلاء ومن الشيطان الرجيم والنفس فجهادهما أصعب
فأنوار المعارف في القلب تتشعشع كالنجم الطالع الأشهب
فمن رأى الله بقلبه يراه في الكائنات بالتأثير فرؤيته بالتكييف اصعب
فكل لذة في الدنيا والآخرة فهي عذبة ولذة الأنوار أعذب
أحلا من العسل في الحلق ومن المسك الأذفر ومن شراب الظامي وهو أشرب
ترى البسط يأتيك فتنشرح له فالزاهد يرى القبض والبسط وتأثير الله فيهما أعجب
فحالة البسط ينشرح للبسط ويغفل عن الله وهو حينئذ أقرب
فكل متابعة في الأمور على أوامر الله فضيلة ومخالفة النفس أصوب
فعلم ينتفع به بعلم خالص وعلم مهلك بغير عمل وهو أذهب
فخير ما ترى نفسك وترى لها خالقا فالعصيان ذنب والشريك أذنب
فقلب العارف كالهادي في ليل بديهة وقلب المطموس أذهب
تراهم يستبعدون القريب ويقربون البعيد ولا ياوون الهادي وهم أذهب
فكل من أواه الله فقد قرب البعيد إلى القريب فالأولياء أقرب
فأحوالك بين البسط والقبض فجهلك شرهما إذ القبض بالبسط أذهب
فكل ما يأتيك فهو قريب فعفو الله من ذلك أقرب
فالجهل حجاب وحجاب الله أعظم وأحجب

من مناقب الإمام المجذوب